مركز دراسات الآباء

نصوص الآباء

26

تفسير انجيل لوقا

للقديس كيرلس الاسكندري

(الجزء الأول)

ترجمه عن الإنجليزية

دكتور نصحي عبد الشهيد

مايو **1990**م

مقدمة

هذا الكتاب "تفسير إنجيل القديس لوقا للقديس كيرلس بطريرك الاسكندرية" هو ترجمة عربية للترجمة الانجليزية التي قام مستر "باين سميث R. Payne Smith" بترجمتها عن النسخة السريانية لهذا التفسير للقديس كيرلس. والمخطوطات السريانية لهذا التفسير كانت من بين المخطوطات التي اكتشفت في مصر حوالي منتصف القرن التاسع عشر وأودعت بالمتحف البريطاني بلندن. وقام المستر "باين سميث" بنشر النص السرياني للتفسير كما قام هو نفسه بعمل ترجمة انجليزية له نشرت بأكسفورد (Oxford Univ. Press) سنة 1859 في مجلدين. وأخيراً قامت دار "ستوديون للنشر Studion Publisher, INC." بنيويورك باعادة طبع ترجمة "باين سميث" الانجليزية في مايو 1983 في مجلد واحد في 620 صفحة من القطع الكبير. وهذه هي الطبعة التي قمنا بالترجمة منها الى العربية.

وتفسير انجيل القديس لوقا للقديس كيرلس هو مجموعة من العظات على كل اصحاحات الانجيل تقريباً، وهذا التفسير هو في أغلبه ذو طابع عملي روحي وأخلاقي ولا يتخذ طابعاً عقائدياً مثل شرحه لانجيل القديس يوحنا [1]. والأصل اليوناني لهذا التفسير لم يتبق منه سوى ثلاث عظات كاملة بالاضافة الى بعض فقرات متناثرة في بعض السلاسل المجمعة لتفاسير الانجيل من مصادر متنوعة (هذه البقايا من الأصل اليوناني نشرت في مجموعة مني للآباء باليونانية مجلد 77 ومجلد 72 M. PG. 77,72) ولكن توجد ترجمة سريانية اكتشفت في مخطوطات محفوظة بالمتحف البريطاني بلندن يرجع تاريخ نسخها الى نهاية القرن السادس، هذه الترجمة السريانية تحتفظ لما لا يقل عن 156 عظة لتفسير انجيل لوقا مترجمة عن اليونانية، وتبدأ العظات في الترجمة السريانية بتفسير الإصحاح الثاني لإنجيل لوقا، اي ان العظة رقم 1 هي بداية الإصحاح الثاني. فتفسير الإصحاح الأول غير موجود في الترجمة السريانية، لذلك قام العالم "باين سميث" بترجمة ما وجده من تفسير آيات الإصحاح الأول لإنجيل لوقا في البقايا المتبقية باليونانية في بعض السلاسل التي جمعها الكاردينال ماي Mai ونشرها بروما (سنة 1844-1858). وهي قاصرة على تفسير لبعض آيات متفرقة للإصحاح الأول. وفي ترجمتنا العربية هذه قد وضعنا لهذه العظة السابقة على الإصحاح الثاني عنوان "عظة تمهيدية على بعض آيات الإصحاح الأول". وسيلاحظ القارئ ان العظتين 8، 9 لم يحفظ منها سوى تعليق صغير على تعليم يوحنا المعمدان للجموع (على آيات 10 – 14 من الإصحاح الثالث) وهذا التعليق حفظ في أحد البقايا باليونانية. أما في الترجمة السريانية فهاتين العظتين غير موجودتين. كما سيلاحظ القارئ ان العظات من 13 الى 20 مفقودة اي لم تحفظ لا في الأصل اليوناني ولا في الترجمة السريانية. كما ان العظتين 21، 22 لم يحفظ منها سوى أجزاء فقط والباقي مفقود. وكذلك

---

(1) انظر شرح انجيل القديس كيرلس الجزء الأول – ترجمه عن الانجليزية دكتور جورج حبيب بباوي، نشر مركز دراسات الآباء يناير 1989م – توزيع بيت التكريس ت 836389 القاهرة.

العظات 24، 26، 28، 30، 31، 32، 97، 98 مفقودة.

تاريخ عظات هذا التفسير:

مضمون عظات القديس كيرلس على انجيل القديس، يقدم للباحثين دلائل توضح تاريخ القاء هذه العظات وتاريخ تسجيلها، إذ يظهر فيها بوضوح إتجاه محاربة هرطقة نسطور واتباعه. وقد وجد العالم أ. روكر (A. Ruker) إشارة واحدة على الأقل الى حروم القديس كيرلس ضد نسطور، وذلك في عظة رقم 63 من هذه العظات [2]، وهذا ما يدل على ان هذه العظات في تفسير انجيل القديس لوقا ترجع الى نهاية سنة 430م (تاريخ ارسال الرسالة الثالثة الى نسطور التي تحوي الحروم الاثنى عشر هو 30 نوفمبر سنة 430م) [3].

ملاحظات على طريقة القديس كيرلس في التفسير:

رغم ان هذه العظات لتفسير انجيل القديس لوقا قد ألقيت في وقت معاصر لظهور البدعة النسطورية وفي وقت كفاح القديس كيرلس لمحاربتها – والعظات مليئة بالشروحات عن الفهم السليم للتجسد وإظهار خطأ الأفكار النسطورية – إلا أن القارئ سيجد ان هذا التفسير مقدم بنغمة متزنة معتدلة كما هو متوقع في عظات موجهة من معلم الى شعبه، بعيدة عن جو الصراع المؤذي، وفي موقع كانت أفكاره تمتلك كل ماورثه من أسلافه في كرسي التعليم اي كرسي الاسكندرية.

كما ان هناك ايضاً نغمة عملية تتخلل العظات كلها، فبينما في تفسيره للعهد القديم يتبع الاتجاهات المألوفة عند الآباء عموماً في إبراز الرموز والمجاز، فإنه في العهد الجديد يتبع المعنى الظاهر للكلمات أساساً، وينظر الى كل قصة او حديث نظرة كلية شاملة، حيث يجد مفتاح تفسيرها في المناسبة التي ترتبط بها. بل إن القديس كيرلس يحذرنا من المبالغة في الدخول في دقائق وتفاصيل الأمثلة أكثر من اللازم هذه المبالغة التي تصير عادة مجالاً لتحميل الكلام بمعاني صوفية سرية لا يحتملها الكلام أصلاً – مثلما يحدث في تفسير مثل الغني ولعازر (لوقا 16)، فبدلاً من ان يُستخلص منه التأكيد على أننا سوف نعطي حساباً لله عن إستعمالنا للوسائل العالمية (الثروة في هذا المثل)، فإن المفسرين ستخدمون هذا المثل لمحاولة كشف أسرار العالم الآتي، أو أن يكتشفوا وجود سري المعمودية والأفخارستيا في تفسير معنى الدينارين اللذين أعطاهما السامري لصاحب الفندق في مثل السامري الصالح (لوقا 10).

استشهاد التفسير بالعهد القديم:

أخيراً نود أن نذكر القارئ أن القديس كيرلس يستخدم الترجمة السبعينية للعهد القديم وهي الترجمة

---

(2) انظر كتاب علم الآباء للبروفسور كواستن مجلد 3 صفحة 124 J. QUASTEN, PATROLOGY Vol. III, P. 124.

(3) انظر "رسائل القديس كيرلس الى نسطور ويوحنا الانطاكي"، المقدمة، – ترجمة الدكتور موريس تاوضروس والدكتور نصحي عبد الشهيد، "مركز دراسات الآباء" يوليو 1988 – توزيع بيت التكريس لخدمة الكرازة – ت 836389.

اليونانية لأسفار العهد القديم عن العبرية القديمة، والتي ترجمها سبعون شيخاً في الإسكندرية في القرن الثالث قبل الميلاد، وهذه الترجمة هي التي استخدمها الآباء جميعاً في القرون الأولى كما أن كتبة العهد الجديد أنفسهم استخدموا هذه الترجمة في إقتباساتهم من العهد القديم. هذا وقد أشرنا بعد كل شاهد مقتبس من الترجمة السبعينية بعبارة (سبعينية" أو بحرف س فقط للدلالة على ان الاقتباس مأخوذ من هذه الترجمة.

هذا وقد وضعنا عنواناً لكل عظة من عظات التفسير تحت رقم العظة، كما وضعنا بعض العناوين الجانبية داخل العظات كلما رأينا ان هناك لزوم لذلك.

وقد قسمنا هذا التفسير في الترجمة العربية الى ثلاثة أجزاء، الجزء الأول منها يحوي تفسير ثمانية اصحاحات من الانجيل في 46 عظة غير العظة التمهيدية على الإصحاح الأول، على أن ينشر باقي التفسير في جزأين آخرين بمشيئة الله.

ولالهنا المحب القدوس، الثالوث الواحد، الآب والابن والروح القدس، كل تمجيد وتسبيح وإكرام وسجود الآن والى دهر الدهور آمين.

بيت التكريس بحدائق القبة

في الأحد السادس للصوم الكبير

أول ابريل 1990م 23 برمهات 1706ش

دكتور نصحي عبد الشهيد

عظة تمهيدية

على بعض آيات الإصحاح الأول [4]

لو 1 : 2 "الذين كانوا منذ البدء معاينين وخداماً للكلمة":

عندما يقول البشير لوقا ان الرسل كانوا شهود عيان لذات الكلمة المحيي، فانه بذلك يتفق مع البشير يوحنا، الذي يقول ان "الكلمة صار جسداً، وحل فينا، ورأينا مجده مجداً كما لوحيد من الآب" (يو 1 : 14). فالكلمة أصبح من الممكن رؤيته بسبب الجسد الذي هو منظور وملموس وصلب، بينما الكلمة ذاته غير منظور. ويوحنا أيضاً يقول في رسالته "الذي كان من البدء، الذي سمعناه، الذي رأيناه بعيوننا، ولمسته ايدينا من جهة كلمة الحياة، فان الحياة اظهرت" (يو 1 : 1).

ألا تسمعونه يتحدث عن الحياة على أساس أنها يمكن ان تلمس؟ وهو يقول هذا لكي تفهموا ان الابن صار إنساناً وصار منظوراً من جهة الجسد، ولكنه غير منظور من جهة لاهوته.

لوقا 1 : 51 "صنع قوة بذراعه، شتت المستكبرين بفكر قلوبهم":

الذراع يشير رمزياً الى الكلمة الذي ولد من العذراء. وتعني مريم بالمستكبرين، الشياطين الأردياء الذين سقطوا مع رئيسهم بواسطة الكبرياء. وتعني ايضاً حكماء اليونانيين، الذين رفضوا ان يقبلوا كرازة الانجيل التي هي عندهم جهالة، وايضاً اليهود الذين لم يؤمنوا والذين تشتتوا بسبب تصوراتهم غير اللائقة عن كلمة الله. وتقصد "بالأعزاء" الكتبة والفريسيين الذين يسعون للكراسي الأولى. ومع ذلك فانه أقرب الى المعنى، ان تقصد "بالأعزاء" الشياطين الأردياء فان هؤلاء حينما ادعوا السيادة على العالم فان الرب شتتهم بمجيئه الينا، ونقل أولئك الذين كانوا أسرى لهم الى سيادته وملكوته هو. فإن كل هذه الأشياء حدثت بحسب نبوءة العذراء بأنه:

لو 1 : 52 "أنزل الأعزاء عن الكراسي، ورفع المتضعين":

فإن كبرياء هؤلاء الشياطين الذين شتتهم هو كبرياء فظيع وهكذا ايضاً كبرياء فلاسفة اليونانيين، وكذلك الفريسيين والكتبة كما ذكرت. ولكنه هو أنزلهم، ورفع أولئك الذين تواضعوا تحت يده القوية، وأعطى هؤلاء السلطان ان يدوسوا على الحيات والعقارب، وعلى كل قوة العدو. وأبطل مؤامرات هذه الكائنات المستكبرة ضدنا. اليهود الذين كانوا يفتخرون سابقاً بمملكتهم نزعت منهم بسبب عدم إيمانهم، بينما الوثنيين الذين لم يكونوا يعرفون الله رفعهم ومجدهم بسبب ايمانهم.

---

(4) تحوي هذه العظة التمهيدية ما وصلنا في مخطوطات تفسير انجيل لوقا للقديس كيرلس باللغة اليونانية على بعض آيات الإصحاح الأول، أما المخطوطات السريانية لهذا التفسير فتبدأ كلها بالعظة رقم 1 على الإصحاح الثاني لإنجيل لوقا.

لو 1 : 53 "اشبع الجياع خيرات، وصرف الأغنياء فارغين":

وهي تعني "بالجياع" الجنس البشري. إذ أنه فيما عدا اليهود كان الجميع مجروحين بالجوع فاليهود كانوا أغنياء باعطائهم الناموس وبتعليم الأنبياء القديسين. فقد كان لهم "التبني والعبادة والاشتراع والمواعيد" (رو 9 : 4) ولكنهم تلهوا بالطعام الكثير، انتفخوا بالمنزلة التي اعطيت لهم. ولأنهم رفضوا ان يقتربوا باتضاع من الكلمة المتجسد، فقد صُرفوا فارغين، لا يحملون معهم شيئاً لا ايمان ولا معرفة ولا الرجاء في البركات الآتية، فانهم بالحقيقة صاروا منبوذين من اورشليم الأرضية وايضاً غرباء عن حياة المجد، وتركوا ينبوع الماء الحي واعتبروا الخبز النازل من السماء انه لا شيء. ولهذا السبب فقد أتى عليهم جوع أشد من اي جوع آخر، وعطش أكثر مرارة من كل عطش آخر. فانه لم يكن جوع الى الخبز المادي ولا عطش الى الماء، ولكنه "جوع لاستماع كلمة الرب" (انظر عاموس 8 : 11).

ولكن الأمم الذين كانوا جياع وعطشى بنفوسهم الهزيلة البائسة، قد امتلأوا بالبركات الروحية، لأنهم قبلوا الرب. فإن كل امتيازات اليهود قد نقلت اليهم.

لو 1 : 54 "عضد اسرائيل فتاه ليذكر رحمة":

عضد اسرائيل – ليس اسرائيل حسب الجسد الذي يفخر بمجرد الاسم، ولكن ذلك الذي هو بالروح وبحسب المعنى الحقيقي للاسم – ذلك الذي ينظر الى الله، ويؤمن به، وينال تبني البنين بواسطة الابن بحسب الكلمة التي اعطيت، والوعد المعطى للأنبياء والبطاركة (رؤساء الآباء) القدماء. ولكن كلمة اسرائيل لها انطباق حقيقي ايضاً على اسرائيل الجسدي، فإن آلاف وربوات من بينهم قد آمنوا. ولكنه قد ذكر رحمته كما وعد ابراهيم. وقد تمم ما قاله له بأن "في نسلك تتبارك جميع قبائل الأرض". (تك 22 : 18) فإن هذا الوعد كان في طريقه الى التحقق بميلاد مخلصنا المسيح الذي كان على وشك الحدوث، الذي هو نسل ابراهيم الذي فيه تتبارك الأمم، لأنه امسك بنسل ابراهيم كما تقول كلمات الرسول (انظر عب 2 : 16). وهكذا تحقق الوعد الذي أعطي للآباء.

لو 1 : 69 "وأقام لنا قرن خلاص في بيت داود فتاه":

إن كلمة "قرن" تشير لا الى القوة فقط بل الى الملوكية. ولكن المسيح الذي هو المخلص الذي جاء لنا من بيت وجنس داود هو القوة والملك معاً، لأنه هو ملك الملوك وهو قوة الآب غير المغلوبة.

لو 1 : 72 "ليصنع رحمة كما وعد آباءنا":

المسيح هو رحمة وعدل (بر) لأننا نلنا رحمة بواسطته، وتبررنا اذ قد غسلنا من أوساخ خطيتنا بالايمان به.

لو 1 : 73 "القسم الذي حلف لابراهيم أبينا":

لا ينبغي لأحد حينما يسمع ان الله أقسم لابراهيم، لا ينبغي له ان يسمح لنفسه بأن يقسم، وكما ان الغضب حينما يُقال عن الله هو ليس غضباً ولا يعني الانفعال، ولكن يقصد به القوة التي تظهر في العقاب او اي حركة مشابهة. هكذا ايضاً فالقسم بالنسبة له ليس قسماً. لأن الله لا يقسم بل يشير الى يقينية الحدث – اي ان ما يقوله سيحدث بالضرورة. لأن قسم الله هو كلمته الخاصة التي تحث الذين يسمعونه حثاً كاملاً، وتعطي كل واحد الاعتقاد بأن ما قد وعد به الله وقاله لابد ان يحدث بالتأكيد.

لو 1 : 76 "وأنت ايها الصبي نبي العلي تدعى لأنك تتقدم أمام وجه الرب لتعد طرقه":

أرجو ان تلاحظوا هذا ايضاً، ان المسيح هو العلي الذي كان يوحنا سابقاً له في ميلاده وكرازته لاعداد الطريق. فماذا يتبقى اذن، لكي يقول اولئك الذين يقللون من لاهوته؟ ولماذا لا يفهمون انه حينما قال زكريا "وأنت نبي العلي تدعى"، إنما كان يقصد بهذا الكلام انه نبي "الله" مثل أنبياء الله السابقين له.

لو 1 : 79 "ليضيء على الجالسين في الظلمة":

كان المعمدان بالنسبة لأولئك الذين تحت الناموس الساكنين في اليهودية، كأنه سراج سابق للمسيح، وهكذا تكلم عنه الله سابقاً "هيأت سراجاً لمسيحي" (مز 131 : 17). والناموس يعطي إشارة عنه بالمنارة التي في السكن الأول، التي أوصى بأن تكون موقدة دائماً. ولكن اليهود، بعد ان سروا به فترة قصيرة مندفعين أفواجاً الى معموديته، ومعجبين بطريقة حياته، فإنهم سريعاً ما جعلوه يرقد رقاد الموت مجتهدين ان يطفئوا المصباح الدائم الاشتعال. لذلك تحدث عنه المخلص ايضاً: "كان هو السراج الموقد المنير وأنتم اردتم ان تبتهجوا بنوره ساعة" (ي : 35).

"لكي يهدي أقدامنا في طريق السلام":

لأن العالم في الواقع كان تائهاً في الضلال، يعبد المخلوق بدلاً من الخالق. وكأن الليل قد سقط على عقول الجميع فلا يدعهم يبصرون ذاك الذي هو بالطبيعة وبالحقيقة الله.

ولكن رب الكل جاء للاسرائيليين، مثل نور ومثل شمس.

الإصحاح الثاني: 1–7

عظة (1)

ولادة المسيح في بيت لحم

ولد المسيح في بيت لحم في الوقت الذي فيه أمر أوغسطس قيصر أن يتم الاكتتاب (الاحصاء) الأول. ولكن ربما يسأل واحد، ما هي الضرورة التي جعلت البشير الحكيم جداً ان يذكر هذا الأمر بنوع خاص؟ أجيب: نعم، انه كان أمراً نافعاً كما انه أمر ضروري ان يحدد الفترة التي ولد فيها المخلص. لأنه قد قيل بصوت رئيس الآباء: "لا يزول رأس من يهوذا، ولا مشترع من بين رجليه حتى يأتي الذي جعل له. وهو انتظار الشعوب" (تك 49 : 10 سبعينية).

وذكر هذا الأمر ايضاً لكي نعرف ان الاسرائيليين لم يكن لهم في ذلك الوقت ملك من عشيرة داود، وان حكامهم الذين من امتهم قد سقطوا. فهو لسبب مناسب يذكر أوامر قيصر. فإن اليهود وبقية الأمم كانوا تحت سلطان حكمه. فهو إذ كان حاكماً لهم أمر ان يجري هذا الإحصاء.

لو 2 : 4 "لكونه من بيت داود ومن عشيرته":

إن الأناجيل المقدسة بارجاعها نسب المسيح الى يوسف، الذي من بيت داود، قد اثبتت من خلال يوسف ان العذراء ايضاً كانت من نفس عشيرة داود. ذلك لأن الناموس الالهي قد أمر ان التزاوج ينبغي ان يكون محصوراً بين أشخاص من نفس العشيرة. ومفسر التعاليم السماوية، الرسول العظيم بولس يعلن الحق بوضوح، فهو يشهد ان الرب خرج من سبط يهوذا (عب 7 : 14).

ان الطبائع التي اجتمعت الى هذا الاتحاد الحقيقي هي مع ذلك مختلفة عن بعضها، ولكن من الاثنين معاً (أي من الطبيعتين) هو واحد، اي الله الابن دون ان يضيع تمايز الطبيعتين بسبب الاتحاد. لأنه قد صار اتحاد من الطبيعتين، ولذلك فنحن نعترف بمسيح واحد، ابن واحد، ونحن بالاشارة الى فكرة الاتحاد هذه بدون اختلاط، فاننا نعترف بالقديسة العذراء أنها والدة الاله. لأن الله الكلمة أخذ جسداً وصار انساناً، وبالحبل به في بطنها وجد الهيكل الذي اتخذه منها بنفسه.

فاننا نرى ان طبيعتين – بواسطة اتحاد لا انفصال فيه – قد اجتمعتا معاً فيه بدون اختلاط وبدون انقسام، لأن الجسد هو جسد وليس لاهوتاً رغم انه قد صار جسد الله، وبنفس الطريقة ايضاً فإن الكلمة هو إله وليس جسداً رغم انه بسبب التدبير قد جعل الجسد جسده. ولكن رغم ان الطبائع التي اجتمعت في تكوين الاتحاد هي مختلفة إحداها عن الأخرى كما أنها غير متساوية بعضها مع بعض، الا ان ذلك الذي تكون من الطبيعتين معاً هو واحد فقط. ونحن لا نفصل الرب الواحد يسوع المسيح الى انسان وحده واله وحده، بل نحن نؤكد ان المسيح يسوع هو واحد، وهو نفسه، معترفين بالتمايز بين الطبيعتين بدون ان

نخلطها الواحدة مع الأخرى.

لو 2 : 5 "مع مريم امرأته المخطوبة وهي حبلى":

يقول القديس البشير ان مريم كانت مخطوبة ليوسف، لكي يبين ان الحمل حدث وهي مخطوبة فقط، وان ولادة عمانوئيل كانت معجزية، ولم تكن بحسب قوانين الطبيعة. لأن العذراء القديسة لم تحمل من زرع انسان. والسؤال هو لماذا حدث هذا؟

المسيح، الذي هو باكورة الجميع، وهو آدم الثاني حسب الكتب، قد ولد من الروح لكي ينقل هذه النعمة (نعمة الولادة الروحية) الينا نحن ايضاً. فنحن ايضاً قد أعد لنا ان لا نحمل فينا بعد اسم ابناء البشر بل بالأحرى نولد من الله وذلك بحصولنا على الميلاد الجديد من الروح الذي تم في المسيح نفسه اولاً، لكي يكون هو "متقدماً بين الجميع" (كو 1 : 15) كما يعلن بولس الحكيم جداً. ان فرصة الاحصاء كانت سبباً مناسباً جداً لكي تذهب العذراء الى بيت لحم لكي نرى نبوة اخرى تتحقق. لأنه مكتوب: "وانت يا بيت لحم افراته وانت صغيرة ان تكوني بين ألوف يهوذا، فمنك يخرج لي الذي يكون متسلطاً على اسرائيل" (ميخا 5 : 2) ولكن اولئك الذين يجادلون ويقولون، إن كان هو قد جاء في الجسد فتكون العذراء قد فسدت، وان لم تكن قد فسدت فانه يكون قد جاء بطريقة خيالية فقط. هؤلاء نقول لهم ان النبي يعلن "ان الرب اله اسرائيل قد دخل وخرج، والباب يظل مغلقاً" (حز 44 : 2) وايضاً ان كان الكلمة قد صار جسداً بدون تزاوج جسدي، اذ انه حمل به بدون زرع بشر، فانه اذن ولد دون ان تمس عذراويتها.

لو 2 : 6، 7 "وبينما هما هناك تمت ايامها لتلد، فولدت ابنها البكر وقمطته واضجعته في المذود":

ما هو معنى بكرها؟ ان معنى البكر هنا ليس أنه الأول بين أخوة عديدين، بل هو ابنها الأول والوحيد، فان هذا المعنى هو من بين المعاني التي تفسر بها كلمة "البكر". لأن الكتاب المقدس أحياناً يسمى الوحيد بالأول كما هو مكتوب "أنا الله، أنا الأول وليس هناك آخر معي" (أش 44 : 6 سبعينية).

فلكي يتضح ان العذراء لم تلد مجرد انسان، لذلك أُضيفت كلمة "البكر"، وحيث انها ظلت عذراء فلم يكن لها ابن آخر الا ذلك هو من الله الآب، والذي بخصوصه أعلن الله الآب ايضاً بصوت داود "أنا أيضاً أجعله بكراً، أعلى من ملوك الأرض" (مز 89 : 27).

ويقول عنه بولس الكلي الحكمة ايضاً: "متى أدخل البكر الى العالم يقول، ولتسجد له كل ملائكة الله" (عب 1 : 6) فكيف اذن دخل الى العالم؟ لأنه منفصل عن العالم، ليس من جهة المكان بقدر ما هو من جهة الطبيعة. فإنه يختلف عن سكان العالم في الطبيعة، ولكن دخل الى العالم بأن صار انساناً، وبذلك صار جزءاً من العالم بالتجسد. ورغم انه هو الابن الوحيد من جهة الوهيته، الا أنه لكونه صار أخاً

لنا، فقد أصبح له اسم "البكر"، ولكي يصير هو الباكورة لتبني البشرية، فانه يمكن ان يجعلنا ايضاً أبناء الله.

لذلك لاحظوا، انه يدعى البكر من جهة التدبير [5]. لأنه من جهة الوهيته هو الابن الوحيد. وايضاً فانه الابن الوحيد من جهة كونه كلمة الآب الذي ليس له أخوة بالطبيعة ولا يوجد اي كائن مشترك معه. لأن ابن الله المساوي للآب، هو واحد ووحيد، ولكنه يصير بكراً بتنازله الى مستوى المخلوقات.

لذلك حينما يدعى الابن الوحيد، فانه يدعى هكذا دون ان يكون هناك سبب آخر لكونه الابن الوحيد إذ هو الاله الوحيد الجنس الذي في حضن الآب (يو 1 : 18) ولكن حينما تدعوه الكتب الالهية "بالبكر" فانها تضيف حالاً علة السبب الذي من أجله حمل هذا اللقب فتقول الكتب "البكر بين أخوة كثيرين" (رو 8 : 29)، وايضاً "البكر من الأموات" (كو 1 : 18)، ففي المرة الأولى دُعي "بكراً" بين إخوة كثيرين" بسبب انه صار مثلنا في كل شي ما عدا الخطية. وفي المرة الثانية دُعي "البكر من الأموات" لأنه هو الأول الذي أقام جسده الى حالة عدم الفساد.

وأيضاً هو كان دائماً منذ الأزل الابن الوحيد بالطبيعة، لكونه الوحيد المولود من الآب، اله من اله، وحيد من وحيد، اله أشرق من اله، نور من نور، ولكنه هو "البكر" لأجلنا نحن حتى عندما يدعى بكراً للمخلوقات فإن كل من يشابهه يخلص بواسطته. فإن كان هو بالضرورة يصير "البكر" فبالتأكيد لابد ان يكون هناك اولئك الذين يكون هو بكراً لهم. ولكن ان كان –كما يقول يونوميوس – انه يدعى بكر الله المولود الأول بالنسبة لكثيرين، وانه هو ايضاً بكر العذراء، ففي هذه الحالة اذن يلزم ان يصير هو الأول قبل طفل بعده بالنسبة لها. ولكن ان كان يدعى بكر مريم باعتباره ابنها الوحيد وليس هناك من يأتون بعده، اذن فهو ايضاً بكر الله لا كالأول بين كثيرين، بل هو المولود الواحد الوحيد.

وبالاضافة الى ذلك ان كان الأول يعترف به انه علة الثاني، فإن الله هو الأول، وحينئذ فالابن هو علة أولئك الذين نالوا لقب الأبناء، لأنهم بواسطته قد حصلوا على هذه التسمية لذلك وهو علة وجود الابناء الذين اتوا بعده فانه يدعى البكر بحق. لا لأنه هو أولهم، بل لكونه العلة الأولى لحصولهم على لقب التبني. وكما ان الآب يدعى الأول لأنه يقول "انا الأول وأنا بعد هذه الاشياء" (أش 41 : 4)، وهو بالتأكيد لا يريدنا ان نعتبره انه مشابه في الطبيعة لأولئك الذين يأتون بعده، هكذا ايضاً فرغم ان الابن يدعى بكر الخليقة، او البكر قبل كل خليقة، فهذا ليس معناه انه واحد من الاشياء المخلوقة، بل كما ان الآب قال "أنا الأول" لكي يوضح انه اصل كل الاشياء فبنفس المعنى يدعى الابن ايضاً بكر الخليقة. "فان كل الاشياء خلقت به" (يو 1 : 3). فكخالق وصانع للعالم، هو بداية كل الاشياء المخلوقة وأصلها.

لو 2 : 7 "وأضجعته في المذود اذ لم يكن لهما موضع في المنزل":

---

(5) اصطلاح "التدبير" يستعمله القديس كيرلس وكل الآباء ليعبروا به عن خطة الله وقصده لتتميم خلاص الانسان عن طريق مجيء ابن الله في الجسد واتحاده بطبيعتنا وتتميمه الفداء بالموت والقيامة.

لقد وجد ان الانسان قد تدنى الى مستوى الحيوانات، لذلك فانه وضع مثل علف في المذود، لكي حينما نخلع حياتنا الحيوانية، نرتفع الى درجة العقل والبصيرة التي تليق بطبيعة الانسان. وبينما كنا متوحشين في نفوسنا، فاننا الآن باقترابنا من المذود، اي "مائدته الخاصة" [6]، فانا لا نجد علفاً بعد، بل الخبز الذي من السماء الذي هو جسد الحياة.

(6) واضح ان القديس كيرلس يتحدث عن تناول الافخارستيا التي يشترك فيها المؤمنون نتيجة التجسد.

عظة (2)

على ميلاد مخلصنا في الجسد

لو 2 : 8-18 "وكان في تلك الكورة رعاة ساهرين يحرسون حراسات الليل على رعيتهم، واذا ملاك الرب وقف بهم ومجد الله اضاء حولهم فخافوا خوفاً عظيماً. فقال لهم الملاك: لا تخافوا. فها أنا أبشركم بفرح عظيم يكون لجميع الشعب: أنه ولد لكم اليوم في مدينة داود مخلص هو المسيح الرب. وهذه لكم العلامة تجدون طفلاً مقمطاً مضجعاً في مذود. وظهر بغتة مع الملاك جمهور من الجند السماوي مسبحين الله وقائلين، المجد لله في الأعالي وعلى الأرض السلام وفي الناس المسرة. ولما مضت عنهم الملائكة الى السماء قال الرجال الرعاة بعضهم لبعض، لنذهب الآن الى بيت لحم وننظر هذا الأمر الواقع الذي أعلمنا به الرب. فجاءوا مسرعين ووجدوا مريم ويوسف والطفل مضطجعاً في المذود. فلما رأوه، اخبروا بالكلام الذي قيل لهم عن الصبي. وكل الذين سمعوا تعجبوا مما قيل لهم من الرعاة".

أبدأ حديثي اليكم بما هو مكتوب في سفر المزامير: "هلم نسبح الرب، ونرنم لله مخلصنا" (مز 95 : 1) لأنه هو رأس عيدنا، ولذلك فلنخبر بأعماله العظيمة، ونروي طريقة ذلك التدبير الذي خططه تخطيطاً جميلاً، والذي بواسطته خلص العالم، ووضع نير ملكوته على كل واحد منا. هذا التدبير يستحق ان يكون موضوع اعجابنا. "يا جميع الأمم صفقوا بأيديكم"، ويضيف ايضاً "رتلوا بفهم لأن الله ملك على جميع الأمم" (47 : 1، 7) لأن هذا السر المقدس قد تم بحكمة فائقة جداً بالمسيح، ان كان حقاً، وهو حق بالتأكيد، ان الرب رغم انه هو الله، ظهر لنا. ورغم انه في صورة الله الآب وهو ذو تفوق فائق وشامل، فقد أخذ شكل عبد. ولكن رغم هذا فإنه هو اله ورب. فانه لم يزل كما كان (قبل ان يتجسد).

إن جماعة الانبياء القديسين قد سبقوا فأخبروا بميلاده في الجسد، وباتخاذه شكلنا في الوقت المعين، الآن قد تحقق هذا الرجاء، فان قوات السماء تأتي بالأخبار المفرحة عن ظهوره في هذا العالم للرعاة قبل الجميع في بيت لحم، وبذلك كانوا أول من حصل على معرفة السر والرمز هنا يشير الى الحقيقة، لأن المسيح يعلن نفسه للرعاة الروحيين لكي يبشروا به الآخرين، كما حدث من الرعاة ايضاً عندما تعلموا سره من الملائكة القديسين، واسرعوا ليحملوا الأخبار المفرحة للآخرين، لذلك فالملائكة هم أول من بشر به واعلنوا مجده كاله مولود في الجسد من امرأة بطريقة عجيبة.

ولكن ربما يعترض احد على هذا، فيقول "ان الذي ولد الآن كان طفلاً، وكان ملفوفاً بالاقماط ومضطجعاً في مذود، فكيف نقول ان تسبحه القوات العلوية كاله؟ ورداً على هذا الاعتراض نقول بحسم: ايها الانسان عمق السر! فان الله صار في شكل منظور مثل شكلنا. رب الكل في شكل عبد، ومع ذلك

فان مجد الربوبية غير منفصل عنه. افهم ان الابن الوحيد صار جسداً، وانه احتمل ان يولد من امرأة من اجلنا، لكي يبطل اللعنة التي حكم بها على المرأة الأولى، فقد قيل لها، "بالوجع تلدين أولاداً" (تك 3 : 16) فانها كأنها كانت تلد للموت. ولذلك ذاقوا اي أولاد المرأة لدغة الموت. ولكن لأن امرأة قد ولدت في الجسد، عمانوئيل، الذي هو الحياة فان قوة اللعنة قد ابطلت. ومع ابطال الموت ابطلت ايضاً الأوجاع [7] التي تحتملها الأمهات الارضيات في الولادة.

أتريد ان تتعلم ايضاً سبباً آخر لهذا الأمر؟ تذكر ما كتبه بولس الحكيم جداً عنه: "لأنه ما كان الناموس عاجزاً عنه، لأنه كان ضعيفاً بالجسد، فالله اذ أرسل ابنه في شبه جسد الخطية، ولأجل الخطية دان الخطية في جسده، لكي يتم حكم الناموس فينا نحن السالكين ليس حسب الجسد، بل حسب الروح" (رو 8 : 3، 4). فما معنى قوله ان الابن أُرسل في شبه جسد الخطية؟ هذا هو المعنى: ان ناموس الخطية يكمن مختفياً في أعضائنا الجسدية مصاحباً لتحرك الشهوات الطبيعية المخجلة، ولكن حينما صار كلمة الله جسداً، اي انساناً، فاتخذ شكلنا فان جسده كان مقدساً ونقياً نقاوة كاملة. وهكذا كان حقاً في شبه جسدنا، ولكن ليس بنفس مستواه. لأنه كان حراً من ذلك الميل الذي يقودنا الى ما هو ضد الناموس.

لذلك فحينما ترى الطفل ملفوفاً بالاقماط لا تركز فكرك على ميلاده في الجسد فقط، بل ارتفع الى تأمل مجده الالهي، ارتفع عقلك عالياً، اصعد الى السماء، وهكذا سوف تنظره في أعلى تمجيد، وهو صاحب المجد الفائق، سوف تراه: "جالساً على عرش عال ومرتفع" (أش 6 : 1)، وسوف تسمع السيرافيم يمجدونه بتسابيح، ويقولون ان السماء والأرض مملوءتان من مجده، نعم بل حتى على الأرض قد حدث هذا، لأن مجد الله اضاء على الرعاة وكان هناك جمهور من الجنود السماويين يخبرون بمجد المسيح. فهذا ما سبق أن أخبر به موسى منذ القديم "افرحي معه أيتها السموات، وليسجد له كل أبناء الله". لأن أنبياء قديسين (تث 32 : 43 سبعينية) كثيرين قد ولدوا على مر الأزمنة، ولكن لم يمجد أي واحد منهم بأصوات الملائكة، لأنهم كانوا بشراً، وكانوا على نفس القياس مثلنا. كانوا خدام الله الحقيقيين وحاملي كلماته. أما المسيح فلم يكن هكذا: لأنه اله ورب، وهو مرسل الأنبياء القديسين. وكما يقول المرنم "من في السماء يعادل الرب، من يشبه الرب بين أبناء الله" (مزمور 89 : 1) لأن لقب البنوة قد منح لنا كنعمة حلت علينا نحن الذين تحت النير، ونحن بطبيعتنا عبيد، أما المسيح فهو الابن الحقيقي، أي أنه ابن الله الآب بالطبيعة، حتى حينما صار جسداً: لأنه قد استمر على ما كان عليه منذ الأزل، رغم أنه اتخذ ما لم يكن له [8].

والنبي ايضاً يؤكد لنا ان ما أقوله صحيح، بقوله: "ها العذراء تحبل وتلد ابناً وتدعو اسمه عمانوئيل،

---

(7) ربما يقصد القديس كيرلس ان العذراء القديسة في ولادتها للمسيح ولدت بدون وجع.

(8) واضح ان القديس كيرلس يقصد ان المسيح استمر الهاً كما كان منذ الأزل رغم انه اخذ الجسد الذي لم يكن له اصلاً بل أخذه من العذراء مريم.

زبداً وعسلاً يأكل قبل ان يعرف او يختار الشر، هو يفضل الخير: لأنه قبل ان يعرف الصبي ان يميز الخير والشر فهو لا يطيع الشر بل يختار الخير (إش 7 : 14-16 سبعينية) أليس واضحاً للجميع ان الطفل حديث الولادة لا يستطيع بسبب صغره وضعفه، أن يفهم أي شيء. وهو غير كفء بعد لمهمة التمييز بين الخير والشر، لأنه لا يعرف شيئاً على الإطلاق . أما في حالة المسيح مخلصنا فقد أكل الزبد والعسل رغم انه كان لا يزال طفلاً. ولأنه كان الهاً وصار جسداً بطريقة تفوق الفهم، فإنه عرف الخير فقط. وكان منزهاً عن الفساد الذي في البشر. وهذه ايضاً صفة للجوهر الفائق. لأن ما هو صالح بالطبيعة، هو خاص به بثبات وبغير تغيير. وهو خاص به وحده: "ليس أحد صالحاً الا واحد وهو الله" (لوقا 18 : 19) وكما قال مخلصنا نفسه.

أتريد ان تعرف فضيلة أخرى لهذا الطفل؟ أتريد ان ترى انه بالطبيعة اله، ذاك الذي ولد في الجسد من امرأة؟ انظر ما يقوله اشعياء النبي عنه: "فاقتربت الى النبية، فحبلت وولدت ابناً. فقال لي الرب ادع اسمه، "اسرع وأسر، واتلف بسرعة" (اش 8 : 3، 4). لأنه في نفس توقيت ميلاد المسيح اتلفت قوة الشيطان. لأنه في دمشق كان الشيطان موضوع الخدمة الدينية، وكان له هناك عابدون، ولكن حينما ولدت العذراء القديسة انكسرت قوة طغيان، اذ ان الوثنيين انجذبوا الى معرفة الحق وكان باكورتهم وقادتهم المجوس الذين جاءوا من المشرق الى اورشليم، الذين كان معلمهم هي السماء واستاذهم هو النجم.

لذلك لا تنظر الى المضطجع في المذود على انه مجرد طفل، بل في فقرنا انظر ذاك الذي هو غني كاله. وفي مستوى بشريتنا انظر ذاك الذي يفوق سكان السماء، ولذلك فانه يمجد من الملائكة القديسين. وما أرفع تلك التسبحة: "المجد لله في الأعالي، وعلى الأرض السلام، وفي الناس المسرة!" لأن الملائكة ورؤساء الملائكة والعروش والسيادات، وأعلى منهم السيرافيم، هم يحفظون رتبهم المعينة، وهم في سلام مع الله. لأنهم لا يتعدون ارادته الصالحة أبداً بأي طريقة. بل هم ثابتون وراسخون في البر والقداسة. أما نحن المخلوقات البائسة، فقد وضعنا انفسنا في موضع الأعداء بالنسبة للرب. لأننا وضعنا شهواتنا الخاصة ضد مشيئته. ولكن المسيح قد أبطل كل هذا! "لأنه هو سلامنا" (أف 2 : 14) لأنه قد وحدنا مع الله الآب بواسطة نفسه اذ قد رفع سبب العداوة من الوسط وأعني به الخطية، وهكذا هو يبررنا بالايمان، ويجعلنا قديسين وبلا لوم. والذين كانوا بعيدين يدعوهم قريبين اليه. والى جانب ذلك، فقد خلق الشعبين في انسان واحد جديد، صانعاً سلاماً ومصالحاً الاثنين في جسد واحد مع الآب. لأنه قد سر الله الآب ان يجمع فيه كل الاشياء (أف 1 : 10) في واحد جديد متكامل، وأن يربط الاشياء السفلى مع الاشياء التي هي فوق، ويجعل الذين في السماء والذين على الأرض رعية واحدة. لذلك فالمسيح قد صار لنا سلاماً ومسرة، الذي به ومعه لله الآب المجد والكرامة والقدرة مع الروح القدس الى دهر الدهور آمين.

عظة (3)

عيد الختان

لو 2 : 21–24 ولما تمت ثمانية أيام ليختنوا الصبي سمي يسوع كما تسمى من الملاك قبل ان حبل به في البطن. ولما تمت أيام تطهيرها حسب شريعة موسى صعدوا به الى اورشليم ليقدموه للرب، كما هو مكتوب في ناموس الرب ان كل ذكر فاتح رحم يدعى قدوساً للرب، ولكي يقدموا ذبيحة كما قيل في ناموس الرب زوج يمام او فرخي حمام.

الجمع الذي اجتمع هنا كثير جداً، والسامعون شغوفون – فنحن نرى الكنيسة ممتلئة – ولكن المعلم فقير. ومع ذلك فالذي يعطي الانسان فماً ولساناً، سوف ينعم علينا بأفكار صالحة. اذ يقول الرب نفسه في مكان ما "أفغر فاك وأنا أملأه" (مز 81 : 10) حيث أنكم جميعاً قد اجتمعتم معاً باهتمام في مناسبة هذا العيد المرح الذي للرب، لذلك فلنحتفل بالعيد بمشاعر البهجة وبأنوار ساطعة، ولنشغل أنفسنا بالتفكير فيما تحقق في هذا اليوم بطريقة الهية، جامعين لأنفسنا من كل ناحية ما يثبتنا في الايمان والتقوى.

ولكننا – منذ فترة وجيزة رأينا عمانوئيل مضطجعاً كطفل في المزود وملفوفاً بشكل بشري في الأقماط، ولكنه مجد كإله بتسابيح جمهور الملائكة القديسين، لأنهم بشروا الرعاة بميلاده اذ ان الله الآب قد منح لسكان السماء الامتياز الخاص بأن يكونوا أول من يبشر به. واليوم ايضاً نراه مطيعاً لقوانين موسى، او بالاحرى قد رأينا ذاك الذي هو المشرع يخضع لقوانيه التي شرعها. والسبب في هذا يعلمنا إياه بولس الحكيم جداً بقوله: "لما كنا قاصرين كنا مستعبدين تحت أركان العالم، ولكن حين جاء ملء الزمان أرسل الله ابنه مولوداً من امرأة، مولوداً تحت الناموس ليفتدي الذين تحت الناموس" (غل 4 : 3–5).

لذلك فالمسيح افتدى من لعنة الناموس اولئك الذين بوجودهم تحت الناموس كانوا عاجزين عن تتميم قوانينه. وبأي طريقة افتداهم؟ بتتميم الناموس او بعبارة أخرى: انه لكي يكفر عن ذنب معصية آدم، فقد أظهر نفسه مطيعاً وخاضعاً من كل الوجوه لله الآب عوضاً عنه، لأنه مكتوب: "كما بمعصية الانسان الواحد جعل الكثيرون أبراراً" (رو 5 : 19). لذلك فقد أحنى عنقه للناموس مشتركاً معنا. لأن هذا ما استلزمته خطة الخلاص. لأنه هكذا يليق به ان يكمل كل بر. لأنه اذ قد اتخذ صورة عبد، وقد حسب بين اولئك الخاضعين للنير بسبب طبيعته البشرية، بل انه مرة دفع نصف الشاقل للذين يجمعون الجزية، رغم انه حر بالطبيعة. وكابن لم يكن مفروضاً عليه ان يدفع ضريبة. لذلك حينما تراه يحفظ الناموس، فلا تتعثر، ولا تضع الحر بين العبيد، بل بالحري تأمل في عمق تدبير الخلاص. لذلك فعند وصول اليوم الثامن، الذي جرت العادة ان يتم فيه الختان في الجسد بحسب أمر الناموس، نجده يسمى باسم يسوع الذي تفسيره يشير الى خلاص الشعب. لأنه هكذا أراد الله الآب ان يسمي ابنه، حينما يولد بالجسد من امرأة. لأنه عندئذ

صار خلاص الشعب بنوع خاص، وليس خلاص واحد فقط، بل كثيرين، وبالحري كل شعب بل والعالم كله. اذن فقد أخذ اسمه في نفس الوقت الذي ختن فيه.

ولكن تعالوا ودعونا نفتش ونرى، ما هو اللغز، وما هي الأسرار التي يقودنا اليها هذا الحادث. لقد قال بولس المبارك "ليس الختان شيئاً، وليست الغرلة شيئاً" (1كو 7 : 19) وربما يعترض البعض على هذا قائلين هل أمر إله الكل بواسطة موسى الحكيم – بشيء لكي يحفظ برغم أنه لا قيمة له، بل ويصحب الأمر بهذا الشيء عقاب على الذين يخالفون هذا الأمر؟ أقول نعم لأنه فيما يخص طبيعة ذلك الشيء الذي يتم في الجسد فهو ليس شيئاً، ومع ذلك فهو يحمل مثالاً جميلاً للسر، أو بالحري يحتوي على المعنى الخفي لإظهار الحق. لأن المسيح قام من بين الأموات في اليوم الثامن وأعطانا الختان الروحي. لأنه أوصى الرسل القديسين قائلاً: "اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس". ونحن نؤكد ان الختان الروحي يتم بصورة رئيسية في وقت المعمودية المقدسة حينما يجعلنا المسيح مشتركين في الروح القدس. وقد كان يشوع القديم الذي جاء بعد موسى مثالاً ايضاً لهذا. لأنه قاد بني اسرائيل أولاً عبر الأردن، وبعد ذلك مباشرة ختنهم بسكاكين من صوان. هكذا نحن حينما نعبر الأردن فإن المسيح يختتنا بقوة الروح القدس، ليس لتطهير الجسد بل بالحري لقطع النجاسة التي في نفوسنا.

لذلك ختن المسيح في اليوم الثامن وأخذ اسمه كما قلت، لأنه حينئذ خلصنا بواسطته وفيه كما هو مكتوب "وفيه ختنتم ختاناً غير مصنوع بيد بخلع خطايا البشرية بختان المسيح مدفونين معه في المعمودية التي فيها أُقمتم ايضاً معه" (كو 2 : 11) لذلك فإن موته كان من أجلنا. وهكذا ايضاً كانت قيامته وكان ختانه. لأنه قد مات حتى أننا نحن الذين متنا معه في موته لأجل الخطية، لا نعود نحيا للخطية. ولهذا السبب قيل: "ان كنا قد متنا معه فسنحيا ايضاً معه" (2 تي 2 : 11). وقد قيل انه قد مات لأجل الخطية ليس لأنه قد أخطأ، "لأنه لم يفعل خطية ولا وجد في فمه غش" (1 بط 2 : 22). بل بسبب خطيتنا. لذلك فكما متنا معه حينما مات، هكذا ايضاً نقوم معه.

وأيضاً، حينما كان الابن حاضراً بيننا، فرغم انه هو بالطبيعة الله ورب الكل، فانه لا يحتقر حالتنا بسبب ذلك، بل يخضع نفسه معنا لنفس الناموس، رغم انه كإله كان هو نفسه مشرع الناموس. وقد ختن – مثل اليهود – في سن ثمانية أيام لكي يبرهن على خروجه من نفس أصلهم. وذلك لكي لا ينكروه. لأن المسيح كان هو نسل داود المنتظر، وقدم لهم البرهان على هذه العلاقة. ولكن ان كان رغم ختانه يقولون عنه "وأما هذا الانسان فلا نعلم من اين هو" (يو 9 : 29). فربما كان يصير لهم بعض العذر في انكارهم لو لم يكن قد ختن في الجسد وحفظ الناموس.

ولكن بعد ختانه أبطل طقس الختان بمجيء ما كان يرمز له وأعني به، المعمودية. ولهذا السبب فاننا لم نعد نختتن. لأنه يبدو لي ان الختان قد حقق ثلاثة أغراض: فأولاً – أنه أفرز نسل ابراهيم بنوع من

العلامة والختم، وميزهم عن بقية الشعوب. وثانياً انه كان يشير مقدماً الى نعمة وفاعلية المعمودية الالهية، لأنه كما كان في القديم، يحسب المختون ضمن شعب الله بواسطة ذلك الختم، هكذا ايضاً فان من يعتمد يدرج ضمن عائلة الله بالتبني، اذ قد تصور في نفسه المسيح الختم. وثالثاً، انه رمز للمؤمنين حينما يتأسسون في النعمة. حينما يقطعون ويميتون شغب اللذات الجسدية والشهوات بسكين الايمان الحاد وبأعمال النسك، وهم لا يقطعون الجسد، بل ينقون القلب ويصيرون مختونين بالروح وليس بالحرف الذي مدحه ليس من الناس بل من فوق كما يشهد بولس الالهي. (رو 2 : 29).

وبعد ختانه تنتظر العذراء الى وقت تطهيرها، وحينما تكتمل الأيام وتصل الى ملء الأربعين يوماً، فإن الله الكلمة الجالس في عرش الآب، يحمل الى اورشليم ويأتون به الى حضرة الآب بطبيعة بشرية مثلنا وبواسطة ظل الناموس يحسب في عداد الأبكار، لأنه منذ قبل التجسد كان الأبكار مقدسين، ومكرسين لله، ويقدمون لله بحسب الناموس. آه! كم هو عظيم وعجيب تدبير الخلاص! "يا لعمق غنى الله وحكمته وعلمه" (رو 11 : 33). فإن ذلك الذي هو في حضن الآب، الابن المشارك له في عرشه والمساوي له في الأزلية، الذي به خلقت كل الاشياء في الوجود نراه رغم ذلك يخضع لمقياس الطبيعة البشرية، بل ويقدم كتقدمة لأبيه رغم انه يُكرم ويُمجد معه من الجميع. وماذا قدم هو؟ انه كبكر وذكر قدم زوج يمام او فرخي حمام حسب أمر الناموس. ولكن الى ماذا يشير اليمام؟ وايضاً الى ماذا يشير الحمام؟ تعالوا اذن ودعونا نبحث هذا الأمر. فالواحد منهم هو أكثر طيور الحقل في اصدارها للأصوات أما الآخر فهو مخلوق هادئ ووديع. وهكذا صار مخلص الكل بالنسبة لنا مظهراً أكمل وداعة ولطف من نحونا. وايضاً مثل اليمام، فانه يهدئ العالم، ويملأ حقله الخاص الذي هو نحن المؤمنين به بنغم صوته الحلو. لأنه مكتوب في نشيد الأنشاد "صوت اليمامة سمع في أرضنا" (نش 2 : 12). لأن المسيح قد كلمنا برسالة الانجيل الالهية التي هيئ لخلاص العالم كله.

اذن فقد قدم اليمام او الحمام حينما قُدم للرب. وفي هذا يمكن ان نرى التقاء الحقيقة والرموز معاً في نفس الوقت. والمسيح قدم نفسه رائحة طيبة لله. لكي يقدمنا نحن بواسطة نفسه وفي ذاته لله الآب، وهكذا يلاشي العداوة الناشئة عن عصيان آدم، ويبطل الخطية التي استعبدتنا جميعاً، لأننا نحن الذين كنا نصرخ منذ زمن طويل قائلين: "التفت الي وارحمني" (مز 25 : 16).

لوقا 2 : 25 – 35

عظة (4)

سمعان الشيخ

لو 2 : 25–32 وكان رجل في اورشليم اسمه سمعان. وهذا الرجل كان باراً تقياً ينتظر تعزية اسرائيل، والروح كان عليه. وكان قد أوحي اليه بالروح القدس انه لا يرى الموت قبل ان يرى مسيح الرب. فأتى بالروح الى الهيكل. وعندما دخل بالطفل يسوع أبواه ليصنعا ليقدم حسب عادة الناموس أخذه على ذراعيه وبارك الله وقال: "الآن تطلق عبدك يا سيد حسب قولك بسلام لأن عيني قد أبصرتا خلاصك. الذي اعددته أمام وجه جميع الشعوب. نور اعلان للأمم ومجداً لشعبك اسرائيل. وكان يوسف وأمه يتعجبان مما قيل. وباركهما سمعان وقال لمريم، ها ان هذا قد وضع لسقوط وقيام كثيرين في اسرائيل ولعلامة تقاوم. وأنت ايضاً يجوز في نفسك سيف. لتعلن أفكار من قلوب كثيرة".

يقول اشعياء النبي، "ما أجمل أقدام المبشرين بالخيرات" (اش 52 : 7). وهل هناك شيء أحلى من ان تتعلم ان الله قد خلص العالم بواسطة ابنه وذلك بأن صار انساناً مثلنا؟ كما هو مكتوب "يوجد اله واحد ووسيط واحد بين الله والناس، الانسان يسوع المسيح، الذي بذل نفسه فدية لأجلنا". لأنه من تلقاء نفسه نزل الى فقرنا لكي يجعلنا اغنياء بحصولنا على ما هو له.

أنظروه اذن، كانسان مثلنا وهو يُقدم الى الآب، أنظروه وهو يطيع ظلال الناموس ويقدم ذبيحة بحسب ما كانت العادة حينئذ، رغم ان هذه الأمور قد تمت بواسطة والدته حسب الجسد. فهل لم يتعرف عليه أحد بالمرة في اورشليم في ذلك الوقت؟ وهل لم يعرفه أحد من سكانها؟ كيف يمكن ان يكون هذا؟ فان الله الآب قد سبق وأعلن بواسطة الانبياء القديسين ان الابن سيظهر في الوقت المعين ليخلص الذين هلكوا ولينير على الذين كانوا في الظلمة. وقد قال بواسطة احد الأنبياء القديسين "بري يأتي سريعاً ورحمتي تعلن وخلاصي يتقد كمصباح" (اش 62 : 1). ولكن الرحمة والبر هما المسيح، لأننا به حصلنا على الرحمة والبر، اذ قد غسلنا من شرورنا الدنسة بالايمان به. وكما يضيء المصباح أمام اولئك الذين يسيرون في الليل والظلمة، هكذا صار المسيح لأولئك الذين في الكآبة والظلمة العقلية، غارساً فيهم النور الالهي. ولأجل هذا السبب ايضاً صلى الانبياء لكي يصيروا شركاء نعمته العظيمة قائلين: "ارنا يارب رحمتك واعطنا خلاصك" (مز 85 : 7).

حُمل المسيح اذن الى الهيكل وهو بعد طفل رضيع على صدر أمه، وسمعان المبارك اذ كان قد مُنح نعمة البنوة أخذه على ذراعيه، وبارك الله وهو ممتلئ بأعظم فرح قائلاً: "الآن يا سيد تطلق عبدك حسب

قولك بسلام، لأن عيني قد أبصرتا خلاصك الذي أعددته أمام وجه جميع الشعوب، نور اعلان للأمم، ومجداً لشعبك اسرائيل".

لأن سر المسيح قد أعد من قبل تأسيس العالم، أظهر في الأزمنة الأخيرة وصار نوراً لأولئك الذين في الظلمة والضلال قد سقطوا تحت يد ابليس. هؤلاء هم الذين كانوا يعبدون "المخلوق بدلاً من الخالق" (رو 1 : 25)، عابدين التنين مصدر الشر والشياطين النجسة التي يقدمون لها الكرامة اللائقة بالله. ومع ذلك فقد دعوا الآن من الله الآب ليعرفوا الابن الذي هو النور الحقيقي. وباشفاق قال عنهم بصوت النبي "سوف أصنع لهم آيات، وأقبلهم لأني سأفديهم، ويكثيرون كما كثروا، وسأزرعهم بين الشعوب. والذين هم بعيدون سيذكرونني" (زك 10 : 8، 9). (سبعينية). فكثيرون هم الذين كانوا بعيدين، ولكنهم قد دعوا بواسطة المسيح. وأيضاً هم كثيرون كما كانوا من قبل. لأنهم قد قبلوا وافتدوا، اذ قد حصلوا من الله الآب على التبني في عائلته وعلى النعمة التي بالايمان بيسوع المسيح، وذلك كعلامة للسلام. والتلاميذ الالهيون قد زرعوا باتساع بين الشعوب. وماذا كانت النتيجة؟ ان أولئك الذين كانوا بعيدين من الله قد صاروا قريبين. والذين يرسل اليهم بولس الالهي ايضاً رسالة قائلاً: "انتم الذين كنتم قبلاً بعيدين صرتم قريبين بدم المسيح" (أف 2 : 13). واذ قد جعلوا قريبين فانهم يجعلون المسيح هو فخرهم ومجدهم. ولأن الله الآب قد قال عنهم ايضاً "سأقويهم بالرب الههم فيفتخرون باسمه يقول الرب" (زك 10 : 12 سبعينية). وهذا ايضاً ما يعلمهم المرنم المبارك كما لو كان يتحدث الى المسيح مخلص الجميع فيقول: "يارب في نور وجهك سيسلكون وباسمك سيبتهجون اليوم كله، وبيدك سيرتفعون لأنك فخر قوتهم" (مز 89 : 15، 16). ونجد أرميا النبي ايضاً يدعو الله قائلاً: "يارب قوتي وعوني وملجأي في يوم الضيق، اليك تأتي الأمم من أطراف الأرض ويقولون، آباؤنا اتخذوا لأنفسهم آلهة كاذبة لا يوجد فيها عون" (أر 16 : 19).

لذلك فالمسيح صار نو إعلان للأمم، ولكنه صار ايضاً مجداً لاسرائيل. لأنه رغم ان البعض منهم تغطرسوا وعصوا وكانت لهم عقول لا تفهم، الا انه كانت هناك بقية قد خلصت وادخلت الى المجد بالمسيح، وباكورة هؤلاء البقية هم التلاميذ الالهيين الذين أشرق نور شهرتهم لينير العالم كله.

وهناك معنى آخر لكون المسيح "مجد لاسرائيل"، وذلك لأنه جاء منهم حسب الجسد رغم انه هو "الكائن فوق الكل الهاً مباركاً الى الأبد آمين" (رو 9 : 5).

وسمعان الشيخ بارك العذراء القديسة كخادمة للمشورة الالهية، وأدة للولادة التي لا تخضع لقوانين الطبيعة البشرية. فقد ولدت وهي عذراء وذلك بدون رجل، بل بحلول قوة الروح القدس عليها.

وماذا يقول سمعان النبي عن المسيح؟ "ها ان هذا الطفل قد وضع لسقوط وقيام كثيرين في اسرائيل ولعلامة تقاوم". لأن عمانوئيل قد وضع من الله الآب لأجل أساسات صهيون. اذ هو "حجر زاوية مختار كريم" (1 بط 2 : 6) والذين وثقوا به لم يخزوا. ولكن اولئك الذين لم يؤمنوا ولم يستطيعوا ان يعرفوا السر

الخاص به سقطوا وتهشموا. لأن الله الآب قال ايضاً في موضع آخر "هأنذا أضع في صهيون حجر صدمة وصخرة عثرة والذي يؤمن به لن يخزى" (اش 28 : 16 سبعينية). ولكن "كل من يسقط عليه هذا الحجر فانه يسحقه" (لو 20 : 18) ولكن النبي يدعو الاسرائيليين ليكونوا آمنين بقوله: "قدسوا الرب نفسه وهو يكون خوفكم، وان وثقتم به يكون تقديسكم، ولن تصطدموا به كما بحجر صدمة وصخرة عثرة" (اش 8 : 13، 14 سبعينية). ولكن لأن اسرائيل لم يقدسوا عمانوئيل الذي هو الرب وهو الله، ولم يريدوا ان يؤمنوا به فانهم اصطدموا كما بحجر بسبب عدم الايمان. وهكذا تهشم اسرائيل وسقط. ولكن كثيرين من بينهم قاموا ثانية، وأقصد بهم الذين آمنوا به. هؤلاء تحولوا من عبادة ناموسية الى عبادة روحية، تغيروا من روح العبويدة الذي فيهم واغتنوا بذلك الروح الذي يجعل الانسان حراً، أي الروح القدس. وقد صاروا شركاء الطبيعة الالهية وحسبوا اهلاً ان يكونوا ابناء بالتبني، ويحيوا على رجاء الحصول على المدينة العليا. أي ان يكونوا مواطنين في ملكوت السموات.

أما "العلامة التي تقاوم" فيقصد بها الصليب الثمين الذي يقول عنه بولس الحكيم جداً انه "عثرة لليهود وجهالة لليونانيين" (1كو 1 : 23). وايضاً يقول عنه انه "للهالكين جهالة، أما عندنا نحن المخلصين فهو قوة الله للخلاص" (1كو 1 : 18). لذلك فالعلامة التي تقاوم تبدو جهالة لأولئك الهالكين بينما هي خلاص وحياة للذين يعترفون بقوة الصليب.

ويقول سمعان بعد ذلك للعذراء القديسة: "وأنت ايضاً يجوز في نفسك سيف"، ويقصد بالسيف الألم الذي ستعانيه لأجل المسيح حينما تراه مصلوباً. وهي لا تعرف أنه سيكون أقوى جداً من الموت، ويقوم من القبر. ولا تتعجبوا ان العذراء لا تعرف هذا، فاننا سنجد ان الرسل القديسين انفسهم لم يكونوا مؤمنين بهذا في البداية. بل وتوما بعد القيامة لو لم يضع يديه في جنبه، ويتحسس آثار المسامير في يديه لم يكن ليصدق التلاميذ الآخرين حينما أخبروه ان المسيح قد قام وأنه قد أظهر نفسه لهم.

ولذلك فان البشير الحكيم جداً – يعلمنا – من أجل منفعتنا كل الأمور التي احتملها الابن من أجلنا ونيابة عنا، حينما صار انساناً وقبل ان يحمل فقرنا، وذلك لكي نمجده كفادينا، وكسيدنا وكمخلصنا، وكالهنا، الذي به وله مع الله الآب والروح القدس المجد والقوة الى دهر الدهور آمين.

عظة (5)

نمو يسوع في القامة والنعمة

لو 2 : 40 – 52 وكان الطفل ينمو ويتقوى بالروح ممتلئاً حكمة وكانت نعمة الله عليه. وكان أبواه يذهبان كل سنة الى اورشليم في عيد الفصح. ولما كانت له اثنتا عشرة سنة صعدوا الى اورشليم كعادة العيد. وبعدما أكملوا الأيام بقى عند رجوعهما الصبي يسوع في اورشليم، ويوسف وأمه لم يعلما. واذ ظناه بين الرفقة ذهبا مسيرة يوم وكانا يطلبانه بين الأقرباء والمعارف. ولما لم يجداه رجعا الى اورشليم يطلبانه. وبعد ثلاثة أيام وجداه في الهيكل جالساً في وسط المعلمين يسمعهم ويسألهم. وكل الذين سمعوه بهتوا من فهمه واجوبته. فلما أبصراه اندهشا. وقالت له أمه: يا بني لماذا فعلت بنا هكذا؟ هوذا أبوك وأنا كنا نطلبك معذبين. فقال لهما: لماذا كنتما تطلبانني ألم تعلما انه ينبغي ان أكون فيما لأبي؟ فلم يفهما الكلام الذي قاله لهما. ثم نزل معهما وجاء الى الناصرة وكان خاضعاً لهما. وكانت أمه تحفظ جميع هذه الأمور في قلبها. أما يسوع فكان يتقدم في الحكمة والنعمة عند الله والناس.

ان يقال أن "الطفل كان ينمو ويتقوى بالروح، ممتلئاً حكمة، وكانت نعمة الله عليه"، هذا الكلام ينبغي ان يؤخذ على انه يشير الى طبيعته البشرية، وأرجو ان تفحصوا باهتمام في عمق التدبير: فالكلمة يحتمل ويقبل ان يولد في صورة بشرية، رغم انه في طبيعته الالهية ليس له بداية وليس خاضعاً للزمن. والذي هو إله كامل تماماً من كل ناحية، فانه يخضع للنمو الجسدي، وغير الجسدي صارت له أطراف تنمو مع نمو بشريته. والذي هو نفسه الحكمة كلها يمتلئ بالحكمة. وماذا نقول عن هذا؟ – فان الذي كان في صورة الآب — قد صار مثلنا، والغنى أخذ صورة الفقر، والعالي أخذ صورة الاتضاع، والذي له الملء يقال عنه انه ينال ويأخذ. وهكذا فان الله الكلمة اخلى نفسه! لأن الأشياء التي كتبت عنه كانسان تُظهر طريقة اخلائه. لأنه كان امراً مستحيلاً بالنسبة للكلمة المولود من الله ان يسمح بمثل هذه الأشياء ان تكون في طبيعته الخاصة. ولكن حينما صار جسداً أي صار انساناً مثلنا، فانه حينئذ ولد حسب الجسد من امرأة. وقيل عنه انه كان خاضعاً للأمور التي تختص بحالة الانسان، ورغم ان الكلمة لكونه إله كان يستطيع ان يجعل جسده يبرز من البطن في قامة رجل ناضج مرة واحدة، الا ان هذا يكون اعجوبة ومعجزة، ولذلك فانه اعطى لعادات وقوانين الطبيعة البشرية ان يكون لها سلطان على جسده.

لذلك لا تتعثروا في انفسكم حينما تقولون كيف يمكن ان الله ينمو؟ وكيف ينال حكمة جديدة ذلك الذي يعطي النعمة للملائكة والبشر؟ فتأملوا السر العظيم الذي يعطى لنا. لأن البشير الحكيم لم يقدم لنا الكلمة في طبيعته المجردة غير الجسدية ولم يقل عنه وهو في هذه الحالة انه يزداد في القامة والحكمة

والنعمة، ولكنه بعد أن أوضح أنه قد ولد في الجسد من امرأة وأخذ شكلنا، فحينئذ ينسب اليه هذه الخصائص البشرية، ويدعوه طفلاً ويقول انه كان يتقوى في القامة، اذ ان جسده نما قليلاً قليلاً خاضعاً للقوانين الجسدية.

وهكذا ايضاً قيل عنه انه كان يتقدم في الحكمة، لا كمن ينال مؤونات جديدة من الحكمة — لأن الله معروف بأنه كامل تماماً في كل شيء ولا يمكن بالمرة ان يكون ناقصاً في أي صفة مناسبة للاهوت — بل ازدياده في الحكمة هو بسبب ان الله الكلمة اظهر حكمته بالتدريج بما يناسب مرحلة العمر الذي يبلغها الجسد.

اذن فالجسد يتقدم في القامة والنفس تتقدم في الحكمة، لأن الطبيعة الالهية غير قابلة للازدياد لا في القامة ولا في الحكمة اذ ان كلمة الله كامل تماماً. ولذلك فانه لسبب مناسب ربط بين التقدم في الحكمة ونمو القامة الجسدية، بسبب ان الطبيعة الالهية أعلنت حكمتها الخاصة بما يتناسب مع قامة النمو الجسدي.

ينبغي ان أكون فيما لأبي:

لو 2 : 42 "ولما كانت له اثنتا عشرة سنة صعدوا الى اورشليم كعادة العيد".

بعد ان قال البشير ان يسوع كان يتقدم في الحكمة والنعمة، فانه بعد ذلك يبين ان ما يقوله صحيح. لأنه يقدمه لنا في اورشليم برفقة العذراء القديسة في عيد الفصح، ثم يقول انه تخلف هناك، وبعد ذلك وجد في الهيكل جالساً وسط المعلمين يسأل ويجيب على الأسئلة التي تخص تلك الأشياء التي تكلم عنها الناموس منذ القديم، وان الجميع تعجبوا من اسئلته واجوبته. وهكذا ترونه يتقدم في الحكمة والنعمة — وعرف عند كثيرين بسبب هذه الحكمة.

لو 2 : 48 "أبوك وأنا كنا نطلبك معذبين".

أمه كانت تعرف بالتأكيد انه ليس ابن يوسف، ولكنها تكلمت هكذا لتتجنب شكوك اليهود. وعندما قالت ابوك وانا كنا نطلبك معذبين اجابها المخلص:

لو 2 : 49 "ألم تعلما انه ينبغي ان أكون فيما لأبي".

هنا يذكر لأول مرة علانية من هو أباه الحقيقي، ويعلن عن لاهوته هو نفسه، لأنه حينما قالت العذراء القديسة: "يا بني لماذا فعلت بنا هكذا" فحينئذ في الحال أظهر نفسه انه يفوق قامة الاشياء البشرية، وعلمها انها قد صارت أداة للتدبير بولادته بالجسد، ولكنه بالطبيعة والحقيقة هو اله وابن الآب الذي في السماء. ولذلك يقول "ألم تعلما انه ينبغي ان أكون في ما لأبي". وهنا دع اتباع فالنتينوس [9] —

---

[9] فالنتينوس كان ينكر العهد القديم وكان يقول ان اله العهد القديم غير اله العهد الجديد، ولذلك كان ينكر ان الله الآب هو اله العهد القديم واله الناموس والهيكل.

حينما يسمعون ان الهيكل هو هيكل الله وان المسيح الآن هو فيما له، وهو الذي تنبأ عنه الناموس منذ القديم ورمز له بظلال ومثالات – دعهم يخجلون عندما يقولون ان: لا صانع العالم ولا اله الناموس، ولا اله الهيكل كان هو أب المسيح.

الإصحاح الثالث

عظة (6)

أعدوا طريق الرب

لو 3 : 2–6 "كانت كلمة الله على يوحنا بن زكريا في البرية. فجاء الى الكورة المحيطة بالأردن يكرز بمعمودية التوبة لمغفرة الخطايا كما هو مكتوب في سفر أقوال اشعياء النبي القائل صوت صارخ في البرية أعدوا طريق الرب اصنعوا سبله مستقيمة. كل واد يمتلئ وكل جبل وأكمة ينخفض، وتصير المعوجات مستقيمة والشعاب طرقاً سهلة، ويبصر كل بشر خلاص الله".

ان اشعياء المبارك لم يكن يجهل هدف كرازة يوحنا. بل منذ القديم قبل مجيء الزمان بكثير شهد عن هذا الهدف اذ دعا المسيح رب واله. أما يوحنا فقد وصفه بأنه خادمه، وقال عنه أنه سراج يتقدم أمام النور الحقيقي، أي نجم الصباح الذي يبشر باشراق الشمس، معلناً مقدماً مجيء اليوم الذي سيشرق بأشعته علينا. وقال عنه صوت وليس كلمة، يأتي سابقاً ليسوع كما يسبق الصوت الكلمة.

لوقا 3 : 4 "اعدوا طريق الرب اصنعوا سبله مستقيمة".

يوحنا قد اختير ليكون رسولاً ولكنه ايضاً هو آخر الأنبياء. ولأن الرب لم يكن قد أتى بعد، لذلك فهو يقول: "أعدوا طريق الرب". وما معنى أعدوا طريق الرب؟ المقصود هو استعدوا لقبول أي شيء يريد المسيح ان يفعله، حرروا قلوبكم من ظل الناموس، وكفوا عن الرموز، ولا تفكروا فيما بعد تفكيراً منحرفاً. "اصنعوا سبل الله مستقيمة" لأن كل طريق يقود الى الصلاح هو مستقيم وممهد وسهل، ولكن الطريق الآخر المعوج فانه يقود الذين يسيرون فيه الى الشر والضلال. الذين كتب عنهم "الذين طرقهم معوجة وهم ملتوون في سبلهم" (أم 2 : 15). لذلك فاستقامة العقل هي مثل طريق مستقيم ليس فيه اعوجاج. وهكذا كانت صفة المرنم الذي يرتل قائلاً: "لا يلصق بي قلب معوج" (مز 101 : 4). ويشوع بن نون عندما يحث الشعب يقول لهم اجعلوا قلوبكم مستقيمة مع اله اسرائيل" (يش 24 : 23 سبعينية). بينما يوحنا يصرخ "اجعلوا سبلكم مستقيمة. وهذا معناه ان النفس ينبغي ان تكون مستقيمة تظهر ادراكها الطبيعي كما خلق، وهي قد خلقت جميلة ومستقيمة. ولكن حينما تنحرف جانباً وتنقلب حالتها الطبيعية فان هذا يسمى رذيلة وانحراف للنفس. لذلك فالأمر ليس صعباً، لأنه ان كنا نستمر كما خلقنا فإننا سنكون فاضلين.

ولكن حينما يصيح بنا احدهم معترضاً قائلاً: كيف نعد طريق الرب؟ أو كيف نجعل سبله مستقيمة؟ فإنه توجد عوائق كثيرة في طريق أولئك الذين يسعون ان يعيشوا حياة مستقيمة — فهناك الشيطان الذي يبغض كل ما هو جميل. وكذلك حشد الأرواح الشريرة، وايضاً هناك ناموس الخطية نفسه

الذي يعمل في أعضائنا الجسدية، والذي يقاوم ميول العقل نحو الصلاح، وشهوات أخرى كثيرة تسيطر على عقل الانسان – اذن فماذا نفعل – وهناك مثل هذه الصعوبات العظيمة تضغط علينا؟ ان كلمة النبوة ترد على هذه الاعتراضات قائلة: "كل واد يمتلئ، وكل جبل وأكمة ينخفض وتصير المعوجات مستقيمة والشعاب طرقاً سهلة، ويبصر كل بشر خلاص الله".

لو 4 : 6 "ويبصر كل جسد خلاص الله".

وكل جسد يبصر خلاص الله أي الخلاص الذي من الآب، لأنه أرسل ابنه ليكون مخلصاً لنا وعبارة "كل جسد" يقصد بها الانسان عموماً أي كل الجنس البشري. لأنه هكذا سيبصر كل جسد خلاص الله، ليس اسرائيل فقط بل كل بشر، لأن لطف المخلص رب الكل ليس له حدود. وهو لم يخلص أمة واحدة فقط، بل بالحري احتضن العالم كله في شبكته، وقد أنار على كل الذين في الظلمة. وهذا ما رتلت به قيثارة المرنم: "كل الأمم الذين صنعتهم يأتون ويسجدون أمامك يارب" (مز 76 : 9). وفي نفس الوقت فإن بقية اسرائيل تخلص، وذلك كما سبق أن أعلن موسى العظيم منذ القدم قائلاً: "تهللوا أيها الأمم مع شعبه" (تث 32 : 43).

عظة (7)

كرازة يوحنا المعمدان

لو 3 : 7 "وكان (المعمدان) يقول للجموع الذين خرجوا ليعتمدوا منه: يا أولاد الأفاعي من أراكم ان تهربوا من الغضب الآتي؟".

نحن نؤكد ان المعمدان المبارك – لأنه كان ممتلئاً من الروح القدس – لذلك فلم يكن يجهل الأعمال الجسورة التي كان الشعب اليهودي سيجرؤ على القيام بها ضد المسيح. لأنه سبق فعرف أنهم سوف لا يؤمنون به وأنهم سيستخدمون ألسنتهم المملوءة سماً، ليسكبوا شكاواهم واتهاماتهم ضده، متهمينه مرة بأنه مولود من زنى، ومرة أخرى أنه يجري المعجزات بقوة بعلزبول رئيس الشياطين (لو 11 : 15)، ومرة أخرى ايضاً أن به شيطان وأنه ليس أفضل من سامري. لذلك فإذ كان يعرف هذا فإنه يدعو حتى أولئك الذين يتوبوا أشراراً. وهو يوبخهم لأنهم رغم ان عندهم الناموس الذي يتكلم اليهم بسر المسيح، ورغم نبوات الأنبياء عنه، إلا أنهم رغم ذلك صاروا ثقيلي السمع، وغير مستعدين للايمان بالمسيح مخلص الجميع. لأنه يقول "من أراكم ان تهربوا من الغضب الآتي؟" أليس الكتاب الموحى به هو الذي يخبر بسعادة أولئك الذين يؤمنون بالمسيح، ولكنه يحذر مسبقاً أولئك الذين لا يؤمنون والذين هم أصحاب الجهالة، أنهم سوف يدانون بعقاب شديد لا مفر منه؟.

لو 3 : 8 "اصنعوا اثماراً تليق بالتوبة".

وايضاً فان ثمر التوبة هو بالدرجة القصوى، الايمان بالمسيح، ثم يأتي بعده منهج الحياة الانجيلية. وعلى وجه العموم كل أعمال البر المضادة للخطية، التي ينبغي على التائب ان يصنعها كثمار لائقة بالتوبة.

ثم أضاف قائلاً: "لا تبتدأوا تقولون في أنفسكم لنا ابراهيم أباً لأني أقول لكم ان الله قادر ان يقيم من هذه الحجارة أولاداً لإبراهيم".

ها أنتم ترون كيف يحط من كبريائهم الرديء بمهارة عظيمة، ويبين ان ولادتهم من ابراهيم حسب الجسد هي بلا فائدة ولا منفعة. لأن أية منفعة هناك من نبل المولد ان كان الناس لا يمارسون نفس الأعمال الحسنة التي لوالديهم ولا يتمثلون بفضيلة أجدادهم؟ لأن المخلص يقول لهم "لو كنتم أولاد ابراهيم لكنتم تعملون أعمال ابراهيم" (يو 8 : 39) ان علاقة القرابة التي يطلبها الله هي في الصفات والأخلاق. ولذلك فإنه أمر باطل ان يفتخر أحد بقداسة وصلاح والديه، بينما هو نفسه مختلف عنهم وقاصر عن فضيلتهما.

ويتساءل اليهود قائلين ان كان الأمر هكذا فبأية طريقة يتكاثر نسل ابراهيم، وكيف يكون الوعد الذي أعطاه له الله صحيحاً عندما قال له انه سوف يكثر نسله كنجوم السماء؟ الجواب ايها اليهودي هو

بدعوة الأمم، لأنه قيل لابراهيم نفسه انه "باسحق يدعى لك نسل" (تك 21 : 12) وايضاً "قد جعلتك أباً لأمم كثيرة" (تك 17 : 4)، ولكن عبارة "باسحق" تعني، بحسب الموعد. لذلك فهو قد جعل أباً لأمم كثيرة بالايمان، اي في المسيح. وعن هؤلاء أيضاً تكلم الله بصوت حزقيال قائلاً "وأنزع قلب الحجر من لحمهم واعطيهم قلب لحم، لكي يعرفوا اني أنا الرب" (حز 11 : 19) والمعمدان المبارك يدعو الأمم بوضوح "الحجارة"، لأنهم لم يكونوا بعد يعرفون الذي هو بالطبيعة الله، بل كانوا في ضلال وفي حماقتهم العظيمة قد عبدوا المخلوق بدل الخالق. ولكنهم مع ذلك قد دعوا من الله وصاروا ابناء ابراهيم. وبايمانهم بالمسيح اعترفوا بالذي هو الله بالطبيعة.

ولكن لكي يفيد سامعيه بدرجة أكبر فان المعمدان المبارك يقول لهم شيئاً أكثر: "والآن قد وضعت الفأس على أصل الشجرة" (لو 3 : 9)، ولكنه في هذه العبارة يشير بكلمة "الفأس" الى غضب الله الشديد الذي أنزله الله الآب على اليهود بسبب شرهم ضد المسيح وعنفهم وتهورهم، لأن الغضب أتى عليهم مثل فأس. وهذا ما شرحه لنا زكريا النبي بقوله: "ويكون النوح في اورشليم كالنوح على بستان الرمان المقطوع في الواد" (زك 12 : 11 سبعينية). وأرميا ايضاً يخاطبها هكذا: "دعا الرب اسمك زيتونة خضراء جميلة الصورة. وعند امتلائها أوقد ناراً عليها فانكسرت اغصانها وكان النواح عليها عظيماً. ورب الجنود غارسك قد تكلم عليك شراً" (ارميا 11 : 16، 17).

ويمكن ان نضيف الى هذا ايضاً المثل الوارد في الانجيل عن شجرة التين غير المثمرة ولم تعد من نوع جيد، فان الله قطعها. ومع ذلك فهو لا يقول ان الفأس قد وضع في أصل الشجرة، بل على أصل الشجرة اي بالقرب من الأصل. لأن الأغصان قد قطعت أما الشجرة فلم تخلع من جذورها ذلك لأن بقية اسرائيل قد خلصت ولم تهلك بالمرة.

عظتي (8، 9)

لوقا 3 : 10 –14 "وسأله الجموع قائلين فماذا نفعل؟ فأجاب وقال لهم من له ثوبان فليعط من ليس له، ومن له طعام فليفعل هكذا. وجاء عشارون ايضاً ليعتمدوا. فقالوا له يا معلم – ماذا نفعل فقال لهم: لا تستوفوا اكثر مما فرض لكم وسأله جنود أيضاً قائلين: وماذا نفعل نحن؟ فقال لهم: لا تظلموا أحداً ولا تشوا بأحد، واكتفوا بعلائفكم".

ان لوقا المغبوط قد قدم ثلاث أنواع من الناس يسألون يوحنا المعمدان: وهم الجموع، والعشارون وثالثاً الجنود. وكما ان الطبيب الماهر يقدم لكل نوع من المرض العلاج المناسب والملائم، هكذا ايضاً المعمدان قد اعطى لكل طريقة في الحياة مشورة نافعة ولائقة طالباً من الجموع في طريق توبتهم ان يمارسوا الرحمة المتبادلة. والعشارون يمنعهم من الطمع وأخذ ما هو أكثر من المفروض، وبحكمة عظيمة يخبر الجنود ألا يظلموا أحداً وان يكتفوا بأجورهم.

عظة (10)

المعمدان والمسيح

لوقا 3 : 15 – 17 "واذ كان الشعب ينتظر والجميع يفكرون في قلوبهم عن يوحنا لعله المسيح. أجاب يوحنا الجميع قائلاً أنا أعمدكم بماء ولكن يأتي من هو أقوى مني الذي لست أهلاً أن أحل سيور حذائه. هو سيعمدكم بالروح القدس ونار. الذي رفشه في يده. وسينقي بيدره. ويجمع القمح الى المخزنه وأما التبن فيحرقه بنار لا تطفأ".

مكتوب أن "الأب البار يربي أولاده حسناً جداً". لأن أولئك الذين يكتسون بمجد البر الذي بواسطة المسيح ويعرفون وصاياه المقدسة، سوف يدربون أولاده في الايمان بتقوى وبطريقة ممتازة. اذ يعطونهم ليس الخبز المادي الأرضي بل الخبز الذي من فوق، اي من السماء. وهذا الخبز يذكره المرنم العجيب حيث يقول "خبز يسند قلب الانسان، وخمر تفرح قلب الانسان" (مز 104 : 15). لذلك تعالوا بنا الآن لنسند قلوبنا، وليكن ايماننا بالمسيح يقينياً وذلك بفهمنا لمعنى هذا الكتابات الانجيلية التي قرئت علينا الآن فهماً صحيحاً فيقول الانجيل "اذ كان الشعب ينتظر والجميع يفكرون في قلوبهم عن يوحنا ألعله المسيح، أجابهم بالكلمات التي قرأناها حالاً.

لقد لاحظوا باعجاب جمال طريقة حياة يوحنا الذي لا يقارن، ولمعان سلوكه، وتقواه الفائقة التي لا تجارى. لأنه كان عظيماً جداً ومثيراً للاعجاب حتى ان الجمهور اليهودي بدأوا يفكرون عنه هل هو المسيح نفسه الذي وصفه الناموس لهم في ظلال وسبق الأنبياء القديسين فأخبروا عنه. ولأن البعض تجرأوا ان يفكروا هكذا لذلك نرى المعمدان يقطع ظنونهم في الحال مقدماً كعبد الكرامة التي تليق بالسيد وناسباً المجد لذلك الذي يفوق الكل اي المسيح. لأنه كان يعرف ان المسيح أمين لأولئك الذين يخدمونه. وما يعترف به يوحنا انما هو الحق تماماً لأن المسافة التي تفصل بين الله والانسان تفوق القياس. لذلك فهو يقول "أنتم انفسكم تشهدون لي اني قلت لست أنا المسيح، بل اني مرسل قدامه" (يو 3 : 28). ولكن أين سنجد القديس المعمدان يتكلم هكذا؟ هذا نجده في انجيل يوحنا الذي كتب عنه هكذا "وهذه هي شهادة يوحنا حين أرسل الكتبة والفريسيون في أورشليم ليسألوه ان كان هو المسيح؟ فاعترف ولم ينكر وأقر اني لست أنا المسيح. ولكنني مرسل أمامه" (يو 1 : 19). لذلك فانه عظيم بالحقيقة ومثير للإعجاب هو يوحنا السابق للمسيح الذي كنور الفجر قبل ظهور نور المخلص الساطع. وهو المقدمة لنور النهار الروحي. وهو جميل كنجم الصبح ويدعى مصباح (اش 62 : 1) الله الآب.

وبعد ان أعلن عن نفسه انه ليس هو المسيح، فإنه الآن يقدم براهين – ينبغي ان نتناولها بالضرورة – ومن هذه البراهين يمكن ان نعرف المسافة الشاسعة جداً التي تفصل بين الله والانسان، بين العبد والرب،

بين الذي يخدم وذاك الذي تقدم له الخدمة، بين الذي يتقدم كخادم والذي يضيء ساطعاً بالكرامة الالهية. والآن، ما هو البرهان؟

أولاً– يقول المعمدان: أنا اعمدكم بماء، ولكن يأتي بعدي من هو أقوى مني الذي لست مستحقاً ان أنحني وأحل سيور حذائه.

وكما قلت فإن الاختلاف لا يمكن مقارنته، والعلو لا يمكن قياسه، وذلك لأن المعمدان المبارك، وهو عظيم جداً في الفضيلة يعلن أنه غير مستحق حتى ان يلمس حذاءه. وان اعلان المعمدان هذا هو حق وصدق، لأنه ان كانت القوات العقلية في السماء: الرئاسات، والعروش، والربوبيات، والسيرافيم المقدسين أنفسهم الذين يقفون حول العرش الالهي وهم رتبة الخدام، كل هؤلاء يباركونه بتسابيح بلا انقطاع كرب الكل. فهل يستحق ساكن الأرض حتى ان يقترب من الله؟ فرغم انه يحب الانسان وهو حليم لطيف لكن ينبغي ان نعترف بضعف طبيعتنا.

وبعد هذا يقدم المعمدان برهاناً ثانياً قائلاً: أنا أعمدكم بماء، أما هو فسيعمدكم بالروح القدس ونار.

وهذا أيضاً له أهمية عظيمة لكي يبرهن ويوضح ان يسوع هو الله والرب. لأن هذه هي الخاصية الوحيدة والمميزة للجوهر الذي يفوق الكل [10] وهي ان يكون في استطاعته ان يمنح للناس سكنى الروح القدس، ويجعل أولئك الذين يقتربون منه شركاء للطبيعة الالهية. وهذه الخاصية موجودة في المسيح لا كشيء اكتسبه او انتقل اليه من آخر، بل كخاصيته التي يملكها وهي التي تخص جوهره وهي ان يعمد بالروح القدس. اذن فالكلمة، الذي صار انساناً يتضح انه الله، ومن جوهر الآب – ولكن ربما يعترض على هذا اولئك الذين يقسمون المسيح الواحد الى ابنين – وأنا أعني بهم اولئك الذين يقول عنهم الكتاب: أنهم "نفسانيون، ومعتزلون، ولا روح لهم" (يهوذا 1 : 19) – فيعترضون بالقول ان الذي يعمد بالروح هو كلمة الله وليس هو الذي من نسل داود. فأي جواب نقدم على هذا؟ نعم! ونحن ايضاً نؤكد، بدون ان نخاف اي تناقض، ان الكلمة لكونه اله يعطي من ملئه الروح القدس لأولئك الذين يستحقونه، ولكنه لا يزال يفعل هذا حتى حينما صار انساناً، لكونه الابن الوحيد مع الجسد المتحد به بطريقة تعلو على الفحص وتفوق الفهم. ولذلك فإن المعمدان المبارك بعد ان قال أولاً: "**لست مستحقاً ان انحني وأحل سيور حذائه**"، أضاف بعدها مباشرة: "**هو سيعمدكم بالروح القدس ونار**". وهو هنا يستعمل بوضوح الحذاء ليعني به القدمين. لأن ليس أحد له عقل يقظ يمكن ان يقول ان الكلمة – حينما كان بدون جسد ولم يكن قد صار مثلنا بعد يمكن ان يكون له قدمان وحذاء. ولكن صار له هذا فقط حينما صار انساناً

---

(10) اي جوهر الله.

استمر الهاً كما هو. وحينما صار في الجسد عمل الأعمال اللائقة باللاهوت وذلك بأن أعطى الروح لأولئك الذين يؤمنون به لأنه هو نفسه بشخصه الواحد هو اله وانسان في نفس الوقت.

ولكنه يعترض [11] قائلاً: أن الكلمة عمل أعمال اللاهوت بواسطة ذلك الذي هو من نسل داود. فان كنت تجادل هكذا فنحن سنرد عليك بكلمات يوحنا نفسه لأنه قال لليهود: "**يأتي بعدي رجل صار قدامي لأنه كان قبلي وأنا لم أكن أعرفه، لكن الذي ارسلني لأعمد بالماء ذاك قال لي، الذي ترى الروح نازلاً ومستقراً عليه فهذا هو الذي يعمد بالروح القدس، وأنا قد رأيت وشهدت ان هذا هو ابن الله**" (لو 1 : 30، 33، 34). انظروا اذن كيف يدعوه انساناً بكل وضوح اذ يقول: "**رجل قدامي**" وانه كان قبله لأنه بكل وضوح يسبقه بطبيعته الالهية والتي بمقتضاها ايضاً قال هو نفسه بكل وضوح لليهود "**الحق أقول لكم قبل ان يكون ابراهيم انا كائن**" (لو 8 : 58). ثم يقول يوحنا ايضاً ان الروح أتى عليه من السماء فهل هم يدعون ان الروح أتى على كلمة الله حينما كان مجرداً وبدون جسد؟ وهل يعتبرون الذي يعطي الروح (أي كلمة الله) انه يحصل على روحه الخاص؟ أم بالحري فإن المعنى انه قد حصل على الروح في طبيعته البشرية، فإنه في طبيعته الالهية يعمد بالروح القدس؟ لأنه هو نفسه فريد ووحيد وحده، وهو بالحقيقة ابن الله الآب كما شهد عنه المعمدان المبارك متعلماً من الله – قائلاً: "**وأنا قد رأيت وشهدت ان هذا هو ابن الله**".

وهل تريدون برهاناً ثالثاً، بالإضافة الى ما سبق؟ انظروا انه يقول: "**رفشه في يده، ويجمع القمح الى المخزن وأما التبن فيحرقه بنار لا تطفأ**". لأنه يقارن أولئك الذين على الأرض بسنابل القمح أو بالحري ببيدر الدراسة والقمح الذي فيه. لأن كل واحد منا ينمو مثل سنبلة القمح. والرب حينما كان يكلم الرسل القديسين عمل مقارنة مماثلة عن حالتنا، اذ قال: "**الحصاد كثير ولكن الفعلة قليلون فاطلبوا من رب الحصاد ان يرسل فعلة الى حصاده**" (لو 10 : 2)، لذلك فنحن الذين على الأرض ندعى سنابل قمح ونسمى بالحصاد. وهذا الحصاد هو ملك لله فوق الكل، لأنه هو رب الكل. ولكن انظروا! فإن المعمدان المبارك يقول ان البيدر يخص المسيح كمالك له، ولذلك فهو الذي ينقيه اذ يزيل ويفصل التبن من القمح لأن القمح يشير الى الأبرار الذين لهم ايمان ثابت وراسخ، أما التبن فيشير الى ضعاف الفكر والذين يغوي قلبهم بسهولة. وهم خائفون وجبناء ويحملون بأي ريح. ويقول ان القمح حينئذ يجمع في المخزن اي يحسب مستحقاً للأمان في يد الله ومستحقاً للرحمة والحماية والحب، أما التبن فيحرق في النار كمادة لا نفع لها.

لذلك فبكل طريقة يمكن ان نلاحظ ونعرف ان الله، حتى حينما صار انساناً فانه مع ذلك استمر

---

(11) غالباً يقصد بالمعترض نسطور.

كما هو إبناً واحداً لأنه يمارس الأعمال التي تخص اللاهوت، اذ هو يملك جلال ومجد اللاهوت بغير انفصال. فان كنا نؤمن هكذا فسيكللنا بنعمته، الذي به وله مع الله الآب المجد والسلطان مع الروح القدس الى الدهر الدهور آمين.

عظة (11)

ظهور الرب وقت المعمودية

لو 3 : 21 – 23 "وحدث انه لما اعتمد جميع الشعب اعتمد يسوع ايضاً. واذ كان يصلي انفتحت السماء ونزل عليه الروح القدس بهيئة جسمية مثل حمامة. وكان صوت من السماء قائلاً: أنت ابني الحبيب بك سررت. ولما ابتدأ يسوع كان له نحو ثلاثين سنة".

هيا بنا ايضاً، لكي نركز أذهاننا عن قصد على الكتب الانجيلية، وذلك لكي ننظر جمال الحق. تعالوا بنا لنوجه عيون عقولنا الفاحصة المدققة نحو سر المسيح، ولننظر بدهشة مهارة التدبير الالهي العجيبة: فاننا بهذا سنرى مجده. وعندما نعمل هذا فإنه يهبنا حياة لنفوسنا كما أكد لنا هو نفسه حينما كان يتحدث الى الآب السماوي بقوله "هذه هي الحياة الأبدية ان يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي ارسلته" (لو 17 : 3). اذن فكيف ارسل؟ وما هي طريقة مجيئه الينا؟ لأنه اذ هو بالطبيعة الله الذي يملأ الكل، فكيف كما يقول المبارك يوحنا الانجيلي، "انه كان في العالم" (يو 1 : 10)، وهو نفسه الرب؟ وكيف أرسل من الآب، في حين أنه كإله هو خالق كل الاشياء وحافظها؟ لأن الأشياء قد تأسست بواسطته.

ان الحكيم يوحنا الانجيلي يعلمنا قائلاً: "والكلمة صار جسداً". ولكن ربما يقول أحد "ماذا اذن؟ هل كف عن أن يكون هو الكلمة؟، وهل تغير الجسد؟ هل سقط من جلاله؟ وهل جرى له تحول الى شيء لم يكن عليه سابقاً؟" اننا نقول ليس الأمر هكذا، حاشا من ذلك. لأنه بالطبيعة غير قابل للتغير. لذلك فبقوله "الكلمة صار جسداً" (يو 1 : 14) فإن الانجيل يعني انه صار انساناً مثلنا. لأننا نحن أنفسنا ايضاً كثيراً ما ندعى جسداً. لأنه مكتوب ويبصر كل جسد خلاص الله" (اش 40 : 5 س) ويعني به ان كل انسان سيبصر خلاص الله. لذلك فبينما هو يحتفظ بما كان عليه بدون تغيير، إلا أنه اذ صار في حالتنا فانه أخذ شبهنا، ولذلك يقال انه قد صار جسداً.

انظروه اذن كانسان، وهو يحتمل معنا الأمور التي تختص بحالة الانسان، انظروه وهو يكمل كل بر، لأجل خطة الخلاص. وهذا أنت تتعلمه مما يقوله الانجيل: "وحدث انه لما اعتمد جميع الشعب اعتمد يسوع ايضاً، وصلى" فهل كان هو ايضاً في احتياج الى المعمودية المقدسة. وأية منفعة تحصل لها منها؟ ان كلمة الله الوحيد هو قدوس من القدوس. وهكذا يدعونه السيرافيم في تسابيحهم، وهكذا يدعوه الناموس في كل مكان، ومحفل الأنبياء القديسين يتفقون في هذا مع كتابات موسى. ما الذي نحصل عليه نحن من المعمودية المقدسة؟ واضح انه غفران خطايانا. ولكن يسوع لم يكن فيه شيء من الخطية، "لأنه لم يفعل خطية ولم يوجد في فمه غش" (1 بط 2 : 22) كما يقول الكتاب. "وهو قدوس بلا شر ولا دنس قد

انفصل عن الخطاة وصار أعلى من السموات" (عب 7 : 26) بحسب كلمات بولس الالهي.

ولكن ربما يقول أحد من غير المتدربين في الايمان: "هل هو اذن كلمة الله الذي اعتمد؟ هل كان هو محتاجاً ان يصير مشتركاً في الروح القدس؟ أبداً بالمرة – لذلك فهذا هو ما نؤكده ان الانسان الذي كان من نسل داود اتحد معه بالمصاحبة هو الذي اعتمد ونال الروح".

اذن فأنتم قد قسمتم الغير منقسم، الى ابنين، ولأنه اعتمد في سن الثلاثين سنة فقد صار مقدساً بواسطة المعمودية كما تقولون. فهل هو اذن لم يكن مقدساً الى ان وصل الى سن الثلاثين؟ من الذي يوافقكم على هذا، اذ انتم تفسدون الايمان المستقيم الذي بلا لوم؟

لأنه يوجد "رب واحد يسوع المسيح" (1 كو 8 : 6) كما هو مكتوب. ولكننا نؤكد هذا: أنه لم يكن منفصلاً عنه، وكان هو نفسه حينما اعتمد وصار مشتركاً في الروح القدس، لأننا نعرف انه الله، وبلا عيب، وقدوس من قدوس، لأننا نعترف اننا "من ملئه جميعاً أخذنا" (يو 1 : 16) لأن الروح القدس ينبثق حقاً من الله الآب، ولكنه خاص بالابن ايضاً. وكثيراً ما يدعى روح المسيح، رغم انه منبثق من الآب. وهذا ما يشهد له بولس قائلاً: "الذين في الجسد لا يستطيعون ان يرضوا الله، أما أنتم فلستم في الجسد، بل في الروح ان كان روح الله ساكناً فيكم. ولكن ان كان أحد ليس له روح المسيح فذلك ليس للمسيح" (رو 8 : 8، 9) وايضاً يقول "بما انكم ابناء ارسل الله روح ابنه الى قلوبكم صارخاً ايها الآب أبانا" (غل 4 : 6) لذلك فالروح القدس ينبثق حقاً من الله الآب كما قلت، ولكن كلمته الوحيد، لكونه بالطبيعة هو الابن حقاً، وهو يلمع بأمجاد الآب، فانه يعطيه (الروح القدس) للخليقة. يمنحه لأولئك الذين يستحقون. لذلك فقد كان حقاً ما قاله "كل ما للآب هو لي" (يو 16 : 15).

ولكن فلنرد على أولئك الذين يقلبون الايمان الصحيح، بهذا السؤال: "كيف يستطيع ذاك الذي نال الروح، – ان كان هو حسب قولكم – انساناً منفصلاً ومستقلاً بنفسه، كيف يستطيع ان يعمد بالروح القدس ويعطي الروح القدس للذين يعتمدون؟". لأن القدرة مع غيرها من الصفات الأخرى هي خاصية مميزة لله القدير وحده. ولكن ذلك الذي أعطى الروح كان انساناً، لأن يوحنا الحكيم يقول: "يأتي بعدي رجل صار قدامي لأنه كان قبلي". هو سيعمدكم بالروح القدس ونار" (يو 1 : 3، لو 3 : 16) فكما انه غير لائق بالله الكلمة، بصفته الله الكلمة ان يقترب من المعمودية المقدسة ويصير مشتركاً في الروح، هكذا بنفس الطريقة فإنه لا يصدق اطلاقاً، بل بالحري انه من المستحيل ان نؤمن بأن القدرة على تعميد الناس بالروح القدس هي من عمل مجرد انسان لا يزيد عنا في أي شيء.

كيف اذن يكون السر حقيقياً؟ أنه لأجل مساعدتنا اتخذ نوعاً من التكيف. فالكلمة الالهي صار انساناً، كما يقول بولس الحكيم جداً: الذي اذ كان في صورة الله لم يحسب خلسة ان يكون معادلاً لله، لكنه أخذ صورة عبد صائراً في شبه الناس، ووضع نفسه الى الفقر. فابحثوا اذن، من هو ذلك الذي كان

أولاً في صورة الله الآب، وهو في الحقيقة مساو له، ولكنه أخذ صورة عبد، وحينئذ صار انساناً. والى جانب ذلك جعل نفسه فقيراً. هل هو الذي من نسل داود كما يجادلون، الذي يعتبرونه منفصلاً بنفسه كابن آخر، مختلفاً عن كلمة الله الآب؟ ان كان كذلك فدعهم يبينون متى كان مساوياً للآب؟ دعهم يبينون كيف اتخذ صورة عبد؟ او ماذا سنقول عن ماهية صورة العبد تلك؟ وكيف أخلى نفسه؟ فهل يوجد ما هو أفقر من الطبيعة البشرية؟ لذلك فالذي هو صورة الله الآب وشبهه والتعبير الواضح عن شخصه، والذي يشع ببهاء في مساواة معه، والذي هو بالطبيعة حر، ونير ملكوته موضوع على كل الخليقة — هذا هو نفسه الذي اتخذ صورة عبد، أي صار انساناً، وجعل نفسه فقيراً اذ رضى ان يحتمل هذه الأمور البشرية ما عدا الخطية.

انهم يعارضون قائلين: ولكن كيف اعتمد ونال الروح ايضاً؟ فنجيبهم، انه لم يكن محتاجاً للمعمودية المقدسة اذ هو كلي النقاوة وبلا عيب، وقدوس من قدوس. كما انه لم يكن محتاجاً للروح القدس، لأن الروح المنبثق من الآب هو معه ومساو له في الجوهر. ولذلك يجب ان نستمع الآن الى شرح التدبير أي خطة الله: ان الله في محبته للانسان زودنا بطريق للخلاص والحياة. لأننا بالايمان بالآب والابن والروح القدس وباعترافنا بهذا الاقرار أمام شهود كثيرين، فاننا نغسل كل وسخ الخطية ونغتني بالحصول على الروح القدس ونصير شركاء الطبيعة الالهية، وننال نعمة التبني. لقد كان ضرورياً اذن ان كلمة الآب حينما وضع نفسه الى الاخلاء وتنازل ليتخذ شكلنا، كان ضرورياً ان يصير من أجلنا نموذجاً وطريقاً لكل عمل صالح. فالذي هو الأول في كل شيء ينبغي ايضاً ان يضع نفسه مثالاً في هذا. لذلك فلكي نعرف قوة المعمودية المقدسة نفسها والنعمة العظيمة التي نحصل عليها بالاقبال اليها، فانه يبدأ هذا العمل (المعمودية) بنفسه، وحينما اعتمد صلى لكي تتعلموا انتم يا أحبائي ان الصلاة بلا انقطاع هي أمر مناسب جداً لأولئك الذين حسبوا أهلاً للمعمودية المقدسة.

ويقول الانجيلي ان السماء قد انفتحت كما لو كانت مغلقة طويلاً. وقد قال المسيح: "من الآن ترون السماء مفتوحة وملائكة الله يصعدون وينزلون على ابن الانسان" (يو 1 : 51) لأن الجمهور الذي فوق والجمهور الذي تحت قد صارا الآن واحداً، وصار رئيس رعاة واحداً للكل، والسماء قد انفتحت والانسان على الأرض جعل قريباً من الملائكة القديسين. والروح ايضاً نزل، اذ كبداية ثانية لجنسنا جاء على المسيح أولاً الذي ناله ليس لأجل نفسه، بل لأجلنا، لأننا بواسطته (المسيح) وفيه نغتني بكل الاشياء. لذلك فإنه مناسب جداً لتدبير النعمة ان يحتمل معنا الأمور الخاصة بحالة الانسان وفي أي وضع آخر سنراه في إخلاء، ذلك الذي بطبيعته الالهية هو الملء نفسه؟ وكيف صار فقيراً مثلنا ان لم يتطابق مع فقرنا؟ وكيف أخلى نفسه ان كان يرفض ان يحمل مقاييس صغر الانسان؟.

لذلك فاذ قد اتخذنا المسيح كمثال لنا، فلنقترب من نعمة المعمودية المقدسة، لكيما نحصل على

دالة الصلاة بلا انقطاع، ونرفع أيادي مقدسة الى الله الآب، لكي ما يفتح السماء علينا نحن ايضاً، ويرسل علينا الروح القدس، ولكي يقبلنا كأبناء. لأنه تحدث الى المسيح في وقت المعمودية المقدسة، كما لو كان قد قبل الانسان بواسطته وفيه الى البنوة قائلاً "هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت". فالذي هو الابن بالطبيعة والحق، وهو الوحيد الجنس، فانه حينما صار مثلنا أعلن خاصة انه ابن الله، لا كأنه ينال هذا لنفسه – لأنه كما قلت انه كان ولا يزال دائماً هو الابن ذاته – ولكن يعطي المجد لنا نحن – لأنه قد جعل باكورتنا، والبكر، وآدم الثاني، ولهذا السبب كتب ان "كل الاشياء صارت جديدة فيه" (2كو 5 : 15). لأننا اذ قد خلعنا القدم الذي كان في آدم، فقد حصلنا على الجدة التي في المسيح، الذي به ومعه، لله الآب المجد والسلطان مع الروح القدس الى دهر الدهور آمين.

الإصحاح الرابع

عظة (12)

صوم المسيح وتجربته في البرية

لوقا 4 : 1 و2 : أما يسوع فرجع من الأردن ممتلئاً من الروح القدس، وكان يقتاد بالروح في البرية. أربعين يوماً يجرب من ابليس. ولم يأكل شيئاً في تلك الأيام. ولما تمت جاع أخيراً.

حينما يتكلم الأنبياء المباركون عن كلمة الله الوحيد – الذي هو مساو لله في المجد، وشريك عرشه، الذي يضيء معه بمساواة كاملة – فانهم أي الأنبياء يقودوننا الى الاقتناع انه أظهر كمخلص ومحرر لأولئك الذين على الأرض، وذلك بقولهم: "قم يارب، أعني" (مز 44 : 26). لذلك قام وأعان، وذلك باتخاذه صورة عبد، اذ قد صار في شبه الناس، فانه كواحد منا قد أقام نفسه كمنتقم بدلاً منا، منتقم من تلك الحية القاتلة والمتمردة، التي أدخلت الخطية الينا. وبذلك جعلت الفساد والموت يملكان الأرض لكي بواسطته وفيه نحصل على النصرة بينما كنا في القديم مهزومين وساقطين في آدم.

لذلك تعالوا بنا لنسبح الرب ونرتل مزامير لله مخلصنا، هلموا لندوس الشيطان تحت أقدامنا، لنرفع صوت النصر على الذي هو الآن مطروح وساقط، هيا لنرتفع فوق الزحاف الخبيث الذي أمسك في فخ لا فكاك منه، ولنقل عنه نحن أيضاً بكلمات أرميا النبي: "كيف كسرت مطرقة الأرض كلها وضربت! فقد وجدت وأُخذت، لأنك وقفت ضد الرب" (أر 1 : 23 س) لأنه منذ القدم، أي قبل زمن مجيء المسيح مخلص الكل، فإن عدو الجميع كانت له تصورات كبيرة ومخيفة عن نفسه. لأنه كان يفتخر متعظماً على ضعف سكان الأرض قائلاً: "سأمسك العالم في يدي كعش وكبيض مهجور أخذه، ولن يهرب أحد مني أو يتكلم ضدي" (أش 10 : 14 س) وفي الحقيقة لم يكن أحد من أولئك الذين على الأرض يستطيع ان يقوم ضد قوته، ولكن الابن قام ضده وتصارع معه اذ قد صار مثلنا. لذلك كما قلت فإن الطبيعة البشرية كمنتصرة فيه تربح الإكليل. وهذا ما أنبأ به الابن نفسه في الزمن القديم حينما خاطب الشيطان بواسطة أحد الأنبياء القديسين هكذا "ها أنذا عليك أيها الجبل المهلك – المهلك كل الأرض" (أر 51 : 25).

تعالوا اذن وهيا بنا لنرى ماذا يقول الانجيل المبارك، حينما كان المسيح ذاهباً ليحارب لحسابنا ضد ذلك الذي أهلك الأرض **كلها**. **"أما يسوع فرجع من الأردن ممتلئاً من الروح القدس"**. أنظروا هنا، ارجوكم، طبيعة الانسان ممسوحة بنعمة الروح القدس في المسيح كباكورة، ومتوجة بأعلى الكرامات. لأنه منذ القديم قد وعد اله الكل قائلاً: "ويكون في تلك الأيام أني سأسكب من روحي على كل جسد (يوئيل 2 : 28) وقد تحقق الوعد لأجلنا في المسيح أولاً. وبينما يقول الله عن اولئك الذين في القديم، الذين استسلموا لشهوة الجسد بلا ضوابط، "لا يسكن روحي في هؤلاء الناس لأنهم جسد" (تك 4 : 3

سبعينية). أما الآن فلأن كل الأشياء قد صارت جديدة في المسيح وقد اغتنينا بالميلاد الجديد الذي بواسطة الماء والروح – لأننا لم نعد أولاد اللحم والدم، بل بالحري ندعو الله أباً لنا – لذلك اذ صرنا الآن في كرامة بحق، واذ نمتلك امتياز التبني المجيد، فقد صرنا شركاء الطبيعة الالهية بواسطة حصولنا على الروح القدس. ولكن الذي هو البكر في وسطنا، حينما صار هكذا بكراً بين اخوة كثيرين وأعطى نفسه للإخلاء فإنه كان أول من حصل على الروح، رغم أنه نفسه معطي الروح، لكي تصل الينا بواسطته هذه الكرامة ونعمة الشركة مع الروح القدس. والرسول بولس يعلمنا مثل هذا حينما يتحدث عنه وعنا ويقول "لأن المقدس والمقدسين جميعهم من واحد (عب 2 : 11، 12) لهذا السبب لا يستحي ان يدعوهم اخوة قائلاً: اخبر باسمك اخوتي". ولأنه لم يستح بالمرة ان يدعونا اخوة نحن الذين أخذ شكلنا لذلك اذ قد نقل فقرنا الى نفسه، فإنه يتقدس معنا رغم انه هو نفسه مقدس (بكسر الدال) الخليقة كلها. وذلك لكي لا تراه أنت رافضاً لمستوى الطبيعة البشرية، هو الذي رضى من أجل خلاص وحياة الكل ان يصير انساناً.

لذلك، حينما يقول الانجيلي الحكيم عنه "أما يسوع فرجع من الأردن ممتلئاً من الروح"، فلا تعثروا ولا تخطئوا في أفكاركم الداخلية وتحيدوا عن تعليم الحق، فيما يخص الطريق والكيفية التي بها تقدس الكلمة الذي هو الله، بل بالحري افهموا حكمة التدبير التي بسببها، هو موضوع اعجابنا. لأنه قد صار جسداً وأصبح انساناً، لا لكي يتحاشى كل ما يختص بحالة الانسان ويحتقر فقرنا، بل لكي ما نغتني نحن بما هو له، وذلك بأنه قد صار مثلنا في كل شيء ما خلا الخطية. لذلك فهو يتقدس كانسان، ولكنه يقدس كإله، لأنه اذ هو بالطبيعة اله صار انساناً. لذلك يقول الانجيلي. "وكان يقتاد بالروح في البرية أربعين يوماً يجرب من ابليس". فما هو اذن معنى كلمة يقتاد؟ انها لا تعني توصيله الى هناك، بقدر ما تعني أنه أقام واستمر هناك. لأننا نحن أنفسنا ايضاً اعتدنا ان نقول عن أي واحد يحيا بالتقوى، أن فلاناً أو فلاناً أياً كان الشخص انما يحيا حياة صالحة. ونحن نعطي لقب مربي لا لنشير به بحسب معناه الحرفي الى أولئك الذين يقودون الأطفال فعلاً، بل نعني أنهم يعتنون بهم ويدربونهم بطريقة حسنة جديرة بالثناء، مربين اياهم ومعلمين لهم ان يسلكوا بطريقة لائقة.

اذن فهو قد أقام في البرية بالروح، أي روحياً، فانه صام، ولم يمنح أي طعام اطلاقاً لحاجات الجسد. ولكني اتخيل ان البعض قد يعترضون على هذا قائلين:

وما هو الضرر الذي يلحق يسوع من الإقامة الدائمة في المدن؟ وما هو الذي يفيده حتى يختار الإقامة في البرية؟ فليس هناك شيء حسن يحتاج اليه. وأيضاً لماذا هو يصوم؟ وما الذي كان يلزمه لكي يتعب وهو الذي لا يعرف أي احساس بتحرك أي رغبة منحرفة؟ فنحن نمارس الصوم كوسيلة نافعة جداً نميت اللذات بواسطته ونقاوم قانون الخطية الذي في أعضائنا، ونقتلع تلك العواطف التي تؤدي الى الشهوة الجسدية. أما المسيح فأي حاجة له الى الصوم؟ فهو الذي بواسطته يبيد الآب الخطية في الجسد. وبولس

الالهي اذ عرف هذا كتب: "لأن الناموس فيما كان عاجزاً عنه بسبب ضعفه بواسطة الجسد فإن الله اذ أرسل ابنه في شبه جسد الخطية ولأجل الخطية، دان الخطية في الجسد لكي يتم حكم الناموس فينا نحن السالكين ليس حسب الجسد بل حسب الروح (رو 8 : 3، 4) لذلك فهو الذي يميت حركات الجسد فينا نحن أنفسنا الكائنات البائسة، وقد أباد الخطية، فأي صوم يمكن ان يحتاجه فيما يخصه هو نفسه؟ أنه قدوس وغير مدنس بالطبيعة، وهو نقي تماماً وبلا عيب. وهو لا يمكن ان يحدث له ولا ظل تغيير. فلماذا اذن جعل اقامته في البرية وصام وجرب؟

يا أحبائي ان المسيح كمثال لنا يهتم بنا، فهو يضع أعماله أمامنا كنموذج لنا، ويؤسس مثالاً للحياة الفضلى والعجيبة التي يمكن ان تمارس في وسطنا، وأنا أعني حياة الرهبان القديسين. لأنه منذ متى كان ممكناً للناس على الأرض ان يعرفوا ان عادة السكن في الصحارى هي نافعة لهم، ومفيدة جداً للخلاص؟ لأنهم يعتزلون من أمام الأمواج والعواصف ومن الاضطراب الشديد وارتباكات هذا العالم الباطلة، وهكذا كما لو كانوا مثل يوسف المبارك، فإنهم يتجردون ويتركون للعالم كل ما هو خاص به. وبولس الحكيم يقول شيء مثل هذا أيضاً عن أولئك الذين يريدون ان يعيشوا هكذا "ولكن الذين هم للمسيح قد صلبوا الجسد مع الأهواء والشهوات" (غل 5 : 24). وهو يبين لأولئك الذين يختارون هذه الطريقة للحياة أن الإمساك ضروري، الذي ثمرته الصوم وقوة الاحتمال، والإمساك عن الطعام أو أخذ القليل منه. فإنه عندئذ حينما يجرب الشيطان فإنه سينهزم.

لاحظوا هذا بنوع خاص ان الرب اعتمد أولاً وامتلأ من الروح القدس، وبعد ذلك ذهب الى البرية، ومارس الامساك، أي الصوم كما لو كان سلاحاً له. وهكذا اذ كان مستعداً فحينما اقترب منه الشيطان انتصر عليه، وبذلك فقد وضع نفسه أمامنا كنموذج لنا.

فأنت، لذلك ينبغي أيضاً ان تلبس أولاً سلاح الله، وترس الايمان، وخوذة الخلاص. ينبغي أولاً أن تلبس قوة من الأعالي، أي ينبغي ان تصير مشتركاً في الروح القدس بواسطة المعمودية الثمينة، وحينئذ يمكن ان تسلك الحياة المحبوبة والمكرمة لدى الله، وحينئذ يمكنك – بشجاعة روحية ان تسكن في الصحاري، وحينئذ تحفظ الصوم المقدس وتميت الأهواء وتهزم الشيطان حينما يجربك. لذلك، فإننا في المسيح قد حصلنا على كل الأشياء.

يا للعجب فإنه يظهر بين المصارعين وهو نفسه كإله يمنح الجائزة، يظهر بين أولئك الذين يلبسون اكليل النصر، وهو الذي يكلل هامات القديسين لذلك فلننظر ولنلاحظ مهارته في مصارعته وكيف هزم خبث الشيطان وشره. فحينما قضى أربعين يوماً صائماً فإنه جاع أخيراً ولكنه هو نفسه يعطي الجياع طعاماً، وهو نفسه الخبز النازل من السماء الواهب حياة للعالم وهو الذي به تقوم كل الاشياء. ولكن من الجهة الأخرى، بسبب أنه كان من الضروري لذلك الذي لم يرفض فقرنا، ان لا ينسحب من أي شيء

يخص حالة الانسان، لذلك فقد وافق ان يحتاج جسده للمؤونة الطبيعية، وهذا هو السبب للقول "انه جاع" ولكنه مع ذلك لم يجع الا بعد ان صام مدة كافية، وبقوته الالهية قد حفظ جسده من الخوار، رغم امتناعه عن الطعام والشراب، لكي يسمح لجسده ان يشعر بالاحساسات الطبيعية كما هو مكتوب: "انه جاع". ولأي سبب هذا؟ لكي بمهارة بواسطة الاثنين [12]، فإن ذلك الذي هو اله وانسان معاً في نفس الوقت يمكن ان يعرف بهاتين الصفتين في نفس الشخص الواحد: أي أعلا منا بطبيعته الالهية، ومساو لنا في بشريته.

تجربة الخبز:

لو 4 : 4 "وقال ابليس: ان كنت ابن الله فقل لهذا الحجر ان يصير خبزاً".

حينئذ يقترب الشيطان لكي يجربه، متوقعاً ان احساس الجوع سيساعده في خطته الخبيثة: فان الشيطان كثيراً ما ينتصر علينا باتخاذه ضعفاتنا كمساعد لمكائده ومغامراته. لقد تصور الشيطان ان الرب يسوع سيقفز حالاً نحو الرغبة في رؤية الخبز جاهزاً للأكل، ولذلك قال "ان كنت ابن الله، فقل لهذا الحجر ان يصير خبزاً". اذا فهو يقترب منه، كانسان عادي وكواحد من القديسين: ومع ذلك فهو لا يزال متشككاً في أمره، اهـ ربما يكون هو المسيح. فبأي طريقة أراد ان يعرف هذا؟ لقد اعتبر الشيطان ان تغيير طبيعة شيء الى طبيعة اخرى انما هو فعل وعمل قوة الهية، لأن الله هو الذي يصنع هذه الاشياء وهو الذي يحولها. لذلك، قال في نفسه ان فعل هذا، فإنه يكون هو بالتأكيد ذلك الشخص المنتظر الذي سيبطل قوتي، ولكن ان رفض ان يعمل هذا التغيير، فاني بذلك أتعامل مع انسان وأطرح الخوف بعيداً، وأنجو من الخطر. لذلك فان المسيح، لمعرفته بحيلة الشيطان، فانه رفض ان يحول الحجر خبزاً، كما أنه لم يقل أنه غير قادر او غير راغب ان يعمل هذا التغيير، بل بالحري يصده بسبب الحاجة وتداخله فيما ليس له، قائلاً "ان الانسان لا يحيا بالخبز وحده"، وهو يعني بهذا، أنه أن اعطى الله القوة للانسان، فانه يمكن ان يصمد بدون طعام، ويحيا مثل موسى وايليا اللذان بقوة كلمة الرب صرفا اربعين يوماً دون ان يأكلا شيئاً، لذلك فإذا كان ممكناً للانسان يحيا بدون خبز، فلماذا أحول الحجر خبزاً؟ ولكن الرب تعمد ألا يقول، أني لا استطيع ذلك لكي لا ينكر قوته الخاصة، كما انه لم يقل، اني استطيع لئلا عندما يعرف المجرب بذلك انه هو الله الذي عنده وحده كل شيء مستطاع، فانه يتركه ويهرب.

وارجوكم ان تلاحظوا، كيف ان طبيعة الانسان في المسيح هي حرة من اخطاء شراهة آدم، فعن طريق الأكل أنهزمنا في آدم وبواسطة الصوم انتصرنا في المسيح.

بواسطة الطعام الذي يخرج من الأرض، يتقوى جسدنا الأرضي، ويسعى الى الحصول على غذائه

([12]) الاثنين أي بصومه اربعين يوماً دون ان يخور الجسد من ناحية، وبسماحة للجسد ان يشعر بالجوع من ناحية أخرى.

مما هو مجانس له، أما النفس العاقلة فانها تتغذى وتنمو الى الصحة الروحانية بواسطة كلمة الله. لأن الطعام الذي تقدمه الأرض يغذي الجسد الذي هو قريب لها، أما الطعام الذي من فوق ومن السماء فيقوي الروح ويشددها. طعام النفس هو الكلمة الآتية من الله، أي الخبز الروحاني الذي يقوي قلب الانسان كما يرنم في كتاب المزمور. واننا نؤكد أيضاً ان الطبيعة خبز الملائكة هي هكذا.

تجربة ممالك العالم:

لو 4 : 5 "ثم أصعده ابليس الى جبل عال وأراه جميع ممالك العالم في لحظة من الزمان".

وأنت أيها الكائن الخبيث الشرير الملعون، كيف تتجاسر أن تري الرب ممالك الخليقة كلها وتقول "انها لي؟ فإن سجدت أمامي سأعطيها لك" فكيف تعد بشيء ليس هو لك؟ من جعلك وارثاً لمملكة الله؟ من جعلك سيداً على كل ما تحت السماء؟ إنك حصلت على هذه الأشياء بالخداع والاحتيال، لذلك أرجعها، للابن المتجسد، رب الكل. واسمع ما يقوله اشعياء النبي عنك: "هل قد أعد لك أيضاً ان تملك؟ هي هوة عميقة، ونار، وكبريت، وحطب مرتب، وغضب الرب كهوة مشتعلة بكبريت". فكيف اذن وأنت نصيبك هو اللهيب الذي لا ينطفئ تعد ملك الكل بما هو ليس لك؟ هل تظن انك تجعله يسجد لك وهو الذي ترتعد أمامه كل الكائنات والسارافيم وكل القوات الملائكية تسبح بمجد؟ انه مكتوب، "للرب الهك تسجد واياه وحده تعبد". لقد ذكر الرب هذه الوصية في الوقت المناسب ووجهها اليه في الصميم. فقبل مجيء الرب، كان الشيطان قد خدع كل من تحت السماء، وكان يعبد في كل مكان. أما وصية الله هذه فانها تطرده من السيادة التي اغتصبها بالخداع، وتوصي الناس ان يعبدوا الذي هو بالطبيعة وبالحق الله وان يقدموا الخدمة والسجود له وحده.

تجربة جناح الهيكل:

لو 4 : 9 "ثم جاء به الى اورشليم وأقامه على جناح الهيكل وقال له ان كنت ابن الله فاطرح نفسك من هنا الى أسفل".

التجربة الثالثة التي يستخدمها الشيطان هي المجد الباطل قائلاً: "الق نفسك الى اسفل"، كبرهان على الوهيتك. ولكنه لم يستطع ان يسقطه بواسطة الغرور، بل ان سهم الشيطان أخطأ الهدف. فقد أجابه الرب "انه قيل لا تجرب الرب الهك". فإن الله لا يمنح معونته لأولئك الذين يجربونه، ونغتر. ولنلاحظ ايضاً ان المسيح لم يعط آية لأولئك الذين كانوا يجربونه: فيقول "جيل شرير يطلب آية ولا تعطى له آية". فليسمع الشيطان وهو يجرب هذه الكلمات. لذلك فنحن قد نلنا الانتصار في المسيح، أما الذي انتصر في آدم فمضى الآن خجلاً لكيما نستطيع ان نضعه تحت أقدامنا، لأن المسيح كمنتصر قد سلمنا أيضاً القوة أن ننتصر، قائلاً "ها أنا اعطيكم سلطاناً لتدوسوا الحيات والعقارب وكل قوة العدو".

لو 4 : 10 "لأنه يوصي ملائكته بك لكي يحفظوك".

أنظروا كيف يحاول بخبث ان يستخدم الكتاب المقدس لكي يحط من مجد الرب، كما لو كان الرب محتاجاً لمساعدة الملائكة، وكما لو كان سيعثر لو لم تساعده الملائكة. لأن هذا المزمور لا يشير الى المسيح، والرب العالي لا يحتاج للملائكة. أما جناح الهيكل، فقد كان مبنى مرتفع جداً، مقام الى جانب الهيكل.

والبعض يشيرون بهذا المزمور خطأ الى شخص الرب، ويأخذون عباراته معاً التي تقول هكذا "لأنك، يارب أنت رجائي، جعلت العلي ملجأك" (مز 91 : 9) ولذلك، يقولون ان الرب له ملجأ هو الآب الذي في السماء. أي الآب الذي في السماء وحجتهم في مثل هذه الطريقة في الفهم، ان الشيطان فهمها هكذا فقال "أن كنت ابن الله فالق نفسك الى اسفل: لأنه مكتوب أنه يوصي ملائكته بك لكي يحفظوك، فالشيطان لأنه كذاب ومخادع، يطبق ما هو مكتوب عنا نحن على شخص المسيح مخلصنا جميعاً. ولكننا نحن لا نفهمها بطريقة الشيطان، حتى ان كان الأريوسيون قد فهموها هكذا، فليس هناك ما يدعو للدهشة في موقفنا هذا، لأنهم يتبعون أباهم، الذي هو كذاب، وليس فيه حق، بحسب كلمات المخلص. فإن كان الحق هو كما يقولون هم، ونحن قد جعلنا المسيح عوننا، وهو قد جعل الآب ملجأه، فعندئذ نكون نحن قد التجأنا الى واحد هو نفسه محتاج الى المساعدة، ودعونا ذلك الذي يخلص بواسطة آخر مخلصاً لنا. هذا لا يمكن ان يكون، حاشا لله. لذلك فنحن نقول لأولئك الذين يريدون ان يفكروا هكذا، انتم تسيرون خارج الطريق الملكي المستقيم، أنتم تسقطون وسط الأشواك والفخاخ، لقد ضللتم بعيداً عن الحق. فالابن مساو للآب في كل الأشياء، فهو صورة ورسم جوهره، وهو العلي كما أن الآب ايضاً هو العلي.

فالشيطان اذن استخدم هذه العبارات كما لو كان المخلص انسان عادياً. فلأنه ظلام بكليته، وقد أعمى عقله، فإنه لم يفهم قوة المكتوب في المزمور أنه يقصد به شخص كل انسان بار ينال عوناً من السماء. والى جانب ذلك، لم يعرف ان الكلمة، اذ هو الله، قد صار انساناً، والآن هو نفسه يجرب بحسب خطة الخلاص وكما سبق ان قلت، فقد افترض (الشيطان) ان كلمات المزمور قد قيلت كما على انسان عادي، أو على واحد من الأنبياء القديسين.

ولكن بالنسبة لنا نحن الذين نعرف السر تماماً، والذين نؤمن انه هو الله وابن الله، وانه صار من أجلنا انساناً مثلنا، فإنه أمر بشع جداً أن نتصور ان عبارات المزمور هذه تتحدث عنه. اذن فنحن نقول، ان عبارة "جعلت العلي ملجأك" لا تناسب شخص المخلص، فانه هو نفسه العلي، ملجأ الكل، ورجاء الكل، وهو عن يمين الآب الكلي القدرة، وكل من يجعله حصناً له، فلن يقترب منه شر لأنه يأمر الملائكة، الذين هم أرواح خادمة، ان يحرسوا الأبرار.

فكما ان آباءنا الجسديين حينما يرون الطريق خشن ويصعب عبوره، فانهم يمسكون أطفالهم في أيديهم، لكي لا تصاب أقدامهم الضعيفة بأذى، لكونهم لا يزالون غير قادرين ان يسيروا على الطرق الصعبة، هكذا ايضاً قوات الملائكة لا يسمحون لأولئك، الذين لا يزالون غير قادرين على الجهاد، والذين لا يزال ذهنهم طفولياً، ان يتعبوا بما يفوق طاقتهم، بل يختطفونهم بعيداً عن كل تجربة.

كرازة المسيح في الناصرة:

لوقا 4 : 14 و15 "ورجع يسوع بقوة الروح الى الجليل، وخرج خبر عنه في جميع الكورة المحيطة. وكان يعلم في مجامعهم ممجداً من الجميع".

حينما ترك المسيح سكنى المدن، فإنه سكن في البراري، وهناك صام وجرب من الشيطان، وهناك حقق النصرة لحسابنا، هناك سحق رؤوس التنانين، هناك سقطت سيوف العدو تماماً، وهدمت مدناً كما يقول داود (مز 9 : 6) وأعني بالمدن أولئك الذين كانوا كالأبراج والمدن. لذلك فهو اذ قد تسلط باقتدار على الشيطان، واذ قد توج – في شخص – طبيعة الانسان بالغنائم التي غنمها بالانتصار على الشيطان، رجع الى الجليل بقوة الروح عاملاً بقوة وسلطان وأجرى عجائب كثيرة مما أثار دهشة عظيمة جداً عند الجموع. وهو قد أجرى المعجزات ليس كمن يقبل نعمة الروح من خارجه او يناله كموهبة مثل جماعة القديسين، بل بالحري كمن هو بالطبيعة وبالحق ابن الله الآب، فانه يأخذ كل ما هو له باعتباره ميراثه الخاص. لأنه قال لأبيه، "كل ما هو لك فهو لي، وأنا ممجد فيهم" (يو 17 : 10). اذن فهو يتمجد بممارسة قوة الروح المساوي باعتبارها قوته الخاصة واقتداره.

لو 4 : 16 و17 "وجاء الى الناصرة حيث كان قد تربى ودخل المجمع حسب عادته يوم السبت وقام ليقرأ فدفع اليه سفر اشعياء النبي، ولما فتح السفر وجد الموضع الذي كان مكتوباً فيه".

حيث انه كان ضرورياً وواجباً ان يظهر نفسه الآن للاسرائيليين، وان يضيء سر تجسده على أولئك الذين لم يعرفوه، ولأنه الآن قد مسح من الله الآب لأجل خلاص العالم، فإنه بحكمة يرتب هذا أيضاً ان تنتشر شهرته في كل مكان. وقد منح هذا الإحسان أولاً لشعب الناصرة، لأنه من الناحية البشرية، قد تربى بينهم. واذ دخل المجمع وقد أخذ السفر ليقرأ، ولما فتحه اختار فقرة من الأنبياء تعلن عن سر مجيئه. وبهذه الكلمات يخبرنا هو نفسه بوضوح تام بوصت النبي أنه يصير انساناً، وأنه يأتي ليخلص العالم. فنحن نؤكد ان الابن قد مسح عن طريق مجيئه في الجسد واتخاذه طبيعتنا، فهو لكونه اله وانسان في نفس الوقت، فهو يعطي الروح للخليقة بطبيعته الالهية، كما أنه ينال الروح من الله الآب في طبيعته البشرية. وهو نفسه الذي يقدس الخليقة كلها باشراقه من الآب القدوس، وهو الذي يمنح الروح الذي يسكبه على القوات العلوية كروحه الخاص ويسكبه ايضاً على أولئك الذين يؤمنون بظهوره.

لو 4 : 18–21 "روح الرب عليَّ لأنه مسحني، لأبشر المساكين، أرسلني لأشفي المنكسري القلوب، لأنادي للمأسورين بالإطلاق وللعمي بالبصر، وأرسل المنسحقين في الحرية. وأكرز بسنة الرب المقبولة .. وجميع الذين في المجمع كانت عيونهم شاخصة اليه. فابتدأ يقول لهم انه اليوم قد تم هذا المكتوب في مسامعكم (لو 4 : 21".

انه بهذه الكلمات يبين بوضوح أنه أخذ على نفسه الانسحاق والخضوع للاخلاء من مجده. وقد اتخذ اسم "المسيا" وحقيقته من أجلنا. لأنه يقول، ان الروح الذي هو بالطبيعة موجود فيَّ، وأنا وهو من نفس الجوهر والالوهية، هذا الروح نفسه نزل عليَّ ايضاً من الخارج. وهكذا فانه أتى عليَّ أيضاً في الأردن على شكل حمامة، ليس لأنه لم يكن موجوداً فيَّ، ولكن لأجل السبب الذي من أجله مسحني. وما هو السبب الذي من أجله اختار المسيح أن يُمسح (بضم الياء)؟ السبب هو لأننا نحن صرنا مقفرين من الروح بذلك الحكم القديم "لا يسكن روحي في الإنسان. لأنه بشر" (تك 6 : 3).

هذه الكلمات يقولها كلمة الله المتجسد، فلكونه الإله الذي من الله الآب، ولأنه صار انساناً لأجلنا دون ان يلحقه تغيير، فإنه **يُمسح (بضم الياء) معنا بزيت البهجة، اذ نزل عليه الروح** في الأردن على شكل حمامة. لأنه قديماً كان الملوك والكهنة يمسحون رمزياً، وبهذا يحصلون على درجة معينة من التقديس، أما هذا الذي تجسد من أجلنا، فقد مسح بالزيت الروحاني زيت التقديس، ونزل عليه الروح القدس بالحق، وهو قد قبل الروح لا لأجل نفسه، بل لأجلنا، لأنه كما أن الروح غادرنا ولم يسكن فينا لكوننا جسد، لذلك امتلأت الأرض من الحزن، لأنها قد حرمت من المشاركة في الله.

وهو بشر المأسورين بالإطلاق، الذي تممه حينما ربط القوى، الشيطان، الذي بطغيانه ساد على جنسنا، وانتزعنا من الرب جاعلاً ايانا غنائم له.

وهكذا فإن عبارة "مسحني" تناسب ناسوته، فليست الطبيعة الالهية هي التي مُسحت بل تلك الطبيعة التي هي منا، هكذا ايضاً عبارة "ارسلني" انما تشير الى ما هو بشري.

وأولئك الذين اعتمت قلوبهم منذ القديم بظلمة ابليس، قد أنار لهم باشراقه كشمس للبر، وجعلهم أبناء لا لليل والظلمة فيما بعد، بل أبناء للنور والنهار كقول بولس الرسول (1تس 5 : 5). وأولئك الذين كانوا يقول اشعياء "صارت ظلمتهم نوراً" (اش 42 : 16)، أي صار الجهال حكماء وأولئك الذين كانوا في الخطية عرفوا مسالك البر. والآب ايضاً يقول للابن في موضع ما "اجعلك عهداً للشعب، لتفتح عيون العمي، لتخرج من الحبس المأسورين، من بيت السجن الجالسين في الظلمة" (اش 42 : 6، 7) لأن الابن الوحيد جاء الى هذا العالم وأعطى عهداً جديداً لشعبه، الاسرائيليين، الذين منهم ولد حسب الجسد. وهو العهد الذي أعلن عنه سابقاً جداً بصوت الأنبياء. ولكن النور الالهي السماوي أضاء ايضاً على الأمم،

وذهب وبشر الأرواح في الجحيم، وأظهر نفسه لأولئك الذين كان مغلقاً عليهم في بيت السجن، وفك قيود الجميع وحررهم من العنف. فكيف لا تبرهن كل الأشياء ان المسيح هو اله وابن الاله بالطبيعة؟

وما معنى ارسال المنسحقين في الحرية؟ معناه اطلاق الذين سحقهم الشيطان بقضيب العنف الروحي ليذهبوا في طريقهم احراراً. وما معنى الكرازة بسنة الرب المقبولة. انها تشير الى الأخبار المفرحة عن مجيئه، أي الابن قد جاء. فتلك كانت هي السنة المقبولة التي فيها صلب المسيح لأجلنا، لأننا عندئذ صرنا مقبولين عند الله الآب كثمار حملها المسيح. لذلك فقد قال هو نفسه، "وأنا ان ارتفعت عن الأرض سأجذب اليَّ الجميع" (يو 12 : 32). وحقاً فقد عاد الى الحياة في اليوم الثالث حينما داس على قوة الموت، وبعد ذلك قال لتلاميذه "دفع اليَّ كل سلطان" (متى 28 : 18). أيضاً من كل ناحية هي سنة مقبولة التي فيها اذ قد انضمننا الى عائلته، فقد دخلنا اليه بعد ان اغتسلنا من الخطية بالمعمودية المقدسة، وصرنا شركاء طبيعته الالهية بواسطة شركة الروح القدس. تلك ايضاً هي سنة مقبولة إذ أظهر فيها مجده بمعجزات تفوق الوصف، ونحن قد استقبلنا زمن خلاصه بفرح عظيم، وهو الزمن الذي يشير اليه بولس الحكيم قائلاً: "هو ذا الآن وقت مقبول، هو ذا الآن وقت خلاص" (2كو 6 : 2) وهو اليوم الذي فيه، المساكين الذين كانوا سابقاً مرضى بسبب انعدام كل بركة، والذين لم يكن لهم رجاء وكانوا بلا اله في العالم – فهكذا كانت شعوب الأمم – هؤلاء المساكين صاروا أغنياء بالايمان به، اذ حصلوا على الكنز الالهي السماوي، كنز رسالة انجيل الخلاص، الذي به جعلوا شركاء في ملكوت السموات، وصاروا مشاركين مع القديسين، ووارثين للبركات التي لا يستطيع عقل أن يدركها ولا لسان أن يخبر عنها. لأنه مكتوب "ما لم تره عين وما لم تسمع به أذن، ما لم يخطر على قلب بشر، ما أعده الله للذين يحبونه" (1كو 2 : 9) وهذا الكلام يمكن ان ينطبق أيضاً على فيض النعيم السخية المعطاة من المسيح والمنسكبة منه على المساكين بالروح.

ويعني "بالمنكسري القلب" أولئك الذين لهم ذهن ضعيف مستسلم، ولا يستطيعون مقاومة هجمات الشهوة. وهكذا تجرفهم الشهوات ويصبحون أسرى لها. هؤلاء يعطي لهم الوعد بالشفاء والغفران.

وللعمي يعطي استعادة البصر. لأن أولئك الذين يعبدون المخلوق بدل الخالق، "ويقولون للخشب أنت أبي وللحجر أنت ولدتني" (أر 2 : 27)، دون ان يعرفوا ذلك الذي هو الاله بالطبيعة وبالحق، مثل هؤلاء هل يمكن ان يعتبروا سوى عميان يبصرون بعيونهم ولكن قلبهم محروم من النور الالهي الروحاني. هؤلاء ينعم عليهم الآب بنور معرفة الله الحقيقية، لأنه يدعوهم بواسطة الايمان فيعرفونه او بالحري يصيرون معروفين منه، وبينما كانوا سابقاً أبناء لليل والظلمة، فقد صاروا أبناء النور. لأن النهار قد أشرق عليهم، وشمس البر قد أنارت وكوكب الصبح اللامع قد ظهر.

ومع ذلك ليس هناك اعتراض على من يطبق هذا الاعلانات على الاسرائيليين لأن هؤلاء أيضاً

كانوا مساكين ومسحوقي القلوب ومأسورين وسجناء في الظلمة. "فلم يكن على الأرض من يعمل صلاحاً، ليس ولا واحد. الكل قد زاغوا معاً وفسدوا" (مز 14 : 3). ولكن جاء المسيح مبشراً بأمجاد ظهوره للاسرائيليين قبل غيرهم وكانت امراضهم مثل أمراض الشعوب الوثنية، ولكن هؤلاء افتدوا بواسطته اذ صاروا أغنياء بحكمته وتوشحوا بالفهم، ولم يعودوا ضعفاء ومسحوقين في قلوبهم، بل صاروا أصحاء وأقوياء ومهيئين لقبول وممارسة كل عمل صالح للخلاص. لأنهم حينما كانوا في ضلالهم كانوا في حاجة للحكمة والفهم. اولئك الذين في حماقتهم الشنيعة عبدوا المخلوق بدل الخالق واطلقوا أسماء الآلهة على الأخشاب والأحجار. ولكن أولئك الذين عاشوا منذ القديم في الغم والظلمة بسبب عدم معرفتهم المسيح، فانهم الآن يؤمنون ويعترفون به إلهاً لهم.

وحينما قرأ الرب هذه الكلمات للشعب المجتمع، فإنه جذب أنظارهم اليه اذ كانوا ربما مندهشين كيف يعرف الكتب وهو لم يتعلم. لأنه كان من عادة الاسرائيليين ان يقولوا، ان النبوات الخاصة بالمسيا قد تحققت، أما في اشخاص بعض ملوكهم او في أشخاص انبيائهم القديسين ولأنهم لم يفهموا ما كان مكتوباً عنه فهماً صحيحاً لذلك فقدوا الاتجاه الحقيقي وساروا في طريق آخر. ولكن لكي لا يسيئوا فهم هذه النبوة ايضاً لذلك نراه يحرص على تنبيههم للخطأ بقوله "انه اليوم قد تمت هذه النبوة المكتوبة في مسامعكم". واضعاً نفسه أمامهم بوضوح بهذه الكلمات، باعتباره الشخص الذي تتكلم عنه النبوة، لأنه هو الذي كرز بملكوت السموات للأمم، الذين كانوا مساكين، اذ لم يكن لهم شيء، ليس لهم اله ولا شريعة، ولا أنبياء. أو بالحري لقد كرز بالملكوت لكل الذين كانوا محرومين من كنوز الغنى الروحي، وأطلق المأسورين أحراراً اذ قد طرح خارجاً الطاغية المرتد الشيطان، وقد أفاض النور الالهي الروحي على الذين كانوا مظلمي القلب. ولأجل هذا قال: "أنا قد جئت نوراً الى هذا العالم" (يو 12 : 46). أنه هو نفسه الذي حل سلاسل الخطية عن أولئك الذين سحقتهم الخطية، والذي أظر بوضوح ان هناك حياة آتية.

وأخيراً إنه هو الذي كرز بسنة الرب المقبولة، تلك التي فيها جاء المخلص كارزاً، فإني أظن ان المقصود بالسنة المقبولة هو مجيئه الأول، أما المقصود بيوم العودة فمقصود به يوم الدينونة.

لو 4 : 22 "وكان الجميع يشهدون له ويتعجبون من كلمات النعمة الخارجة من فمه ويقولون أليس هذا ابن يوسف"؟.

ولأنهم لم يفهموا أنه هو الذي مُسح وأُرسل، وانه هو صانع العجائب، فقد رجعوا الى طرقهم المعتادة وتكلموا عنه كلاماً غبياً وباطلاً. فرغم أنهم تعجبوا من كلمات النعمة الخارجة من فهمه إلا أنهم اعتبروا هذه الكلمات كأنها بلا قيمة لأنهم قالوا "أليس هذا هو ابن يوسف"؟ ولكن هل هذا ينقص شيئاً من مجد صانع المعجزات؟ فما الذي يمنع أن يكرم ويعجب به حتى لو كان هو ابن يوسف كما ظنوا؟ ألا ترى المعجزات؟ فالشيطان سقط، وقطيع الشياطين أبيد، وجموع كثيرة تحررت من مختلف أنواع الأمراض.

أنت تمدح النعمة التي كانت في تعاليمه ولكنك – بطريقة يهودية تقلل من قدره في نظرك، لأنك حسبت يوسف أباً له. يا للحماقة العظيمة! حق هو أن يقال عنهم "الشعب الجاهل، والعديم الفهم، الذين لهم أعين ولا يبصرون ولهم آذان ولا يسمعون" (أر 5 : 21).

لو 4 : 23 و24 "فقال لهم، على كل حال تقولون لي هذا المثل. أيها الطبيب أشف نفس. كم سمعنا أنه جرى في كفر ناحوم فافعل ذلك هنا ايضاً في وطنك. وقال الحق أقول لكم أنه ليس نبياً مقبولاً في وطنه".

كان هذا قولاً شائعاً بين اليهود، فحينما يكون الأطباء أنفسهم مرضى، حينئذ يقول الناس أيها الطبيب اشف نفسك. لذلك فالمسيح بوضعه هذا المثل أمامهم فكأنه يقول لهم أنتم لا تريدون أن تجرى آيات كثيرة بينكم أنتم بنوع خاص. أنتم الذين تربيت في بلدتكم، ولكني أعرف الشعور السائد بالنسبة لكل الناس. لأن ما يحدث دائماً هو أن أفضل الأشياء وأندرها تصير حقيرة عندما توجد بكثرة حينما يحصل عليها الناس بوفرة. وهكذا أيضاً نفس الحال مع البشر فإن المعارف كثيراً ما يرفضون الشخص المألوف لديهم والذي يكون موجوداً بينهم على الدوام برغم أنه يكون مستحقاً للكرامة. لذلك وبخهم بسبب تساؤلهم بغباوة قائلين "أليس هذا هو ابن يوسف"؟ ثم أكد موضوع تعليمه فقال لهم "الحق أقول لكم أنه ليس نبي مقبولاً في وطنه".

لو 4 : 25 "وبالحق أقول لكم ان أرامل كثيرة كن في اسرائيل في أيام ايليا حين أغلقت السماء مدة ثلاثة سنين وستة أشهر لما كان جوع عظيم في الأرض كلها. ولم يرسل ايليا الى واحدة منها الا الى امرأة أرملة صرفة صيدا. وبرص كثيرين كانوا في اسرائيل في زمان اليشع النبي ولم يطهر واحد منهم إلا نعمان السرياني".

حيث أنه – كما ذكرت – بعض اليهود أكدوا ان النبوات المتعلقة بالمسيح قد تحققت إما في أنبيائهم القديسين أو في بعض رجالهم البارزين، لذلك فإنه يجتذبهم بعيداً عن هذا الافتراض – لأجل منفعتهم – وذلك بقوله أن ايليا أرسل الى أرملة واحدة، وأن اليشع النبي قد شفي أبرصاً واحداً هو نعمان السرياني وكلاهما يشيران الى كنيسة الأمم الذين كانوا عتيدين أن يقبلوه وشفوا من مرضهم، في الوقت الذي فيه بقى شعب اسرائيل غير تائب.

لو 4 : 28–31 "فامتلأ غضباً جميع الذين في المجمع حينما سمعوا هذا، فقاموا واخرجوه خارجاً المدينة وجاءوا به الى حافة الجبل الذي كانت مدينتهم مبنية عليه حتى يطرحوه الى أسفل. أما هو فجاز في وسطهم ومضى".

وبعد ذلك اشتعلوا غضباً لأنه وبخ فكرهم الردئ وايضاً لأنه قال اليوم قد تم هذا المكتوب في

مسامعكم أي "روح الرب علي". وأنه بذلك جعل نفسه مساوياً للأنبياء. وأكثر من ذلك فقد أخرجوه من مدينتهم وبذلك حكموا بالدينونة على أنفسهم واثبتوا ما قاله المخلص، لأنهم هم أنفسهم طردوا من المدينة التي فوق بسبب عدم قبولهم للمسيح. ولكي لا يكون توبيخه لهم على عدم تقواهم بالكلام فقط، لذلك سمح لوقاحتهم ضده أن تمتد لتص الى أفعال، فقد كان عنفهم غير معقول وحقدهم بلا رادع. ولذلك اقتادوه الى حافة الجبل وحاولوا ان يلقوا به فوق الصخور، ولكنه اجتاز في وسطهم بدون ملاحظة، ليس لأنه يرفض ان يتألم – لأنه لأجل هذا السبب قد جاء – بل لأنه كان ينتظر الوقت المناسب لأنه كان الآن في بداية كرازته، ولم يكن مناسباً أن يتألم ويعاني الموت قبل ان يكرز بكلمة الحق، فان قبول الآلام او عدم قبولها هو أمر متوقف عليه، لأنه هو رب الأزمنة كما انه رب كل الأشياء، وهذا برهان يبين انه حينما تألم فقد تألم بارادته، وانه حتى في ذلك الوقت الذي تألم فيه فإنه لم يكن غير ممكن ان يتألم لو كان يسلم نفسه للآلام بارادته.

شفاء رجل به شيطان في كفر ناحوم:

لوقا 4 : 31–34 "انحدر الى كفر ناحوم، مدينة من الجليل، وكان يعلمهم في السبوت. فبهتوا جداً من تعليمه لأن كلامه كان بسلطان. وكان في المجمع رجل به روح شيطان نجس فصرخ بصوت عظيم قائلاً: آه ما أنا ولك يا يسوع الناصري أتيت لتهلكنا. أنا اعرفك من انت قدوس الله".

اولئك الذين لا يستطيع الجدل ان يجتذبهم الى المعرفة اليقينية لذلك الذي هو اله ورب بالطبيعة وبالحق، ربما يربحون بواسطة المعجزات الى الطاعة والإذعان ولذلك كان من النافع او الضروري في أحيان كثيرة ان يكمل تعاليمه باجراء بعض المعجزات. لأن سكان اليهودية كانوا غير مستعدين ان يؤمنوا، وكانوا يستخفون بكلمات الذين يدعونهم الى الخلاص، وكان أهل كفر ناحوم خاصة يتصفون بهذه الصفة. ولهذا السبب فقد وبخهم المخلص قائلاً "وأنت يا كفر ناحوم المرتفعة الى السماء ستهبطين الى الهاوية" (لو 1 : 15) ورغم انه يعرف أنهم عصاة وقساة القلب، فانه يزورهم كما يزور الطبيب البارع اولئك الذين يعانون من مرض خطير جداً ويحاول ان ينقذهم من مرضهم. فهو نفسه يقول أنه "لا يحتاج الأصحاء الى طبيب بل المرضى" (لو 5 : 31) لذلك فقد علم في مجامعهم بحرية كبيرة في الكلام، فهذا ما سبق ان تنبأ به بصوت اشعياء قائلاً: "لم أتكلم في الخفاء، ولا في مكان مظلم من الأرض" (اش 45 : 19)، بل انه امر الرسل القديسين ان يعلنوا كلماتهم عنه بكل جرأة في الكلام، اذ قال لهم "الذي أقوله لكم في الظلمة قولوه في النور، والذي تسمعونه في الأذن نادوا به على السطوح (متى 10 : 27)، وايضاً في السبت، حينما يكونون في فراغ من العمل كان يتحدث اليهم. وكانوا يتعجبون من قوة تعليمه ومن عظمة سلطانه. فالانجيل يقول أنه كان يتكلم بسلطان فهو لم يكن يداهن في الكلام، بل كان يستحثهم على الخلاص.

كان اليهود يظنون ان المسيح لم يكن أكثر من أحد القديسين، وأنه قد ظهر بينهم كواحد من رتبة الأنبياء فقط، ولذلك فلكي يجعلهم يرتفعون بفكرهم عنه، فانه يتجاوز مستوى الأنبياء اذ أنه لم يقل أبداً "هكذا يقول الرب" كما كانت عادة الأنبياء طبعاً، ولكن اذ هو رب الناموس فانه تكلم بأمور تعلو على الناموس.

بل ان الله قال بواسطة اشعياء "واقطع لكم عهداً ابدياً مراحم داود الصادقة، هوذا قد جعلته شارعاً للشعوب، رئيساً وموصياً للشعوب" (اش 55 : 3، 4) لأنه كان من الملائم ان موسى كعبد يصير خادماً للظل الذي لا يستمر، ولكني أؤكد ان المسيح، كان هو المعلن الأبدي لعبادة باقية لا تزول. وما هو العهد الأبدي انه يعني كلمات المسيح المقدسة، الذي هو من نسل داود حسب الجسد، وكلماته تنشئ فينا قداسة وثقة، كما ان مخافة الله نقية لأنها تجعلنا انقياء وكلمة الانجيل هي حياة لأنها تنشئ حياة. لأنه هو نفسه يقول "الكلام الذي أكلمكم به هو روح وحياة" (يوحنا 6 : 63) أي انه روحاني ومعطي للحياة. ولكن لاحظوا حسناً دقة النبوة. فان اشعيا يتكلم باسم الله الآب بخصوص المسيح ويقول "هوذا قد جعلته شارعاً للشعب"، أي ان يشهد لهم، ان هذه الأمور مقبولة، ولكي لا يتصور أحد انه واحد من الأنبياء القديسين، بل لكي يعلم كل البشر بالحري أنه يضيء بمجد الربوبية – اذ لكونه الله فقد ظهر لنا – وهكذا يواصل القول، ليس فقط أنه جعل شارعاً او شاهداً، بل ايضاً رئيساً وموصياً للشعب. لأن الأنبياء المباركين وموسى ايضاً قبلهم اذ كانوا في منزلة العبيد الخدام فانهم كانوا يقولون لسامعيهم: "هكذا يقول الرب" لا كمن يعطون وصايا أو أوامر، بل كخدام للكلمات الالهية. أما ربنا يسوع المسيح فانه تكلم كلمات تليق بالله جداً. ولذلك كان اليهود أنفسهم يدهشون ويتعجبون منه، لأن كلمته كانت بسلطان ولأنه كان يعلمهم كواحد له سلطان، وليس مثل كتبتهم، لأن كلمته لم تكن عن ظل الناموس، بل لكونه هو معطي الناموس فقط حول الحرف الى الحق، والرموز حولها الى معانيها الروحية. لأنه كان رئيساً وحاكماً وكان يملك سلطان الحاكم ان يأمر ويوصي.

لو 4 : 35 و 36 "فانتهره يسوع قائلاً: اخرس وأخرج منه. فصرعه الشيطان في الوسط وخرج منه ولم يضره شيئاً. فوقعت دهشة على الجميع. وكانوا يخاطبون بعضهم بعضاً قائلين: ما هذه الكلمة. لأنه بسلطان وقوة يأمر الأرواح النجسة فتخرج".

بقوة الهية انتهر الأرواح النجسة، فجعل المعجزة تحدث بعد كلماته مباشرة وذلك حتى لا نسقط في عدم الايمان. لقد رأينا الشيطان المجرم ينهزم وينغلب منه في البرية، وينكسر بثلاث سقطات، ولقد رأينا قوته تهتز ثانية، والقوة التي كانت ضدنا تسقط، لقد رأينا أنفسنا ننتهر الأرواح الشريرة في المسيح كباكورة لنا. ويمكنك ان تتعلم أن هذا أيضاً يشير الى تشريف الطبيعة البشرية وذلك من كلمات المخلص نفسها. فان اليهود افتروا على مجده وقالوا "هذا الانسان لا يخرج الشياطين الا ببعلزبول رئيس الشياطين" (متى 12 : 2) ولكنه هو اذ تحدث كثيراً أولاً في رده عليهم فانه أنهى حديثه بقوله: "ولكن ان كنت انا بروح الله

أخرج الشياطين، فقد اقبل عليكم ملكوت الله". لأنه ان كان يقول "أنا" وهو الذي صار انساناً مثلك، وهو ينتهر الأرواح النجسة بقوة الهية وجلال عظيم، فان طبيعتك هي التي تكلل بهذا المجد العظيم، وكانه يقول لك: لأنك أنت تُرى (بضم التاء) من خلالي وفي وقد حصلت على ملكوت الله.

لذلك فالشياطين الأشرار قد طردوا وصاروا يشعرون بقوته التي لا تغلب، ولأنهم لم يستطيعوا ان يحتملوا الصراع مع الله، لذلك صرخوا بعبارات متعجرفة وخبيثة: دعنا وحدنا، مالنا ولك، وهم يقصدون بذلك لماذا لا تدعنا نحتفظ بمكاننا وأنت تقوم بتحطيم ضلال عدم التقوى؟ ولكنهم بعد ذلك لبسوا مظهراً كاذباً من كلمات صحيحة، اذ دعوه "قدوس الله" لأنهم ظنوا انه بهذا النوع الخادع من الكلام يستطيعون ان يستثيروا الرغبة في المجد الباطل، وبذلك يمنعون انتهاره لهم. ولكن رغم ان الروح خبيث فانه سيترك فريسته، لأن الله لا يسخر به، وهكذا فان الرب يوقف كلماتهم النجسة، ويأمرهم ان يخرجوا من أولئك الذين كانوا يتسلطون عليهم. والواقفون اذ قد صاروا شهوداً لهذه الأعمال العظيمة دهشوا لقوة كلمته. لأنه صنع معجزاته دون ان يقدم صلاة ولم يسأل من أي أحد آخر أي قوة لتتميم هذه المعجزات، ولكن اذ هو نفسه كلمة الله الآب، الكلمة الحي الفعال الذي به توجد كل الاشياء والذي فيه توجد كل الاشياء، فانه بشخصه سحق الشيطان وأغلق الفم الدنس للشياطين النجسين.

شفاء حماة سمعان:

لو 4 : 38 "ولما قام من المجمع دخل بيت سمعان. وكانت حماة سمعان قد أخذتها حمى شديدة فسألوه من أجلها. فوقف فوقاً منها وانتهر الحمى فتركتها وفي الحال قامت وصارت تخدمهم. وعند غروب الشمس جميع الذين كان عندهم مرضى بأمراض مختلفة قدموهم اليه فوضع يديه على كل واحد منهم فشفاه".

لاحظوا كيف أن ذلك الذي احتمل الفقر الارادي من أجلنا لكي نستغني نحن بفقره، دخل الى بيت احد تلاميذه – وهو انسان فقير وليس من المعروفين – وذلك لكي نتعلم ان نسعى لمصاحبة المتضعين، ولا نتفاخر أو نرتفع على أولئك الذين في حاجة او ضنك.

يصل يسوع البيت سمعان ويجد حماته مريضة بالحمى، ويقف وينتهر الحمى، فتتركها الحمى. وما ورد في رواية متى ورواية مرقس عن ترك الحمى لها، ليس فيه اشارة الى أي شيء حتى باعتباره السبب الفعال للحمى، ولكن في عبارة لوقا: "وقف فوقاً منها وانتهر الحمى فتركتها". لا أعرف هل نحن مضطرين ان نقول ان ذلك الذي انتهره الرب كان شيئاً حياً لم يستطيع ان يقاوم تأثير ذلك الذي انتهره لأنه من غير المعقول انتهار شيء لا حياة فيه ولا يعي الانتهار. وهذا ليس بالأمر الغريب لأنه توجد بعض قوات تصيب الجسد البشري بالأذى، ولا ينبغي ان نفكر عن نفوس اولئك الذين يعانون من أذى هذه القوات انها

نفوس شريرة. وحينما اخذ الشيطان اذناً ان يجرب ايوب بأمراض جسدية وضربه بقروح مؤلمة فان أيوب لم يكن بذلك شريراً. بل انه واجه التجربة برجولة واحتمل الضربة بنبل. ولكن الله على أي حال وفي أي وقت نجرب فيه بآلام جسدية يمنحنا هذه النعمة بقوله "ولكن لا تمس نفسه" (أيوب 2 : 6) فالرب اذن بانتهاره يشفي اولئك الذين تمتلكهم أرواح شريرة.

وقد وضع يديه ايضاً على كل واحد من المرضى فشفاهم من أمراضهم موضحاً بذلك ان جسد بشريتنا المقدس الذي جعله جسداً له ملأه بالقوة الالهية، كان يمتلك الحضور الفعال لقدرة الكلمة قاصداً بذلك ان يعلمنا انه رغم ان كلمة الله الوحيد قد صار مثلنا، الا أنه بالرغم من ذلك لا يزال الهاً ويستطيع بسهولة بواسطة جسده الخاص ان يتمم كل الاشياء. لأنه استخدم هذا الجسد كأداة لعمل المعجزات. ولا يوجد أي سبب للتعجب من هذا بل على العكس فيمكنكم ان تلاحظوا كيف ان النار عندما توضع في اناء نحاس فانها تنقل الى الاناء قوة انتاج تأثيرات الحرارة. هكذا ايضاً فان كلمة الله الكلي القدرة، اذ قد وحد الهيكل الحي العاقل المأخوذ من العذراء القديسة مع نفسه اتحاداً حقيقياً فانه ملأه بالقوة التي تظهر قدرته الالهية بصورة فعالة. لذلك فلكي يخجل اليهود فهو يقول: "ان كنت لست اعمل اعمال ابي فلا تؤمنوا بي. ولكن ان كنت اعمل فان لم تؤمنوا بي فآمنوا بالأعمال" (يو 10 : 38) وبشهادة الحق نفسه هذه يمكننا ان نرى ان الابن الوحيد لم يعط مجده "لانسان" [13] منفصل عنه وغيره هو نفسه، ويعتبر مولود المرأة. بل بالحري إذ هو الابن الوحيد مع الجسد المقدس المتحد به فانه قد صنع المعجزات وهو يعبد ايضاً من خليقة الله.

لقد دخل الرب الى بيت بطرس وهناك كانت امرأة ممددة على فراش مرهقة من حمى شديدة، وبدلاً من أن يقول كاله "اتركي المرض وقومي" فانه سلك طريقاً آخر. فانه لكي يبين ان جسده يملك قوة الشفاء لكونه جسد الله، "لمس يدها" (لو 8 : 15). ولذلك تركتها الحمى.

لذلك هيا بنا نحن ايضاً لنقبل يسوع، لأنه حينما يدخل الينا ونقبله في عقلنا وقلبنا، فانه عندئذ يطفئ حمى اللذات غير اللائقة، ويقيمنا ويجعلنا اقوياء، حتى في الأمور الروحية. وبذلك نخدمه بأن نعمل الأمور التي ترضيه.

ولكن ارجو ان تلاحظوا ايضاً ما أعظم فاعلية لمسة جسده المقدس. فانها تطرد الأمراض من كل نوع، وتطرد جمعاً من الشياطين وتطرح قوة ابليس عنا، وتشفي جمعاً كبيراً من الناس في لحظة من الزمان. ورغم انه يستطيع ان يعمل المعجزات بكلمة وبمجرد ميل ارادته، الا أنه لكي يعلمنا شيئاً نافعاً لنا فهو يضع يديه على المرضى ايضاً. لأنه كان لازماً، بل ولازماً جداً لنا أن نتعلم ان الجسد المقدس الذي جعله جسده

([13]) يشير القديس كيرلس بهذه الكلمات الى تعاليم نسطوريوس الذي كان يعلم بأن المولود من العذراء انسان حل فيه كلمة الله وكان يعمل فيه كشخص آخر غير الكلمة.

الخاص كان مزوداً بفاعلية قوة الكلمة بأن زرع فيه قوة الهية. لذلك فلندعه يمسك بنا، او بالحري فلنمسك نحن به بواسطة الافخارستيا السرية لكي يحررنا من أمراض النفس ومن هجمات الشياطين وعنفهم.

لو 4 : 41 "وكانت شياطين ايضاً تخرج من كثيرين وهي تصرخ وتقول انت المسيح ابن الله. فانتهرهم ولم يدعهم يتكلمون لأنهم عرفوه انه المسيح".

لم يسمح الرب للشياطين النجسين ان يعترفوا به، لأنه لم يكن مناسباً ان يتجنوا على مجد الوظيفة الرسولية، ولم يسمح للسان النجس ان يتكلم عن سر المسيح. ولأنهم لا يتكلمون أي كلام صادق. فلا ينبغي لأحد ان يضع ثقته فيهم لأن النور لا يعرف بمساعدة الظلمة كما يعلمنا تلميذ المسيح حينما يقول "لأنه اية شركة للنور مع الظلمة، او أي اتفاق للمسيح مع بليعال" (2يو 6 : 10).

الإصحاح الخامس

معجزة صيد سمك كثير

لو 5 : 1–2 "واذ كان الجمع يزدحم عليه ليسمع كلمة الله كان واقفاً عند بحيرة جنيسارت. فرأى سفينتين واقفتين عند البحيرة والصيادون قد خرجوا منهما وغسلوا الشباك".

يليق ان نعجب بالطريقة الماهرة التي استخدمت لصيد اولئك الذين سيصيرون صيادين لكل الأرض، وأعني بهم الرسل القديسين الذين رغم انهم كانوا ماهرين في صيد السمك، الا أنهم أمسكوا في شبكة المسيح، لكي يستطيعوا هم ايضاً بالقاء شبكة الكرازة الرسولية، ان يجمعوا لهم سكان العالم كله. لأنه حقاً قال في موضع آخر بواسطة أحد الأنبياء القديسين "هانذا ارسل صيادين كثيرين، يقول الرب، فيصطادونهم ثم بعد ذلك، أرسل كثيرين من القانصين فيقتنصونهم" (ار 16:16) وهو يعني بالصيادين الرسل القديسين، أما القناصين فيقصد بهم أولئك الذين تبعوهم كمدبرين ومعلمين للكنائس المقدسة. وأرجو ان تلاحظوا ان الرب لم يكرز فقط، بل يجري آيات ايضاً، معطياً بذلك أدلة على قوته ومثبتاً كلامه بعمل المعجزات، لأنه بعد ان تحدث مع الجموع، رجع الى أعماله العادية المقتدرة. وعن طريق تعامله مع التلاميذ الصيادين فانه يمسك بهم كأسماك، لكي يعلم الناس ان مشيئته قادرة على كل شيء، وأن الخليقة تطيع أوامره الالهية.

لو 5 : 3–7 "فدخل احدى السفينتين التي كانت لسمعان وسأله ان يبعد قليلاً عن البر. ثم جلس وصار يعلم الجموع من السفينة. ولما فرغ من الكلام قال لسمعان أبعد الى العمق والقوا شباككم للصيد. فأجاب سمعان وقال له: قد تعبنا الليل كله ولم نأخذ شيئاً ولكن على كلمتك ألقي الشبكة. ولما فعلوا ذلك امسكوا سمكاً كثيراً جداً وصارت شبكتهم تتخرق. فأشاروا الى شركائهم الذين في السفينة الأخرى ان يأتوا ويساعدوهم".

حيث انه لم يكن قد علمهم بقدر كاف، وكان من المناسب ايضاً ان يضيف عملاً الهياً على كلماته لأجل فائدة الحاضرين، طلب الى سمعان ورفاقه ان يبعدوا عن الشاطئ وان يلقوا شباكهم للصيد. ولكنهم اجابوا انهم قد تعبوا الليل كله ولم يمسكوا شيئاً، ومع ذلك فانهم القوا الشبكة باسم المسيح وفي الحال امتلأت من السمك لكن عن طريق حقيقة منظورة تمت بطريقة معجزية كمثل ونموذج يمكن ان يقتنعوا به تماماً ان تعبهم لم يكن بدون مكافئة، ولا غيرتهم ستكون بلا ثمر، تلك الغيرة التي أظهروها بنشر شبكة تعليم الانجيل، لأنه يلزم بالتأكيد ان يمسكوا بأفواج الأمم داخل هذه الشباك .. ولكن لاحظوا هذا انه لا سمعان ولا رفقاؤه استطاعوا ان يجذبوا الشبكة الى الشاطئ. واذ قد انعقد لسانهم من الخوف والدهشة – لأن الدهشة اخرستهم – اشاروا الى شركائهم، أي أولئك الذين يشاركونهم في عمل الصيد، ان يأتوا

ويساعدوهم للمحافظة على الصيد وعلى ما اصطادوه. لأن كثيرين قد اشتركوا مع الرسل القديسين في أتعابهم ولا يزال الأمر كذلك الى الآن، خاصة أولئك الذين يفتشون عن معنى المكتوب في الأناجيل المقدسة، وآخرين ايضاً معهم، وأعني الرعاة والمعلمين ومدبري الشعب، المتدربين في تعليم الحق. لأن الشبكة لا تزال مطروحة بينما المسيح يقوم بملئها، وهو يدعو الذين في أعماق البحر ان يتغيروا. بحسب كلمة الكتاب، أي اولئك الذين يعيشون في تيار وأمواج الأمور العالمية.

لو 5 : 8–9 "فلما رأى سمعان بطرس ذلك خر عند ركبتي يسوع قائلاً: اخرج من سفينتي يارب لأني رجل خاطئ اذ اعترته وجميع الذين معه دهشة على صيد السمك الذي اخذوه".

لهذا السبب فان بطرس اذ رجع بذاكرته الى خطاياه السابقة خاف وارتعد، واذ شعر انه غير طاهر فانه لا يجرؤ ان يستقبل ذلك الذي هو طاهر. وخوفه هذا يستحق المدح لأنه قد تعلم من الناموس ان يميز بين المقدس والنجس.

تطهير الابرص

لو 5 : 12–13 "وكان في احدى المدن واذا رجل مملوء برصاً. فلما رأى يسوع خر على وجهه وطلب اليه قائلاً: يا سيد ان اردت تقدر ان تطهرني. فمد يده ولمسه قائلاً أريد فاطهر وللوقت ذهب عنه البرص".

ايمان الرجل الذي اقترب من يسوع يستحق كل مديح. لأنه يشهد لايمانه ان عمانوئيل يستطيع ان يتمم كل الاشياء بنجاح ويسعى للحصول على الشفاء بأمر الهي منه رغم انه يعلم ان مرضه كان عديم الشفاء. لأن البرص كانت تعجز امامه مهارة الأطباء. ولكنه يقول (في نفسه): اني أرى الشياطين النجسة تطرد بسلطان الهي، وارى آخرين يطلقون احرارا من امراضهم، وادرك ان مثل هذه الاشياء تتم بقوة الهية لا تقهر، واني أرى ايضاً انه صالح ومستعد تماماً ان يعطف على اولئك الذين يأتون اليه، لذلك فما الذي يمنع ان يشفق على انا ايضاً؟ وما هو جواب المسيح؟ انه يدعم ايمانه ويعطيه تأكيداً كاملاً لايمانه. فانه يقبل طلبه ويذكر انه يستطيع بقوله "اريد فاطهر" كما يمنحه ايضاً لمسة من ديه القدوسة والكلية القدرة، وفي الحال تركه البرص وانتهت معاناته. تعالوا واشتركوا معي في التعجب من المسيح. انه بذلك يعمل في نفس الوقت بقوة الهية وجسدية معاً. فان "يريد" هذا فعل الهي، كما أراد بالنسبة لكل شيء ان يوجد، ولكن ان "يمد يده" فهذا فعل بشري. فالمسيح يعرف بأنه واحد من اثنين من كما هو مكتوب، "الكلمة صار جسداً".

لو 5 : 14 "فأوصاه ان لا يقول لأحد بل امضي وأر نفسك للكاهن وقدم عن تطهرك كما أمر موسى شهادة لهم".

رغم ان الأبرص صمت ولم يتكلم فان حقيقة الشفاء نفسها كانت كافية ان تعلن لكل الذين عرفوه عن عظمة قوة ذلك الذي شفاه. ولكن المسيح يوصيه ألا يقول لأحد، لماذا؟ لكي يتعلم اولئك الذين ينالون من الله موهبة الشفاء ألا يتطلعوا الى مدح أولئك الذين شفوهم ولا الى أي مدح من أي انسان، لئلا يسقطوا فريسة للكبرياء الذي هو أردأ جميع الرذائل.

وهو يأمر عن قصد ان يقدم للكهنة التقدمة حسب ناموس موسى لأنه كان يرغب في الحقيقة ان يبطل الظل ويحول الرموز الى عبادة روحية. ولأن اليهود لم يكونوا قد آمنوا به فانهم ربطوا أنفسهم بأوامر موسى، مفترضين ان عاداتهم القديمة لا تزال قائمة، ولذلك فقد سمح هو للأبرص ان يقدم تقدمة شهادة لهم. وما هو هدفه من منح هذا التصريح للأبرص؟ السبب هو ان اليهود اذ كانوا يستخدمون احترامهم للناموس كحجة، يتذرعون بها، ويقولون ان موسى النبي كان خادماً لشريعة من الأعالي فانهم كانوا يسعون ان يعاملوا المسيح مخلصنا كلنا باحتقار. ولقد قالوا صراحة: "نحن نعلم ان موسى كلمه الله وأما هذا فما نعلم من أين هو؟" (يو 9 : 29). لذلك كان من الضروري ان يقتنعوا بواسطة الحقائق الفعلية ان مستوى موسى أقل من مجد المسيح، لأنه أي موسى كان أميناً كخادم في بيته، وأما المسيح فكابن على بيت أبيه (عب 3 : 5). اذن فمن هذا الشفاء للأبرص، يمكننا ان نرى بوضوح تام ان المسيح يفوق ناموس موسى بما لا يقارن، لأن مريم أخت موسى، هي نفسها ضربت بالبرص لأنها تكلمت ضده، وموسى تألم جداً بسبب اصابتها، ولأنه لم يكن في مقدوره ان يزيل المرض من اخته فانه سقط بوجهه أمام الله، قائلاً: "اتوسل اليك اللهم اشفها" (عد 12 : 13). فلاحظوا هذا اذن انه أولاً كان هناك توسل، لقد سعى بالصلاة ان يحصل على رحمة من فوق، أما مخلص الكل فتكلم بسلطان الهي: "اريد فاطهر" لذلك فان نزع البرص كان شهادة للكهنة لكي يعرف اولئك الذين يعطون أعلى رتبة لموسى انهم يضلون عن الحق. فانه كان مناسباً، بل ومناسباً جداً ان يعتبر موسى بتقدير كخادم للشريعة، وخادم للنعمة التي تكلم بها ملائكة ولكن تقديرنا لعمانوئيل يجب ان يفوق جداً لتقديرنا لموسى. وكذلك المجد الذي ينبغي ان نعطيه له كابن الله الآب.

شريعة تطهير الأبرص واشارتها لسر المسيح:

وكل من يريد ان يرى، يمكنه ان يرى سر المسيح العميق، والفائق القدرة الذي كتب لمنفعتنا في سفر اللاويين. لأن ناموس موسى يعلن ان الأبرص نجس ويأمره ان يخرج خارج المحلة كنجس، ولكن ان زال المرض منه فان الناموس يأمر بالسماح للمرض بدخول المحلة. وبالاضافة الى ذلك فان الناموس يحدد بوضوح الطريقة التي تعلن بها طهارة الأبرص فيقول: "هذه تكون شريعة الأبرص يوم طهره. يؤتى به الى الكاهن. ويخرج الكاهن الى خارج المحلة فان رأى الكاهن واذا ضربه البرص قد برأت من الأبرص يأمر الكاهن ان يؤخذ للمتطهر عصفوران حيان طاهران .. ويأمر الكاهن ان يذبح العصفور الواحد في اناء

خزف على ماء حي، أما العصفور الحي فانه يغمسه في دم العصفور المذبوح على الماء الحي ويرش على المتطهر من البرص سبع مرات فيطهره ثم يطلق العصفور الحي على وجه الصحراء". (لا 14 : 1-7). فالعصافير اذن عددها اثنان وكلاهما بلا عيب أي طاهران، وهي بلا لوم من جهة الشريعة، ويذبح احدهما على الماء الحي، أما الآخر اذ ينجو من الذبح، فانه بعد ذلك يعمد في دم العصفور الذي ذبح، ثم يطلق حراً.

هذا المثال اذن يمثل لنا السر العظيم والمكرم الذي لمخلصنا. لأن الكلمة كان من فوق، أي من الآب، من السماء، ولهذا السبب من المناسب جداً ان يقارن بطائر. فرغم انه نزل لأجل تدبير الخلاص ليأخذ شكلنا أي يأخذ صورة عبد الا انه رغم ذلك كان من فوق – نعم فانه حتى حينما كلم اليهود قال هكذا بوضوح "أنتم من اسفل اما انا فمن فوق" (يو 8 : 3) وايضاً ليس أحد صعد الى السماء الا ابن الانسان الذي من نزل من السماء" (يو 3 : 13) فكما قلت الآن حالاً، فانه حتى حينما صار جسداً، أي انساناً كاملاً، لم يكن ارضياً وليس مصنوعاً من طين مثلنا، بل كان سماوياً ويفوق الأشياء العالمية من جهة لاهوته. فيمكننا ان نرى اذن، في العصفورين المقدمين في تطهير الأبرص، يمكننا ان نرى المسيح متألماً بالجسد حسب الكتب، ولكنه يظل متعالياً على الآلام. نراه مائتاً في طبيعته البشرية الالهية، لأن الكلمة هو الحياة. فقد قال التلميذ الحكيم جداً: "مماتاً في الجسد ولكن محيي في الروح" (1بط 3 : 18). ولكن رغم ان الكلمة لا يمكن ان يقبل آلام الموت في طبيعته الخاصة، الا انه ينسب الى نفسه ما تألم به جسده، العصفور الحي اعتمد في دم العصفور الميت، وهكذا اصطبغ بالدم، واذ صار مشتركاً في الآلام، فانه أطلق حراً الى الصحراء. وهكذا ايضاً رجع كلمة الله الوحيد الى السماء مع الجسد الذي اتحد به. وكان منظراً غريباً جداً في السماء وجموع الملائكة دهشت حينما رأت ملك الأرض ورب القدرة مثلنا في الشكل وقالوا "من ذا الآتي من أدوم – ويعنون بذلك الأرض – بثياب حمر من بصره" 0اش 63 : 1) وتفسير بصره هو جسد. ثم سألوه ما هذه الجروح في يديك؟ فأجاب "هي التي جرحت بها في بيت احبائي" (زك 13 : 6) فكما انه بعد عودته الى الحياة من الموت حينما كشف – بقصد حكيم – يديه لتوما، أمره ان يلمس أثار المسامير، والفتحة التي في جنبه، هكذا ايضاً حينما وصل الى السماء، اعطى برهاناً كاملاً للملائكة القديسين ان اسرائيل قد طرد بعدل ولم يعد شعبه. لهذا السبب أراهم ثيابه المصبوغة بالدم، والجروح في يديه، ليس لأنه لا يستطيع ان يلاشي الجروح، لأنه حينما قام من الأموات أبطل الفساد وأبطل معه كل علاماته وصفاته. لذلك احتفظ بآثار الجروح لكي تعلن حكمة الله المتنعة التي صنعها في المسيح فتعرف الآن عند الرؤساء والسلاطين بواسطة الكنيسة بحسب خطة الخلاص.

ولكن ربما يسأل أحد ويقول، كيف تستطيع ان تؤكد ان يسوع المسيح هو نفسه الابن والرب الوحيد بينما هناك عصفوران قد قدما؟ ويقول ألا يوضح الناموس بهذا انه يوجد ابنان ومسيحان نعم ان

بعض الناس قد وصلوا الى مثل هذه الهوة من عدم التقوى بأن يفكروا ويقولوا، ان كلمة الله الآب هو مسيح واحد بمفرده، وان ذلك الذي جاء من نسل داود هو مسيح آخر. ولكننا نجيب اولئك الذين يتصورون بجهلهم الأمور هكذا، بما كتبه بولس الالهي: "رب واحد، ايمان واحد، معمودية واحدة" (اف 4 : 5) لذلك ان كانوا يؤكدون انه يوجد ابنان فبالضرورة يكون هناك ربان، وايمانان، ومعموديتان. لذلك رغم انه أي بولس يملك المسيح متكلماً فيه كما يؤكد هو نفهس فمع ذلك يصير تعليمه خاطئاً. لكن هذا لا يمكن ان يكون. بالمرة! لذلك فنحن نعترف برب واحد هو كلمة الله الوحيد المتجسد، غير فاصلين بين الناسوت واللاهوت، بل نؤكد باخلاص ان كلمة الله الآب صار هو انساناً في الوقت الذي فيه استمر الهاً.

وبعد ذلك لندع أصحاب الرأي المضاد ان يتكلموا قائلين "ان كان هناك ابنان، واحد من نسل داود والآخر منفصل عنه هو كلمة الله الآب، الا يكون كلمة الله الاب أعلى في طبيعته من ذلك الذي جاء من نسل داود؟ فماذا نفعل اذن، ونحن نرى العصفورين غير مختلفين في الطبيعة الواحد الوحد عن الآخر؟ بل العكس من نفس النوع ولا يختلفان في أي نقطة أحدهما عن الآخر". ولكن هؤلاء لا يربحون شيئاً بمجادلتهم هذه لأنه يوجد فرق عظيم جداً بين اللاهوت والناسوت وحينما نشرح الأمثلة، ينبغي ان نفهمها بحسب تشابهها المناسب، لأن الأمثلة قاصرة تماماً عن مستوى الحق. وهي عادة تعطي توضيحاً جزئياً للأشياء التي تشير اليها. وفوق ذلك نقول، ان الناموس كان نوعاً من الظل والمثال، ورسم يضع الأشياء أمام عيني الناظرين. ولكن في الفن التصويري تكون الظلال هي اساس الألوان وحينما توضع درجات الألوان الساطعة على الظلال، فحينئذ يلمع جمال الرسم. وبنفس الطريقة حيث انه كان مناسباً لناموس موسى ان يخطط لسر المسيح بوضوح، فان الناموس لا يظهر كميت وكحي في نفس العصفور الواحد لئلا اذا حدث ذلك يكون له شكل شعوذة مسرحية، ولكنه أشار اليه كمتألم مذبوح في أحد العصفورين واظهر في العصفور الآخر المسيح كحي ومطلوق حراً.

مثال من ابراهيم:

ولكني سأحاول ان ابين ان ما أناقشه هنا لا يخرج عن حدود الاحتمال المعقول بواسطة قصة اخرى. لأنه لو أراد واحد من جماعتنا ان يرى تاريخ ابراهيم موضحاً في رسم فكيف يرسمه الفنان، هل يرسمه وهو يعمل الاشياء مرة واحدة؟ ام انه يرسمه في صور متتابعة وهو يعمل اعمالاً مختلفة في عدة صور رغم ان الذي يعمل كل الأعمال المختلفة هو شخص واحد. فأنا أعني ان يرسمه مثلاً مرة وهو جالس على الحمار واسحق يسير مرافقاً له والغلمان يتبعونهما، ثم في مرة أخرى يرسم الحمار واسحق يسير مرافقاً له والغلمان يتبعونهما، ثم في مرة أخرى يرسم الحمار متروكاً مع الغلمان واسحق يحل الحطب وابراهيم نفسه يحمل السكين والنار في يديه. وفي جزء آخر يرسم ابراهيم نفسه في موقف مختلف تماماً. اذ يكون اسحق مربوطاً فوق الحطب وابراهيم يمسك السكين بيده اليمنى مستعداً ان يذبحه. ولكن في كل هذه الرسوم لا يكون

غير ابرهيم واحد رغم انه يمثل باشكال مختلفة في الرسم، ولكنه هو واحد وهو نفس الشخص في كل الرسوم اذ ان فن الرسام يتكيف بحسب ما تحتاجه الأمور المطلوب توضيحها في الرسم. لأنه من المستحيل ان نراه في رسم واحد يعمل جميع الأعمال المذكورة سابقاً، لذلك هكذا الناموس ايضاً كان رسماً ومثالاً لحقائق آتية. ولذلك فرغم انه كان هناك عصفوران الا ان الذي كان يشير اليه العصفوران هو واحد فقط، كمتألم وكحر من الألم، كمائت وكمن هو فوق الموت، وصاعد الى السماء كباكورة ثانية للطبيعة البشرية المتحدة في عدم فساد. لأنه صنع لنا طريقاً جديداً الى ما هو فوق، ونحن سنتبعه حينما يحين الوقت. فذبح أحد العصفورين بينما العصفور الآخر يعتمد في دم المذبوح ويظل هو حراً من الذبح، كان هذا اشارة الى ما سيحدث حقيقة لأن المسيح مات لأجلنا، ونحن الذين اعتمدنا في موته، قد خلصنا بدم نفسه.

المسيح المعلم الحقيقي والطبيب الشافي:

لو 5 : 17 "وفي أحد الأيام كان يعلم وكان فريسيون ومعلمون للناموس جالسين وهم قد اتوا من كل قرية من الجليل واليهودية واورشليم. وكانت قوة الرب لشفائهم".

كان يحيط به مجموعة من الكتبة الحاقدين ومن الفريسيين، هؤلاء جميعاً كانوا يشاهدون اعماله العجيبة، وكانوا ايضاً يستمعون اليه وهو يعلم، ويقول الانجيل ان قوة الرب كانت حاضرة لشفائهم. فهل معنى هذا الكلام هو كما لو ان الله اعطاه القدرة ان يعمل المعجزات؟ أي هل استعار القوة من آخر؟ ولكن من يتجاسر ان يقول هذا الكلام؟

إنه هو بالحري الذي كان يعمل بقوته الخاصة، كان يعمل كاله ورب وليس كشخص يشترك في نعمة الهية. لأن الناس في الحقيقة هم الناس حتى بعد ان يحسبوا اهلاً للمواهب الروحية، الا انه يتضح احياناً انهم ضعفاء، وذلك بحسب القياس المعروف لله الذي يوزع النعم الالهية. اما في حالة مخلصنا كلنا فلم يكن هناك شيء من ذلك، فان قوته للشفاء لم تكن قوة بشرية، بل هي قوة الهية فائقة لا تقاوم. لأنه هو الله وهو ابن الله.

المسيح وحده هو الذي يعلم لأنه هو المعلم الحقيقي، وهو حكمة الآب. لأن جميع الباقون يعلمون بمقدار ما ينالون منه، ويقول الانجيل ان قوة الرب كانت حاضرة لشفاء الكل. وهذا معناه ان قوته القادرة على الشفاء لم تكن بشرية بل قوة الهية لا تضعف لأن بقية القديسين ينالون قوة لعمل الشفاء في وقت معين. بينما في أوقات أخرى لا ينالون هذه القوة. أما يسوع فاذ هو الله وهو قوة الآب فانه شفى الجميع في كل الأوقات.

شفاء المفلوج

لوقا 5 : 18–20 "واذا برجال يحملون على الفراش انساناً مفلوجاً. وكانوا يطلبون ان يدخلوا به

ويضعوه أمامه ولما لم يجدوا من اين يدخلون به لسبب الجمع صعدوا على السطح ودلوه مع الفراش من بين الآخرين الى الوسط قدام يسوع. فلما رأى ايمانهم قال له: ايها الانسان مغفورة لك خطاياك".

حينما كان عدد غير قليل – كما يقول الانجيل – من الكتبة والفريسيين مجتمعين اذا برجال يحملون انسان مشلولاً على فراش ولأنهم لم يستطيعوا ان يدخلوا من الباب صعدوا به على السطح ليحاولوا ان يعملوا أمراً غريباً وجديداً. فاذ رفعوا الآجر، فانهم أزالوا الخشب الموضوع هناك. وبينما كانوا يفعلون هذا كان يسوع ينتظر بصبر والحاضرين كانوا صامتين ينتظرون نتيجة ما حدث ، ويرغبون ان يروا ما الذي سيقوله يسوع ماذا سيفعل. لذلك اذ كشفوا السقف فانهم انزلوا الفراش ووضعوا المشلول في الوسط فماذا فعل الرب بعد ذلك؟ انه لما رأى ايمانهم – ليس ايمان المشلول، بل ايمان الحاملين لأنه من الممكن ان يشفى الانسان بواسطة ايمان آخرين. او ربما ان الرب لاحظ ايضاً ان المفلوج نفسه له ايمان ولذلك شفاه. وايضاً من المحتمل ان يكون المكان الذي انزلوا منه فراش المفلوج بين الآجر كان مفتوحاً على الهواء حتى انهم لم يحتاجوا ان يكسروا السقف. ولكن حينما يقول له المخلص "أيها الانسان مغفورة لك خطاياك" فانه يوجه هذا الكلام للجنس البشري عموماً. لأن أولئك الذين يؤمنون به اذ ينالون الشفاء من أمراض النفس فانهم يحصلون على غفران الخطايا التي ارتكبوها سابقاً. أو ربما يقصد هذا: اني ينبغي ان اشفي نفسك قبل ان اشفي جسدك، لأنه ان لم يحدث ذلك فإنك حصولك على قدرة المشي فانك تفعل خطية أكثر، وحتى ان كنت لم تطلب هذا ولكنني انا كاله ارى امراض النفس التي جلبت عليك هذا المرض.

والآن اذ اجتمع عدد كبير من الكتبة والفريسيين فلابد ان تجري معجزة الهية لأجل منفعتهم. وبسبب الازدراء الذي كانوا ينظرون به اليه فان المخلص فعل حسناً اذ صنع من اجلهم عملاً عجيباً جداً. لأنه كان هناك رجل ممدداً على فراش يعاني من مرض لا شفاء له ولأن مهارة الأطباء اثبتت عدم نفعها بالمرة، فقد حمله اقرباؤه الى الطبيب الذي من فوق، من السماء. وحينما اصبح في حضرة ذلك له القدرة على الشفاء فان ايمانه صار مقبولاً، وقد أظهر المسيح في الحال ان ذلك الايمان يمكن ان يلاشي الخطية، لأنه يبشره وهو موضوع هناك قائلاً "مغفورة لك خطاياك". ولكن ربما يقول واحد ان ما كان يريده الرجل هو ان يتحرر من مرضه، فلماذا اذن يعلن له المسيح غفران خطاياه؟ لقد حدث هكذا لكي تتعلم ان الله يرى أحوال الناس في سكون وبدون ضوضاء ويراقب سيرة حياة كل واحد. لأنه مكتوب "طرق الانسان أمام عيني الرب، وهو يزن كل سبله" (اما 5 : 21). ولأن الله صالح ويريد خلاص جميع الناس فانه كثيراً ما يطهر اولئك الذين ارتبكوا في الخطايا بأن يصيبهم بمرض في جسدهم لأنه هكذا يقول بصوت ارميا "يا اورشليم سوف تتعلمين بالتعب والضرب" (ار 6 : 8 سبعينية). وايضاً كاتب سفر الأمثال يقول "يا ابني لا تحتقر تأديب الرب ولا تخر حينما يوبخك لأن الذي يحبه الرب يؤدبه. ويجلد كل ابن يقبله" (ام 3 : 11

و12 سبعينية انظر عب 12 : 5 و6). حسناً اذن يعلم المسيح انه سيقطع سبب المرض وجذر المعاناة واعني به الخطية. لأنه اذا ازيلت هذه فبالضرورة فإن المرض الناتج عنها يتلاشى في نفس الوقت.

لو 5 : 21–23 "فابتدأ الكتبة والفريسيون يفكرون قائلين من هذا الذي يتكلم بتجاديف؟ من يقدر ان يغفر الخطايا الا الله وحده. فشعر يسوع بأفكارهم وأجاب وقال لهم: ماذا تفكرون في قلوبكم. ايهما ايسر ان يقال مغفورة لك خطاياك أم أن يقال قم وامش".

فيسوع اذ كان مملوءاً بسلطان الهي على غفران الخطايا. ولكن هذا الاعلان يسبب اضطراباً لعصبة الفريسيين الجاهلة الحقودة .. لأنهم قالوا بعضهم لبعض: "من هذا الذي يتكلم بتجاديف؟" ولكنك ايها الفريسي لو كنت تعرف الكتب الالهية لما قلت هذا عنه، ولوضعت في عقلك كلمات النبوة، ولفهمت سر التجسد الممجد المملوء قوة. ولكنهم الآن ينسبون اليه التجديف، ويحددون ضده اقصى عقوبة ويحكمون عليه بالموت، لأن ناموس موسى يأمر أن من جدف على اسم الرب ينبغي ان يموت. (انظر لا 24 : 16). ولكن حالما يصلون الى قمة جسارتهم فانه يظهر انه هو الله ليوبخهم مرة أخرى على عدم تقواهم الفظيع. لأنه قال لهم "ماذا تفكرون في قلوبكم"؟ لذلك فان كنت ايها الفريسي تقول، من يستطيع ان يغفر الخطايا الا الله وحده، فاني أقول لك ايضاً: من يقدر ان يعرف القلوب ويرى الأفكار المختفية في أعماق العقل الا الله وحده؟ لأنه هو نفسه يقول في موضع آخر بصوت الأنبياء "انا الرب فاحص القلوب ومختبر الكلى" (أر 17 : 10) ويقول داود ايضاً "المصور قلوبهم جميعاً" (مز 33 : 15). لذلك فالذي هو كاله يعرف القلوب والكلى فهو كاله ايضاً يغفر الخطايا.

لو 5 : 24 "ولكن لكي تعلموا ان لابن الانسان سلطاناً على الأرض ان يغفر الخطايا، قال للمفلوج لك أقول قم واحمل فراشك واذهب الى بيتك".

ولكن لأنه كان لا يزال هناك مجال مفتوح لعدم الايمان في قوله "مغفورة لك خطاياك" – لأن الإنسان لا ينظر الخطايا مالغفورة بعيني الجسد، بينما ازالة المرض وقيام المشلول ومشيه كل هذه تحمل معها برهان ظاهراً على القوة الالهية – لذلك أضاف يسوع "قم واحمل فراشك واذهب الى بيتك"، وهذا قد تم ورجع الرجل الى بيته متحرراً من المرض الذي عانى منه طويلاً. لذلك فقد تبرهن بالحقيقة الفعلية ان ابن الانسان له سلطان على الأرض ان يغفر الخطايا. ولكن عن من يقول هذا؟ هل عن نفسه أم عنا نحن ايضاً؟ كلا الأمرين صحيح. لأنه هو يغفر الخطايا لكونه الاله المتجسد، رب الناموس، ونحن ايضاً قد نلنا منه هذه النعمة العظيمة والعجيبة جداً، لأنه قد توج طبيعة الانسان بهذه الكرامة العظيمة ايضاً، اذ قال للرسل القديسين "الحق اقول لكم كل ما تربطونه على الأرض يكون مربوطاً في السماء وكل ما تحلونه على الأرض يكون محلولاً في السماء" (مت 18 : 18) وايضاً "من غفرتم خطاياه تغفر له ومن امسكتم

خطاياه امسكت" (يو 20 : 23). وما هي المناسبة التي تجده يتكلم فيها هكذا الى الرسل؟ لقد حدث هذا بعدما داس على قوة الموت، وقام من الموت، حينما نفخ فيهم وقال "اقبلوا الروح القدس" (يو 20 : 22) لأنه اذ قد جعلهم شركاء طبيعته، ومنحهم سكنى الروح القدس، فانه جعلهم ايضاً مشاركين في مجده، باعطائهم القوة ان يحلوا ويمسكوا الخطايا. وكما اننا قد أمرنا منه ان نمارس هذا العمل، فكيف لا يغفر هو نفسه الخطايا بالحري بينما هو يعطي الآخرين السلطان الذي يمكنهم ان يفعلوا هذا؟

دعوة لاوي العشار:

لوقا 5 : 27–29 "وبعد هذا خرج ونظر عشاراً اسمه لاوي جالساً عند مكان الجباية. فقال له اتبعني. فترك كل شيء وقام وتبعه. وصنع له لاوي ضيافة كبيرة في بيته. والذين كانوا متكئين معهم كانوا جمعاً كثيراً من عشارين وآخرين".

كان لاوي عشاراً، انساناً لا يشبع من الربح القبيح ولا من الطمع الفاحش، وفي سعيه وراء ما ليس له كان يهمل العدل. فهذه كانت هي خصائص العشارين. ولكنه انتزع من صميم معمل الاثم. وخلص بدعوة المسيح مخلصنا جميعاً. لأنه قال له، اتبعني فترك كل شيء وتبعه. انظر بولس الحكيم جداً يقول بحق ان "المسيح جاء ليخلص الخطاة" (1 : 15). ألا تنظر كلمة الله الوحيد اذ قد أخذ الجسد، كيف نقل الى نفسه أمتعة ابليس؟

من عظتي (21، 22)

لا يحتاج الأصحاء الى طبيب بل المرضى

"أم كيف يستطيع أحد أن يدخل بيت القوي وينهب أمتعته ان لم يربط القوي أولاً، وحينئذ ينهب بيته؟" (مت 12 : 29). فالمقصود ببيت القوي أي الشيطان هو بلدته على الأرض، أما أمتعته فهي أولئك الذين يفكرون مثله. فانه كما اننا ندعو القديسين أواني مقدسة، هكذا فليس هناك ما يمنع ان تسمي أولئك الذين يرتكبون كل الشرور (بأواني الشيطان او امتعته). لذلك فكلمة الله الوحيد دخل عند تجسده الى بيت القوي، أي الى هذا العالم، وهكذا نهب امتعته.

ولاوي خلص حقاً، وتوبة لاوي توحي لنا نحن برجاء سعيد لأننا من هذه الحقيقة نتعلم ان التوبة تخلص. نعم وأكثر من ذلك، فان الله نفسه الذي هو رب الكل سيكون ضمانتنا الأكيدة، حيث يقول بصوت النبي "التفتوا الى واخلصوا يا جميع أقاصي الأرض" (اش 45 : 22).

أي واحد منكم له مئة خروف وضل واحد منها، أفلا يترك التسعة والتسعين على الجبال ويذهب يطلب الضال؟ وان اتفق ان يجده فالحق أقول لكم انه يفرح به أكثر من التسعة والتسعين التي لم تضل. لأن جمهور الكائنات العاقلة التي تشكل قطيع المسيح في السماء وعلى الأرض، هذا الجمهور لا يعد. وهو عظيم جداً حتى أنه يصل الى عدد كامل. لأن هذا ما يشير اليه تعبير مئة فجموع الملائكة القديسين هم التسعة والتسعين. لأني كما قلت هم كثيرون. أما القطيع على الأرض فهو واحد، ولكن من النافع ان يكمل العدد، ولذلك يبحث عنه المسيح، فهل بحث عنه اذن كمن كان ضالاً، أم أنه لم يكن قد وصل الى هذا؟ ولكن من الواضح ان ما يبحث عنه هو الذي ضل. بأي طريقة اذن قد ضل وفقد؟ بسقوطه في الخطية، وبابتعاده عن المشيئة الإلهية وضلاله عن الراعي الشامل.

ولكن كل هذه الاشياء لم تؤثر في الفريسيين، بل بالعكس فانهم يلومون التلاميذ، فاسمع المكتوب: **لو 5 : 30 "فتذمر كتبتهم والفريسيون على تلاميذه قائلين لماذا تأكلون وتشربون مع عشارين وخطاة. فأجاب يسوع وقال لهم: لا يحتاج الأصحاء الى طبيب بل المرضى".**

هناك بعض الناس [14] يحاولون ان يحرموا الخطاة من الرحمة الالهية، لأنهم لا يسمحون بالتوبة، وكأنهم يوبخون المخلص لبحثه عن خاصته، وسعيه ان يجمعهم من كل ناحية تشتتوا فيها. ولهؤلاء نقول: ان الفريسيين يقدمون لكم مثال التذمر حينما رأوا لاوي يدعى من الرب وجمهور من العشارين مجتمعين معاً في وليمة مع المسيح مخلصنا جميعاً. فتوجهوا الى الرسل القديسين يلومونهم قائلين: لماذا تأكلون وتشربون مع العشارين؟ ولكنهم تلقوا الجواب، "لا يحتاج الأصحاء الى طبيب" لأن مخلص الكل، لكونه طبيب الأرواح،

([14]) غالباً يقصد بدعة النوفاتيين الذين كانوا ينكرون التوبة للخطاة بعد المعمودية.

فانه لا يتخلى عن أولئك الذين هم في حاجة اليه، بل لأنه يستطيع أن يطهرهم، فإنه يقصد ان يتحدث مع اولئك الذين لم يتطهروا بعد من خطاياهم. ولكن دعنا نرى ايها الفريسي، كبرياءك المفرط، فدعنا نتخذ المسيح نفسه – الذي كل الاشياء مكشوفة امامه – نتخذه كشارح وموضح للوم الكبير الذي تجلبه على نفسك بمعاملتك المتغطرسة للخطاة. فقد تحدث السيد عن فريسي يتباهى بنفسه وهو يصلي وعن عشار يدين نفسه. فقال الرب: "الحق اقول لك ان هذا (أي العشار) نزل الى بيته مبرراً أكثر من ذلك الفريسي". لذلك فالعشار الذي اعترف بخطيته تبرر أفضل من الفريسي المتعالي.

ولكن لأي سبب يلوم الفريسيون المخلص لأكله مع الخطاة؟ بسبب ان الناموس يفصل بين ما هو مقدس وما هو نجس أي ان كل شيء مقدس لا ينبغي ان يتصل بالاشياء النجسة. فانهم وجهوا الاتهام على اعتبار انهم يدافعون عن الناموس. ولكن في الحقيقة كان عندهم حسد للرب وكانوا يتصيدون له الأخطاء. ولكنه يبين لهم انه في حضوره الآن في العالم لم يأت كقاض بل كطبيب، ويعمل ما يجب على الطبيب ان يقوم به – بأن يختلط بأولئك الذين هم في حاجة الى الشفاء. ولكنهم بمجرد ان سمعوا رداً وتوضيحاً على اتهامهم الأول، قدموا اتهاماً آخر بسبب ان تلاميذ الرب لم يكونوا يصومون قاصدين ان يجدوا فرصة ضدهم.

لو 5 : 33 "وقالوا له لماذا يصوم تلاميذ يوحنا كثيراً .. وكذلك تلاميذ الفريسيين ايضاً وأما تلاميذك فيأكلون ويشربون".

ولكن أنظروا استمرارهم في الخبث. فبعد أن رد الرب على اتهامهم الأول، فانهم غيروا الحديث الى موضوع آخر راغبين ان يجدوا فرصة لاتهام التلاميذ القديسين، بل ويسوع نفسه باهمال الناموس. ولكنه يجيبهم أن الآن يوجد هنا عرس، فهو زمان الدعوة، زمان الكرازة، والأطفال تتم تربيتهم، وأولئك الذين تتم دعوتهم يتغذون باللبن، فالصوم ليس مناسباً لهم. وهم يقولون، نعم أنتم تأكلون مع العشارين وخطاة، رغم ان الناموس يأمر أن الطاهر لا ينبغي ان يتصل بالنجس وحجتك في تعدي الناموس هي محبتك للبشر. ويقولون لماذا لا تصومون حسب عادة الأبرار وأولئك الذين يرغبون ان يعيشوا حسب الناموس؟ وجواباً على مثل هذه الاعتراضات يمكن ان نقول، أيها اليهودي هل أنت تفهم وتعرف الطريقة السليمة للصوم؟ لأنه كما يقول اشعياء النبي "في أيام صومكم توجدون مشيئتكم الخاصة، وبكل أشغالكم تسخرون، ها أنكم للخصومة والنزاع تصومون ولتضربوا بلكمة الشر، لماذا تصومون لي؟ ليس هذا هو الصوم الذي اختاره يقول الرب" (اش 58 : 3-5). فان كنتم أنتم انفسكم لا تعرفون كيف تصومون، فلماذا تلومون الرسل القديسين على عدم صومهم حسب طريقتكم؟

ولننظر الموضوع في ضوء آخر، وذلك في حالة أولئك الذين صاروا حكماء بواسطة العهد الجديد في المسيح فهؤلاء يصومون بحكمة، أي بتذليل انفسهم أمام عيني الله، وبأن يضعوا على أنفسهم تعباً ارادياً

وصوماً عن الطعام، وذلك لكي يحصلوا على غفران خطاياهم، أو لكي يربحوا موهبة روحية جديدة، أو حتى لكي يميتوا ناموس الخطية الذي في اعضائهم الجسدية.

ولكن هذا النوع من الصوم تجهله أنت أيها الفريسي! لأنك قد رفضت أن تقبل العريس السماوي الذي هو غارس ومعلم كل فضيلة، أي المسيح. وايضاً فان القديسين يصومون لكي يخضعوا شهوات الجسد بارهاقه. أما المسيح فلم يكن محتاجاً ان يصوم لكي يكمل الفضيلة، لأنه كاله، كان حراً من كل شهوة. ورفاقه لأنهم نالوا من نعمته صاروا أقوياء وأكملوا الفضيلة حتى بدون صوم. ورغم أنه صام أربعين يوماً فهو لم يفعل هذا ليميت أي شهوات في نفسه، بل ليضع مثالاً للبشر في سلوكه بقانون الصوم والإمساك لذلك فهو يدافع عن نفسه حسناً بالكلمات التي يسجلها البشير بعد ذلك.

الصوم وبنو العرس

لو 5 : 34 "فقال لهم اتقدرون ان تجعلوا بني العرس يصومون ما دام العريس معهم؟".

أرجوا أن تلاحظوا، الطريقة التي بها يوضح المسيح أنهم لم يكن لهم أي اشتراك في الفرح والعيد، بل هم غرباء تماماً عن الشعور بأي فرح من جهته وليس لهم شركة في عيد العالم العظيم. لأن ظهور مخلصنا للعالم لم يكن شيئاً أقل من عيد شامل قد وحد فيه نفسه روحياً مع طبيعة الإنسان، لكي تكون كأنها عروس له لكي بعدما كانت عقيمة لمدة طويلة تصير مثمرة، ومباركة بأولاد كثيرين. لذلك فالجميع هم أبناء العرس الذين دعاهم برسالة الإنجيل الجديدة. أما الكتبة والفريسيون فلم يكونوا من بني العرس لأنهم ربطوا أنفسهم فقط بظل الناموس وحده. ولكن كما أنه أذن مرة لأبناء العرس أن يتعبوا أنفسهم بالصوم كامتياز مناسب للوقت لأنهم كانوا يحتفلون بعيد روحاني، فانه لكي لا يكون الصوم مرفوضاً كلية عندنا فانه يضيف كلاماً مناسباً جداً قائلاً:

لو 5 : 35 "ولكن ستأتي أيام حين يرفع العريس عنهم فحينئذ يصومون في تلك الأيام".

لأن الأشياء تكون صالحة في وقتها المناسب. ولكن ما معنى أن يرفع العريس عنهم؟ المقصود هو ارتفاعه الى السماء.

لو 5 : 36 و37 وقال لهم ايضاً مثلاً. ليس أحد يضع رقعة من ثوب جديد على ثوب عتيق ... والا فالجديد يشقه والعتيق لا توافقه الرقعة التي من الجديد. وليس أحد يجعل خمراً جديدة في زقاق عتيق لئلا تشق الخمر الجديدة الزقاق، فهي تهدمه والزقاق تتلف".

الأشياء التي يؤسسها المسيح لا يستطيع ان يقبلها أولئك الذين يعيشون حسب الناموس ولا تدخل في قلوب من لم ينالوا بعد التجديد بواسطة الروح القدس، وهذا يوضحه الرب بقوله "ان رقعة جديدة لا يمكن ان توضع على ثوب عتيق، ولا تستطيع الزقاق القديمة ان تحتمل الخمر الجديد. لأن العهد

الأول قد شاخ، وهو لم يكن بلا عيب. لذلك فأولئك الذين يتمسكون به ويمسكون بالوصية التي عتقت ليس لهم نصيب في عهد المسيح الجديد. "لأنه فيه كل الأشياء صارت جديدة" (2كو 5 : 17).

ولكن عقلهم اذ قد فسد فليس لهم أي انسجام ولا أي نقطة اتفاق مع خدام العهد الجديد. واله الكل يقول في موضع ما بواسطة أحد الأنبياء القديسين: "وأعطيكم قلباً جديداً وأجعل روحاً جديدة في داخلكم" (حز 36 : 26).

وداود ايضاً يرنم "قلباً نقياً اخلق في يا الله، وروحاً مستقيماً جدد في داخلي" (مز 50 : 10).

ونحن قد أمرنا ان نخلع الإنسان العتيق، وأن نلبس الانسان الجديد الذي يتجدد حسب صورة خالقه (انظر كو 3 : 9). وبولس ايضاً يعطي نصيحة قائلاً: "لا تشاكلوا هذا الدهر، بل تغيروا بتجديد أذهانكم لتختبروا ما هي ارادة الله الصالحة المرضية الكاملة" (رو 12 : 2). لذلك فأولئك الذين لم ينالوا تجديد الروح بعد، لا يستطيعون ان يختبروا ارادة الله الصالحة المرضية الكاملة.

"**وليس أحد يجعل خمراً جديدة في زقاق عتيقة**". اذن فقلب اليهود هو زقاق عتيق، ولذلك لا يستطيع ان يحفظ الخمر الجديدة التي هي وصية الانجيل المخلصة "التي تفرح قلب الانسان" ولكن المسيح قد ملأنا بهذه البركات العظيمة بمنحه إيانا مواهب روحية بسخاء، وقد فتح لنا الطريق واسعاً الى كل فضيلة.

الإصحاح السادس

قطف التلاميذ للسنابل يوم السبت

لو 6 : 1، 2 "وفي السبت الثاني بعد الأول اجتاز بين الزروع وكان تلاميذه يقطفون السنابل ويأكلون وهم يفركونها بأيديهم. فقل لهم قوم من الفريسيين لماذا تفعلون ما لا يحل فعله في السبوت"؟

ان الله يعدنا بعهد جديد اذ ان العهد الأول "عتق وشاخ وهو قريب من الاضمحلال" حسب كلمات بولس الالهي (عب 8 : 13). نعم انه يقول بواسطة احد الانبياء القديسين "ها أيام تأتي يقول الرب حين أكمل مع بيت اسرائيل ومع بيت يهوذا عهداً جديداً، لا كالعهد الذي عملته مع آبائهم، يوم أمسكت بيدهم لأخرجهم من أرض مصر" (أر 31 : 31 : 32). فان كان العهد الجديد هو الثاني ويختلف عن الأول فانه تكون هناك كل الضرورة، بالنسبة لأولئك الذين يريدون ان يعيشوا حسب العهد الجديد، ان يتخلوا عن النواميس القديمة وينسجموا مع تلك التي تقودهم الى جدة حياة الانجيل. ولكننا يمكن ان نرى ان كل هذا لا يفهم منه الكتبة والفريسيون شيئاً، ولكونهم معدمين تماماً من معرفة الكتب المقدسة، فلم يكن لديهم سوى غرض واحد، هو ان يجدوا في كل فرصة لوماً على الكرازة الالهية السماوية. فهم لذلك يراقبون الرسل القديسين في ملازمتهم واتباعهم لمخلصنا جميعاً. ويخبرونه عنهم قائلين: ها نحن نرى أولئك الذين يتتلمذون تحت يديك، يفعلون ضد تعاليم الناموس، لأنهم يفعلون ما لا يحل فعله في السبوت، فبينما يوصي الناموس الناس الا يعملوا عملاً في يوم السبت، ولا يتدخلوا في أي عمل كان، فان التلاميذ يفركون سنابل القمح بأيديهم.

ولكن اخبرني انت نفسك، ألست تكسر الخبز حينما تجلس للأكل يوم السبت؟ فلماذا اذن تلوم الآخرين. ولكن لكي نستعمل ضدهم متراس كلمات المخلص فلننصت.

لو 6 : 3–5 "فأجاب يسوع وقال لهم أما قرأتم ولا هذا الذي فعله داود حين جاع هو والذين كانوا معه. كيف دخل بيت الله وأخذ خبز التقدمة وأكل وأعطى الذين معه ايضاً. الذي لا يحل أكله الا للكهنة فقط. وقال لهم ان ابن الانسان هو رب السبت ايضاً".

والآن رغم ان داود تصرف هكذا عكس ما يسمح به الناموس، الا أننا نوقره جداً بحق وعدل ونعتبره مستحقاً كل اعجاب، لأنه كان بالحق قديساً ونبياً. لذلك حيث ان ناموس موسى يأمر بوضوح قائلاً "احكموا حكماً عادلاً، ولا تنظروا الى الوجوه في القضاء" (تث 1 : 16) فكيف (يقول الرب) تدينون تلاميذي، بينما أنتم لا تزالون معجبين بداود المبارك كقديس ونبي، رغم أنه لم يحفظ أمر موسى؟ ولكنه بخبز التقدمة يشير بوضوح الى الخبز الذي ينزل من السماء لكي يوضع على الموائد المقدسة في

الكنائس، وكل أثاث المائدة المستعملة لتأدية الخدمة السرية —كان مثالاً واضحاً للكنوز الالهية. ولكن الخبز يشير روحياً الى الرسل الاثنى عشر، الذين سنتكلم عنهم في الوقت المناسب حينما يصل حديثنا الى الكلام عن التلاميذ أنفسهم.

من عظة (23)

شفاء رجل يده يابسة في السبت

ولكن الله يقول "اني أريد رحمة لا ذبيحة، ومعرفة الله أكثر من محرقات" (هو 6 : 6).

ما هو المقصود برحمة؟ والمقصود بذبيحة؟ إن رحمة تشير الى التبرير والنعمة في المسيح التي هي بواسطة الايمان. لأننا تبررنا ليس بأعمال الناموس التي عملناها، بل برحمته العظيمة. والذبيحة تعني ناموس موسى.

لو 6 : 6–8 "وفي سبت آخر دخل المجمع وصار يعلم. وكان هناك رجل يده اليمنى يابسة. وكان الكتبة والفريسيون يراقبونه هي يشفي في السبت لكي يجدوا عليه شكاية. أما هو فعلم أفكارهم وقال للرجل الذي يده يابسة قم وقف في الوسط فقام ووقف".

كان تعليمه عن أشياء سامية للعقل، وما يجعل طريق الخلاص الذي انفتح بواسطته واضحاً لسامعيه، وفي الحال بعد تعليمه أظهر قوته الالهية بعد ان مهد بالكلمات الطريق الى الايمان. لأن المعجزة أحياناً تحول الى الايمان اولئك الذين لم يؤمنوا بالكلمة. ولكن الفريسيين كانوا يراقبونه ليروا ان كان سيشفي في السبت. فان هذه هي طبيعة الانسان الحسود، انه يجعل حسنات الآخرين طعاماً لمرضه. ويكاد يصاب بجنون بسبب شهرتهم. فماذا قال عن هذا ذلك الذي يعرف كل الأشياء، ويفحص القلوب وما هو في الأعماق؟ لأن "عنده يسكن النور" كما يقول الكتاب (دا 2 : 22). تكلم الرب الى الرجل الذي يده يابسة وقال قم وقف في الوسط ولماذا فعل هذا؟ ربما لكي يحرك الفريسي القاسي الذي لا يشفق نحو العطف والشفقة. فربما يخجلهم مرض ذلك الرجل، ويستحثهم ان يبعدوا نيران الحسد.

لو 6 9 و10 "ثم قال لهم يسوع أسألكم شيئاً. هل يحل في السبت فعل الخير أو فعل الشر، تخليص نفس أو اهلاكها. ثم نظر حوله الى جميعهم وقال للرجل مد يدك ففعل هكذا. فعادت يده صحيحة كالأخرى".

هذا السؤال الذي سأله الرب هو في الحقيقة حكيم جداً. وهو مناسب جداً لمواجهة حماقتهم. لأنه ان كان يحل فعل الخير في السبت، وليس هناك ما يمنع ان يشفق الله على المريض، فكفوا اذن عن تصيد الفرص لتجدوا شيئاً ضد المسيح. فانكم بذلك تنزلون على رؤوسكم العقاب الذي قرره الآب على اولئك الذي لا يكرمون الابن، لأنكم قد سمعتم الله يقول عن الابن بصوت داود "وسأقطع اعداءه من أمام وجهه، وأضرب اولئك الذين يبغضونه" (مز 89 : 3). ولكن ان كان لا يحل فعل الخير في السبت، وان كان الناموس يمنع تخليص النفس، فقد جعلتم انفسكم ديانين للناموس، وصرتم مفترين على الوصية التي من أجلها تستحق خدمة موسى الاعجاب – ان الرب يجيب قائلاً لا، إن إله الكل لم يوص بناموس

السبت لأجل نفسه، بل بالحري لأجلنا نحن الذين انحنت رقابنا تحته. أنتم تقولون حسناً نحن نوافق على كلماتك، لذلك فان ما هو الهي يكون حراً من اجبار الناموس.

فلماذا اذن تلومون المسيح لأنه أراد ان يظهر في السبت وينقذ نفساً حية؟ وان اردنا ان نفحص بدقة الناموس الموضوع بخصوص السبت، فسنجد انه موضوع من الله لأجل أغراض الرحمة. لأنه أمر ألا نعمل عملاً في السبت ونترك كل مجهود، بل وحتى الحيوانات غير العاقلة يجب ان تستريح في نفس الوقت. لأنه قال، ان يستريح عبدك، وأمتك، وثورك، وحمارك وكل بهائمك. (أنظر تث 5 : 4). ولكن الذي عنده رحمة على الثور والحيوانات الأخرى كيف لا يشفق في السبت على انسان مصاب بمرض شديد غير قابل للشفاء؟

لو 6 : 11 "فامتلأوا حمقاً وصاروا يتكالمون فيما بينهم ماذا يفعلون بيسوع".

ألم تكن المعجزة كافية لكي تنتج ايماناً؟ أنتم ترونه يعمل بكرامة الهية، ويشفي المرض بقوة عظيمة، أما أنتم فتشتغلون بالقتل الناتج عن حسدكم وشركم.

صلاة المسيح طوال الليل على الجبل

لو 6 : 12 "وفي تلك الأيام خرج الى الجبل ليصلي وقضى الليل كله في الصلاة لله".

كل ما فعله المسيح، فعله لأجل بنياننا، ولأجل منفعة اولئك الذين يؤمنون به، وعن طريق تعريفنا بسلوكه الخاص كنموذج للحياة الروحية، فانه جعلنا عابدين حقيقيين. لذلك دعنا نرى في النموذج والمثال الذي تزودنا به أعمال المسيح، نرى الطريقة التي ينبغي ان نقدم بها صلواتنا الى الله. فيجب ان نصلي سراً وفي الخفاء، دون ان يرانا أحد. فهذا هو معنى ذهاب يسوع الى الجبل وحده، ليصلي لوقت طويل بتمهل. وهذا ما علمه هو نفسه لنا بقوله "وأنت متى صليت فأدخل مخدعك" (مت 6 : 6). لأننا ينبغي ان نصلي غير طالبين مجداً من الناس، بل "رافعين أيادي مقدسة" (أنظر 1تيمو 2 : 8). بينما النفس كما لو كانت ترتفع عالياً للتأمل في الله، تاركين كل اضطراب ومتخلين عن الهموم العالمية. وهذا ينبغي ان نفعله لا بتقلب، ولا بهمة متوانية ضعيفة، بل بالعكس بجدية وغيرة، وبصبر يستحق التقدير، لأنك قد سمعت (من الانجيل هنا) ان يسوع لم يصل فقط بل انه ايضاً قضى الليل كله في الصلاة.

ولكن ربما ان عدو الحق لن يحتملنا نتكلم هكذا، لأنه يقول (انه يصلي ويطلب من الآب ما ليس عنده، فكيف تقولون اذن انه من نفس جوهر الآب وماسو له في كل شيء، وانه لا يختلف عنه في أي شيء؟ "لأنه بدون كل مشاجرة الأصغر يبارك من الأكبر" (عب 7 : 7)، وبالتأكيد فان الذي يعطي هو أعظم من الذي يسأل لينال شيئاً. فأولئك الذين يقبلون الايمان الصحيح دعهم يعلموننا قبل كل شيء ما هي الاشياء التي يتصورون ان الابن محتاج اليها؟ وما هو الذي يسعى ليحصل عليه باعتباره لا يملكه بعد؟

ان الابن هو النور الحقيقي، وهو الحياة بطبيعته الخاصة، وهو علة الحياة، وهو ايضاً رب القوات،

هو الحكمة والبر، هو خالق الكون وصانعه، وهو أعلى من كل الاشياء التي أتت الى الوجود، هو ملك الكون، هو مدبر السماء والارض، هو المعطى مع الله الآب لكل بركة. وهذا يمكن ان تتعلمة مما كتبه بولس المبارك: "نعمة لكم وسلام من الله أبينا وربنا يسوع المسيح" (رو 1 : 7). وهو ظاهر بوضوح فوق العرش فى الأعالي وتمجده كل الخلائق العقلية. وبحسب هذا فهو بالطبيعه وارث لكل الكرامات الالهية الخاصة بالله الآب، ولذلك تحدث اليه قائلاً له: وكل ما هو لي فهو لك، وما هو لك فهو لي، وأنا ممجد فيهم" (يو 17 : 10). ولكن ذاك الذي له كل ما يخص الله الآب كما يخصه، هل يكون محتاجاً الى شيء بعد؟ ولكن ان كان حسب قولهم محتاجاً الى أي شيء، وهم يؤكدون ان هذا صحيح، فليس هناك ما يمنعنا من القول ان الآب نفسه يكون محتاجاً الى هذا الشيء. لأنه ان كان كل ما للابن هو للآب، وكان هناك شيء ما يحتاج اليه الابن، لذلك ينبغي ان الآب ايضاً يكون في نفس الحال مثله. لأن كل ما للابن هو للآب. ولكن الآب هو كامل تماماً ولا ينقصه أي صلاح بالمرة مما يناسب الالوهية، لذلك فالابن ايضاً هو كامل تماماً، لأن له كل ما للآب، اذ هو صورة الآب ورسم جوهره. ولكن الرسم يظهر فيه الأصل تماماً، والرسم موجود بكليته في الأصل. وهذا يكفي فيما يخص هؤلاء.

وأولئك ايضاً الذين انخدعوا بخطب نسطوريوس الفارغة، يقولون انه غير مناسب بالمرة للابن باعتباره الله بالطبيعة ان يصلي، وأن هذا بالحري (أي الصلاة) يخص الانسان المرتبط معه بطريق الاتصال [15] به أي ذلك الانسان الذي هو من نسل داود. فهذا الانسان الذي من نسل داود هو الذي قدم الصلاة. فبماذا نجيب على هذا الكلام؟ نقول انهم بذلك يجهلون تماماً سر تجسد الابن الوحيد. تذكروا يوحنا الانجيلي المبارك الذي يقول: "والكلمة صار جسداً" (يو 1 : 14). وعن هذا أعطانا بولس الكلي الحكمة برهاناً واضحاً بقوله عنه "لأنه ليس يمسك الملائكة بل يمسك نسل ابراهيم، من ثم كان ينبغي ان يشبه اخوته في كل شيء لكي يكون رحيماً ورئيس كهنة أميناً في ما لله حتى يكفر خطايا الشعب" (عب 2 : 16 و17). فعلى أي أساس يخرج نسطور خارج نطاق الطبيعة البشرية ذاك الذي رغم انه مولود ولادة الهية ككلمة الله الآب، الا انه وضع نفسه الى الاخلاء، حتى يصير أخاً لنا بأن صار مثلنا، ومشابهاً لسكان الأرض في كل شيء ما عدا الخطية وحدها؟ لأنه اذ صار مثلنا فانه من غنى لطفه ومحبته لجنس البشر فانه لا يزدري بالأمور البشرية، بل يضع أمامنا تصرفه كمثال للصلاح التام، لكي — كما سبق ان قلت — نكون جادين في اتباع خطواته.

اختيار التلاميذ الاثنى عشر

([15]) كلمة "بالاتصال" هي الكلمة المفضلة عند نسطور، ويقول القديس كيرلس عنها: (إن نسطور دائماً يتحاشى استعمال كلمة "الاتحاد" ويستعمل بدلاً منها كلمة صلة أو إتصال مثل من هو متصل من الخارج فقط بدون إتحاد وذلك يشبه قول الله ليشوع كما كنت مع موسى أكون معك).

لو 6 : 13–16 "ولما كان النهار دعا تلاميذه واختار منهم اثنى عشر الذين سماهم ايضاً رسلاً، سمعان الذي سماه ايضاً بطرس واندراوس أخاه. يعقوب ويوحنا. فيلبس وبرثلماوس. متى وتوما. يعقوب ابن حلفي وسمعان الذي يدعى الغيور. يهوذا أخا يعقوب ويهوذا الاسخريوطي الذي صار مسلماً ايضاً".

ان ربنا يسوع المسيح، اذ قد قضى الليل في الصلاة، وقد تحدث مع أبيه في السماء بطريقة لا يمكن التعبير عنها وتفوق قدرتنا على الفهم وهي معروفة له وحده – وبذلك جعل نفسه مثالاً لنا في أمر ضروري لخلاصنا، لأنه علمنا بأية طريقة يمكننا نحن ايضاً ان نقدم صلواتنا بطريقة سليمة وبلا لوم – وبعد ذلك نزل من الجبل واختار اولئك الذين سيصيرون معلمي العالم، بحسب الكلمات التي نطق بها: "أنتم نور العالم". وقد تنبأ داود المبارك ايضاً عن هذا الاختيار للرسل القديسين وكأنه يوجه الحديث المسيح: "سوف تقيمهم رؤساء على سائر الأرض، وسوف يذكرون اسمك جيلاً بعد جيل" (مز 45 : 16). لأنهم في الحقيقة حينما كانوا في الجسد ذكروا مجد المسيح مبشرين بسره في المدن والقرى، والآن بعد ان انتقلوا الى المنازل العلوية فانهم لا يزالون يتحدثون الينا عنه بواسطة البشائر التي سجلوها عنه.

ان اولئك الذين اختيروا كهنة حسب ناموس موسى أعني هارون ورفاقه صاروا مبهجين للحواس بواسطة الثياب المناسبة لكرامتهم الكهنوتية، أما التلاميذ الالهيون فاذ قد تزينوا بالمواهب الروحية، فانهم استؤمنوا على خدمة الانجيل. فقد قال لهم "اشفوا مرضى، اخرجوا شياطين، طهروا برصاً، اقيموا موتى"، وهكذا اذ توشحوا بقوة المسيح، فقد ملأوا العالم كله دهشة. ولكن لاحظوا اعتدال البشير، فانه لا يقول فقط ان الرسل القديسين قد اختيروا، بل انه بالحري يسجل اسماءهم واحداً واحداً. وهو بذلك يحترس لكي لا يدع فرصة لأحد ان يقحم اسمه في شركة اولئك الذين قد اختيروا لأنه كما يقول بولس "لا يأخذ أحد هذه الوظيفة بنفسه بل المدعو من الله" (عب 5 : 4)، ورغم ان الرسل القديسين قد دعوا بالاسم الى هذه الكرامة العظيمة والعالية، الا أنه من وقت الى آخر كان يقوم بعض الناس الذين وصلوا الى درجة من الجنون والتهور حتى ان يسموا انفسهم رسلاً للمسيح ويحاولون ان يغتصبوا كرامة لم تعط لهم، عن هؤلاء يقول الرسول "لأن مثل هؤلاء هم رسل كذبة، فعلة ماكرون، مغيرون شكلهم الى شبه رسل المسيح، ولا عجب، لأن الشيطان نفسه يغير شكله الى شبه ملاك نور. فليس عظيماً ان كان خدامه ايضاً يغيرون شكلهم كخدام للبر" (كو 11 : 13–15).

ولكننا لا نعرف ولن نقبل أي شخص سوى اولئك المذكورين في الكتابات الانجيلية ومعهم ذلك الذي اختير بعدهم أعني بولس الكلي الحكمة، الذي شهد له المخلص نفسه ايضاً قائلاً: "لأن هذا اناء مختار لي ليحمل اسمي أمام الأمم" (اع 9 : 15).

الناموس يشير اليهم بالرمز، والانبياء يتبنأون عنهم. فمثلاً مكتوب في كتب موسى "وتأخذ دقيقاً وتخبزه اثنى عشر قرصاً. وتجعلها صفين كل صف ستة على المائدة الطاهرة أمام الرب. وتجعل على كل صف لباناً نقياً وملحاً فيكون للخبز تذكاراً، وقوداً للرب" (لا 24 : 5-7). لأن الخبز الذي نزل من السماء ويعطي الحياة للعالم، لا يمكن ان يكون آخر سوى المسيح مخلص العالم. وتمثلاً به فان التلاميذ المباركين يسمون ايضاً خبزات، لأنهم اذ قد صاروا مشاركين له هو الذي يطعمنا للحياة الأبدية، وهم ايضاً يغذون بكتاباتهم اولئك الذين يجوعون ويعطشون الى البر. وكما ان المخلص الذي هو النور الحقيقي دعا التلاميذ ايضاً نوراً بقوله: "انتم نور العالم" (متى 5 : 14) – هكذا ايضاً اذ هو نفسه خبز الحياة فقد وهب تلاميذه ان يحسبوا ايضاً خبزات.

وارجو ان تلاحظوا الفن العجيب الذي في الناموس، فانه يقول "وتجعل على الخبزات لباناً وملحاً". فاللبان هو رمز للرائحة الذكية، والملح رمز للفهم وحسن الادراك. وكلا هذين الأمرين كانا موجودين بأعلى درجة في الرسل القديسين لأن حياتهم كانت حياة ذات رائحة طيبة، كما قالوا ايضاً "نحن رائحة المسيح الزكية لله" (2كو 2 : 15). وايضاً كانوا مملوئين من الفهم، حتى أني اسمع داود النبي يرنم بخصوصهم في المزامير: "هناك بنيامين متسلطهم، رؤساء يهوذا هم قادتهم، رؤساء زبولون، رؤساء نفتالي" (مز 68 : 27) لأن التلاميذ المباركين قد اختيروا غالباً من كل سبط في اسرائيل، وكانوا حملة النور الى العالم، "ممسكين بكلمة الحياة". (في 2 : 16) والعجيب حقاً هو هذا فان حكماء اليونانيين يملكون قدراً كبيراً من براعة الكلام وفصاحة عجيبة في اللغة، اما تلاميذ مخلصنا فكانوا مجرد صناع وصيادين ونوتية، ولم يكونوا يتعظمون بمهارة الكلام ولا لهم فصاحة التعبير، بل كانوا رجالاً بسطاء، ولكنهم كانوا أغنياء في المعرفة، تصمت أمامهم آداب اليونانيين بعباراتها الرنانة. فقوة التبشير الانجيلي امتلكت العالم.

والله يذكرهم ايضاً بواسطة صوت النبي قائلاً عن عدو الكل أي الشيطان "ويل للمكثر ما ليس له، والمثقل نفسه رهوناً. فبغتة سيقومون ويضربونك. ويستيقظ اعداؤك فتكون غنيمة لهم" (انظر حب 2 : 7). لأن الشيطان قد جمع كل سكان الأرض مع أنهم لم يكونوا له، وقد جعلهم يتعبدون له. ولكن أولئك الذين كانوا سيسلبون غنائمه قد استيقظوا، لأن شبكة الكرازة الرسولية اصطادت اولئك الذين سقطوا في الخطية. وأعادوا العالم ثانية الى الله.

من عظة (25)

تمثلوا كما أنا أيضاً بالمسيح

(1كو 11 : 1)

وكيف كان الحكيم بولس مثل المسيح؟ هل هو أسس السموات (مز 33 : 6) مثلما فعل كلمة الله؟ هل هو ثبت الأرض فوق أساساتها الراسخة؟ هل هو خلق الشمس والقمر والنجوم، والنور؟ كيف اذن كان هو مثله؟ لقد كان بتمثله بتلك الفضيلة البشرية التي أظهرها المسيح كمثال لنا.

لو 6 : 17–19 "ونزل معهم ووقف في موضع سهل هو وجمع من تلاميذه وجمهور كثير من الشعب من جميع اليهودية وأورشليم وساحل صور وصيدا الذين جاءوا ليسمعوه، وليشفوا من امراضهم. والمعذبون من أرواح نجسة كانوا يبرأون. وكل الجمع طلبوا ان يلمسوه لأن قوة كانت تخرج منه وتشفي الجميع".

ولكن ارجو ان تلاحظوا طريقة الاختيار. لأن الانجيلي الحكيم جداً يقول ان الاختيار لم يتم في زاوية او سراً، بل بالحري حينما اجتمع تلاميذ كثيرون معاً. وجمهور كبير من كل بلاد اليهود، ومن ساحل صور وصيدا. وهاتان المدينتان الأخيرتان كانتا عابدتين للأوثان أي كانتا عرجاء الساقين لأنهما كانتا من ناحية تحافظات على عادات اليهود، ولكن دون ان تتركا ممارساتهما الوثنية. اذن فالاختيار قد حدث في حضور كل هؤلاء الناظرين. انهم اختيروا معلمين لكل الذين تحت السماء، وهذه هي الرسالة التي تموها، عندما دعوا اليهود ان يأتوا من عبادتهم الناموسية. كما دعوا أولئك الذين يخدمون الشياطين ان يأتوا من الضلال الوثني الى الاعتراف بالحق.

وحينما قام الرب بتعيين واقامة الرسل القديسين، صنع آيات كثيرة وعجيبة، فطرد الشياطين، وخلص الذين اقتربوا منه من الأمراض غير القابلة للشفاء. وأظهر قوته الخاصة الالهية، حتى يعرف كلا من اليهود الذين أسرعوا اليه معاً وأولئك الذين من بلاد الوثنية ان المسيح الذي نال التلاميذ منه كرامة الرسولية، لم يكن انساناً عادياً من الذين في مستوانا، بل بالعكس هو الله، لكونه الكلمة الذي صار جسداً، ومع ذلك فقد احتفظ بمجده الخاص. لأن "قوة كانت تخرج منه وتشفي الجميع". لأن المسيح لم يستعر قوة من شخص آخر غيره، بل لكونه هو نفسه الله بالطبيعة – رغم انه صار جسداً – فقد شفاهم جميعاً بخروج قوة منه الى المرضى.

فاذا اردتم ان تتعلموا تفسير اسماء الرسل، فاعرفوا ان بطرس تشرح على انها تعني الحل أي الفك، او المعرفة، واندراوس تعني قوة مناسبة او اجابة، ويعقوب هو الذي يمسك بالعقب ويوحنا يعني نعمة الرب، ومتى هو المعطى (أي الذي ينال)، وفيلبس هو فتح اليدين او فم المصباح، وبرثلماوس تعني الابن الذي

يمسك بالماء، وتوما تعني حفرة او توأم، ويعقوب بن حلفي تعني استئصال عبور الحياة، ويهوذا تعني التسبيح، وسمعان تعني الطاعة.

من عظة (27)

التطويبات

لو 6 : 20 "ورفع عينيه الى تلاميذه وقال طوباكم ايها المساكين لأن لكم ملكوت الله".

هذه هي كلمات المخلص حينما كان يوجه تلاميذه الى جدة حياة الانجيل بعد ان اختارهم للرسولية. ولكننا يجب ان نعرف من هم المساكين الذين يتكلم لهم بمثل هذه الأمور العظيمة، لأنه في الانجيل حسب متى مكتوب هكذا: طوبى للمساكين بالروح لأن لهم ملكوت السموات (مت 5 : 3) وهو يريدنا بهذا ان نفهم بكلمة المسكين بالروح انه هو الانسان الذي يفكر افكاراً منخفضة عن نفسه، وعقله منخفض بوضوح، وقلبه لطيف، ومستعد للطاعة والخضوع. وهو بريء كلية من اثم الكبرياء.

مثل هذا الانسان هو جدير بالاعجاب وهو صديق لله حتى ان الله قال بواسطة أحد انبيائه القديسين: "الى من انظر الا الى المتضع والمنسحق الروح والمرتعد من كلامي؟" (اش 66 : 2). وداود النبي ايضاً يقول "ان المنسحق والمتواضع القلب لا يرذله الله" (مز 51 : 17) والمخلص نفسه ايضاً يقول: "تعلموا مني لأني وديع ومتواضع القلب" (مت 11 : 29) وفي الدروس الموضوعة أمامنا الآن يقول ان المساكين سيكونون مغبوطين بدون ان يضيف كلمة "بالروح". ولكن البشيرين يتكلمون بهذه الطريقة لا كمتناقضين أحدهم مع الآخر، بل كما لو كانوا في احيان كثيرة يقسمون الرواية بينهم. فمرة يلخصون، نفس التفاصيل، وفي مرة أخرى فان ما يهمله أحدهم يذكره الآخر في روايته، حتى لا يخفي أي شيء نافع عن اولئك الذين يؤمنون بالمسيح. لذلك فانه يبدو محتملاً ان المقصود بالمساكين الذين يطوبهم هم اولئك الذين لا يهتمون بالغنى، وهم مرتفعون فوق الطمع ويحتقرون الهدايا الوضيعة. وهم متحررون من محبة المال، وهم لا يعطون أي اعتبار لمظاهر التفاخر بالغنى.

وهكذا فان بولس الحكيم جداً يرشدنا بوضوح الى أفضل التعاليم حيث يقول، "لتكن سيرتكم خالية من محبة المال. كونوا مكتفين بما عندكم" (عب 13 : 5) وأضاف الى هذا قوله: "فان كان لنا قوت وكسوة فلنكتفي بهما" (1 تيمو 6 : 8). لأنه كان ضرورياً بصورة مطلقة، لأولئك الذين سيكون عملهم هو الكرازة برسالة الانجيل الخلاصية ان يكون لهم عقل لا يبالي بالغنى، بل ويكون منشغلاً فقط بشهوة الأمور الفضلى وبالاضافة الى ذلك فان الحديث لا يؤثر على اولئك الذين لهم موارد كثيرة، بل فقط على اولئك الذين شهوتهم في الغنى – ومن هم هؤلاء؟ هم كل الذين تنطبق عليهم كلمات المخلص: "لا تكنزوا لكم كنوزاً على الأرض" (مت 6 : 19).

لو 6 : 21 "طوباكم ايها الجياع الآن لأنكم ستشبعون ...".

في انجيل متى يقول "طوبى للجياع والعطاش الى البر لأنهم سيشبعون، أما هنا فهو يقول فقط ان

الجياع سيشبعون. لذلك فنحن نقول انه أمر عظيم وسامي جداً ان نجوع ونعطش الى البر، أي ان نعتاد ان نشترك في المساعي الجادة نحو التقوى. لأن هذا هو معنى البر —كما لو كان هو طعامنا وشرابنا. وبمقدار ما يجب ان نعطي لهذه الفقرة ايضاً معنى، بحسب الشروحات السابقة فنحن نقول ايضاً هكذا: ان المخلص نطق بالطوبى لأولئك الذين يحبون الفقر الاختياري، لكي يمكنهم بكرامة، وبدون تشتت ان يمارسوا سيرة الحياة الرسولية. لأن هذا يتطابق بوضوح مع عدم اقتناء ذهب ولا فضة في مناطقهم، ولا ثوبين وايضاً ان يحتملوا خشونة كبيرة في طريقة حياتهم، ونادراً ما يحصلوا على الطعام لحاجتهم. ولكن هذا أمر ثقيل على أولئك الذين يعانون الفقر والاضطهادات، لذلك فان ذلك الذي يعرف القلوب لا يسمح لنا ان نفقد روحنا المعنوية بسبب نتائج الفقر، لأنه يقول، ان اولئك الذين يجوعون الآن لأجل تقواهم من نحوه، سوف يشبعون: أي سوف يتمتعون بالبركات العقلية والروحية المذخرة لهم.

لو 6 : 21 "طوباكم ايها الباكون الآن لأنكم ستضحكون".

انه ينطق بالطوبى للباكين، ويقول أنهم سيضحكون. ولكننا نقول ان المقصود بالباكين ليس مجرد الذين يذرفون الدموع من عيونهم، لأن هذا أمر عام للجميع بلا استثناء سواء كانوا مؤمنين أو غير مؤمنين وهو يحدث من طبيعة متألمة. بل المقصود بالحري هم أولئك الذين ينأون بأنفسهم عن حياة الملاهي والغرور واللذات الجسدية.

فعن الأولين نقول أنهم يعيشون في تمتع وضحك أما المؤمنون فيتخلون عن الترف ويتركون حياة الاهمال واللذات الجسدية وكل شيء آخر سوى البكاء. وبسبب مقتهم للأمور العالمية فان مخلصنا يعلن انهم مغبوطون، ولهذا السبب فقد أوصانا ان نختار الفقر، وهو يكرم الأمور التي تصاحب الفقر بالضرورة، مثل نقص الاشياء الضرورية للتمتع، واتضاع الأرواح الذي تسببه البلايا، فانه مكتوب "كثيرة هي بلايا الصديقين، ومن جميعها ينجيهم الرب" (مز 33 : 19 س).

لو 6 : 22 و23 "طوبى لكم اذا أبغضكم الناس واذا أفرزوكم وعيروكم وأخرجوا اسمكم كشرير من أجل ابن الانسان. افرحوا في ذلك اليوم وتهللوا. فهوذا أجركم عظيم في السماء لأن آباءهم هكذا كانوا يفعلون بالأنبياء".

يسبق الرب فيذكر الاضطهاد حتى قبل ان يذهب الرسل الى ارساليتهم. لقد سبق الانجيل وأنبأ بما سيحدث. لأنه كان متوقعاً تماماً ان اولئك الذين كرزوا برسالة الانجيل، وجعلوا يهجرون طريقة عبادتهم الناموسية ليتعلموا طريق الانجيل للحياة الفاضلة، بينما هم ايضاً يربحون عابدي الأوثان الى الاعتراف بالحق، كان متوقعاً ان هؤلاء يحتكون بكثير من الكفار والأشرار. لأن مثل هؤلاء هم الذين في عداوتهم ضد التقوى، يثيرون حروباً واضطهادات ضد الذين يبشرون بيسوع. ولكي يحفظ تلاميذه من السقوط، في

محنة شديدة تفوق العقل حينما يأتي الوقت الذي فيه عليهم من جهة او أخرى، فانه يسبق وينهبهم لأجل منفعتهم انه حتى هجوم الأشياء المحزنة التي يصعب احتمالها سوف تأتي معها بمكافأتها وفائدتها لهم. فيقول "لأنهم سيعيرونكم كمخادعين وكمضللين، وسوف يفرزونكم من وسطهم وحتى من صداقتهم ومجتمعهم". ولكن لا تدعوا أي شيء من هذه الاشياء يزعجكم. كانه يقول: لأنه أي أذى يمكن ان يلحقه اللسان الشرير بالعقل المثبت الراسخ. لأن يقول ان احتمال معاناة هذه الاشياء لن يكون بدون ثمرة، لأولئك الذين يعرفون كيف يحتملون بتقوى. ولكن هذا هو عربون السعادة العليا. وبالاضافة الى ذلك يقول لهم لفائدتهم، انه لن يحدث لهم شيء غريب حتى حينما يعانون من هذه الاشياء: بل العكس فأنهم سوف يشبهون اولئك الذين قبل زمانهم كانوا حاملي كلمات الله الى الاسرائيليين. هؤلاء قد اضطهدوا، ونشروا، وماتوا قتلى بالسيف، واحتملوا التعييرات الواقعة عليهم ظلماً — ولذلك فهو يريد ايضاً ان يفهم تلاميذه انهم سيصيرون شركاء مع اولئك الذين يتمثلون بأعمالهم. وانهم لن يفشلوا في ربح اكليل الانبياء بعد ان ساروا مثلهم في نفس الطريق.

عظة (29)

مضار الغنى – وفائدة الرحمة

لو 6 : 24 "ولكن ويل لكم أيها الأغنياء لأنكم قد نلتم عزاءكم ..".

اقبلوا تلك الاشياء التي تقودكم الى الحياة الأبدية. لأنه مكتوب ان الانسان لا يحيا بالخبز وحده، بل بكل كلمة تخرج من فم الله (مت 4 : 4). كل الكتاب هو بالحقيقة موحى به من الله، ولكن هذا صحيح بنوع خاص من كلام الانجيل، لأن الذي اعطى في القديم للاسرائيليين – بواسطة خدمة موسى – الناموس الذي يتكون من رموز وظلال هو نفسه اذ قد صار انساناً تكلم الينا، كما يشهد بولس الحكيم قائلاً: "الله بعد ما كلم الآباء بالأنبياء قديماً بأنواع وطرق كثيرة، كلمنا في هذه الأيام الأخيرة في ابنه (عب 1 : 1)، نحن متعلمون من الله، لأن المسيح هو بالحق الله وابن الله، لذلك فلنثبت انتباهنا بحرص على ما يقول ونفحص بتدقيق عمق ما يعنيه. لأنه يقول: "ويل لكم أيها الأغنياء لأنكم قد نلتم عزاءكم". ومناسب جداً ان يضاف هذا القول على الحديث الذي سبق لأنه بعد ان بين ان الفقر لأجل الله هو أصل كل بركة وقال ان جوع القديسين وبكاءهم لن يكون بدون مكافأة فانه يتقدم ليتكلم عن الأمور المضادة ويقول عنها أنها تجلب الحزن والدينونة. لأنه يلوم الأغنياء، وأولئك الذين ينغمسون بدون إتزان في الملذات وهم دائماً في الملاهي والأفراح أي في الملذات العالمية، وبذلك فان المسيح لا يترك وسيلة دون ان يستخدمها لمنفعة الذين يقتربون منه وخاصة الرسل القديسين. لأنه ان كان احتمال الفقر لأجل الله، مع الجوع والدموع – التي تعني التعرض للألم والضيقات في سبيل التقوى – ان كانت هذه نافعة أمام الله، وهو ينطق بثلاثة تطويبات () لأولئك الذين يحتملونها، فانه ينتج بالضرورة ان اولئك الذين يعتنقون الرذائل المضادة لتلك الفضائل، ان يكونوا معرضين الى أعظم لوم.

لذلك، فان الناس يمكن ان يربحوا الى الرغبة في العمل والفقر الاختياري لأجل الله بواسطة شهوة الأكاليل والمكافأة، وأيضاً من الجهة الأخرى فانهم يمكن ان يهربوا من الغنى ومن الحياة في التنعم واللهو عن طريق الخوف من العقاب الذي يهددون به. لذلك فهو يقول ان الأولين هم ورثة لملكوت السموات، أما الآخرين فانهم سيتورطون في بؤس فائق لأنه يقول "لأنكم قد نلتم عزاءكم".

وتتاح لنا الفرصة ان نرى هذا الحق موضحاً بطريقة جميلة في أمثال الانجيل كما لو كان في رسم. لأننا قد سمعنا الانجيل يقول انه كان هناك انسان غني يلبس الارجوان والبز. وكان لعازر المسكين مطروحاً عند بابه مضروباً بالفقر والقروح، والغني لم يشعر بأي اشفاق من نحوه. ولكن الانجيل يقول ان لعازر حملته الملائكة الى حضن ابراهيم بينما الغني كان في العذاب واللهيب. وحينما رأى الغني لعازر في راحة وسعادة في حضن ابراهيم، توسل قائلاً: يا أبي ابراهيم ارحمني، وارسل لعازر ليبل طرف اصبعه بماء ويبرد طرف لساني، لأني معذب في هذا اللهيب" (لو 16 : 24). ولكن ماذا كان جواب ابراهيم المبارك؟ قال: "يا

ابني انك قد استوفيت خيراتك في حياتك وكذلك لعازر البلايا. والآن هو يتنعم وأنت تتعذب" (لو 16 : 25). لذلك فحق هو ما يقول المسيح هنا عن اولئك الذين يعيشون في غنى وتنعم ولهو "لأنكم قد نلتم عزاءكم"، ويقول عن اولئك الشباعى الآن، انهم سيجوعون، وعن الضاحكون الآن أنهم سيحزنون ويبكون.

ولكن هيا بنا ودعونا نفحص الأمر بين أنفسنا: ان مخلصنا في أمثاله قد تكلم هكذا "انسانان صعدا الى الهيكل ليصليا واحد فريسي والآخر عشار. أما الفريسي فوقف يصلي في نفسه هكذا، اللهم أنا اشكرك اني لست مثل باقي الناس الخاطفين الظالمين الزناة ولا مثل هذا العشار. أصوم مرتين في الأسبوع وأعشر كل ما اقتني. وأما العشار فوقف من بعيد لا يشاء ان يرفع عينيه نحو السماء، بل قرع على صدره قائلاً: اللهم ارحمني انا الخاطئ الحق اقول لكم ان هذا نزل الى بيته مبرراً دون ذاك" (لو 18 : 10-14) لأن الفريسي المتكبر كان يفتخر على العشار واذ أدعي لنفسه رتبة واضع الناموس، أدان رفيقه الذي كان من واجبه ان يظهر شفقة من نحوه. أما العشار فلأنه قد أدان ضعفه الخاص فان ذلك أدى الى تبريره، لأنه مكتوب "أعلن خطاياك أولاً لكيما تتبرر" (اش 43 : 26 سبعينية). لذلك فلنفك أولئك الذين يعانون من الأمراض ونطلقهم احراراً ولا ندينهم، وذلك لكي ما يحلنا الله من خطايانا، لأنه هو لا يدين بل بالحري يظهر رحمة.

والرحمة لها اتصال وثيق بالفضائل التي تكلمنا عنها الآن، وهي الصفة التي يذكرها بعد ذلك. لأنها أمر ممتاز جداً وهي تسر الله جداً، وهي مناسبة جداً لأقصى درجة ومناسبة جداً بصورة فائقة للنفوس التقية. والتي فيما يخصها يكفينا ان نطبع في أذهاننا انها صفة من صفات الطبيعة الالهية. لأنه يقول "كونوا رحماء كما ان أباكم السماوي ايضاً رحيم". لقد اعطانا تأكيداً كاملاً اننا سنكافئ بيد سخية من الله الذي يعطي كل الاشياء بسخاء لأولئك الذين يحبونه، وذلك لأنه يقول "كيلاً جيداً ملبداً فائضاً يعطون في احضانكم" (لو 6 : 38) ويضيف ايضاً "لأنه بنفس الكيل الذي به تكيلوا يكال لكم". ولكن هناك تناقض ظاهر بين الاعلانين، لأنه ان كنا سننال كيلاً جيداً وملبداً وفائضاً، فكيف سيكال لنا بنفس الكيل الذي نكيل به؟ لأن هذا يتضمن مكافأة مساوية لنا وليست مكافأة فائضة جداً فوق كل المقاييس. فماذا نقول اذن؟ ان بولس الكلي الحكمة قد حررنا من هذه الصعوبات بأن قدم لنا حلاً لهذه الأمور. لأنه يقول ان "من يزرع بالشح"، وهو يعني بذلك من يوزع حاجات الحياة الضرورية على اولئك الذين هم في ضيق وعوز بقلة وكما لو كان بيد مغلقة وليس بسخاء واتساع، "فبالشح ايضاً يحصد، والذي يزرع بالبركات فبالبركات ايضاً يحصد" (2كو 9 : 6). وهو يعني بذلك انه يعطي بسخاء .. حتى انه اذا كان احد ليس له ما يعطيه فانه لم يخطئ بعدم عطائه، لأن الانسان يكون مقبولاً بحسب ما له وليس بحسب ما ليس له. وهذا ما علمنا اياه ناموس موسى الحكيم جداً، بالرمز، لأن أولئك الذين كانوا تحت الناموس كانوا يقدمون

الذبائح لله بحسب ما يملكون وبحسب ما يستطيعون ان يحتملوا. فالبعض مثلاً يقدمون العجول والبعض يقدمون الكباش، او الخراف، او اليمام او الحمام، او الدقيق المخلوط بالزيت، ولكن حتى ذلك الذي يقدم هذا ... لأنه ليس له عجل ليقدمه، ورغم ان هذا قليل جداً ويمكن الحصول عليه بثمن رخيص جداً، فانه يكون مساوياً للآخر (أي الذي قدم العجل) فيما يخص نيته.

من عظة (29)

الرحمة ومحبة الأعداء وعدم الادانة

لو 6 : 24 "ويل لكم ايها الاغنياء، لأنكم قد نلتم عزاءكم".

هذا ايضاً يجب ان نبحثه فيما بين أنفسنا. لأنه هل كل من هو غني، ويملك ثروة وفيرة هو بالتأكيد مقطوع الرجاء من جهة توقع نعمة الله؟ هل هو مغلق عليه تماماً من جهة رجاء القديسين؟ وهل ليس له ميراث ولا نصيب مع الذين يكللون؟ نقول ليس الأمر هكذا، بل بالحري على العكس، ان الرجل الغني لو أظهر رحمة على لعازر لصار مشتركاً في عزائه. لأن المخلص أوضح طريقاً للخلاص لأولئك الذين يملكون الغنى الأرضي، بقوله: "اصنعوا لكم أصدقاء بمال الظلم حتى اذا فنيتم يقبلونكم في المظال الأبدية".

لو 6 : 27 و28 "لكني أقول لكم ايها السامعون احبوا اعداءكم، احسنوا الى مبغضيكم، باركوا لاعنيكم، وصلوا لأجل الذين يسيئون اليكم".

ان بولس المبارك ينطق بالحق حينما يقول "ان كان احد في المسيح فهو خليقة جديدة" (2كو 5 : 17)، لأن كل الاشياء قد صارت جديدة فيه وبواسطته. كل الاشياء: أي العهد، والناموس وطريقة الحياة. ولكن انظروا بدقة ولاحظوا كيف ان طريقة الحياة الموصوفة هنا تليق بصورة شاملة بأولئك المعلمين القديسين، الذين كانوا عتيدين ان يكرزوا برسالة الخلاص في كل أركان العالم. ومع ذلك فبسبب هذا الأمر نفسه ينبغي ان يتوقعوا ان مضطهديهم سيكونون كثيرين وأنهم سيتآمرون ضدهم بطرق مختلفة كثيرة. فلو كانت النتيجة اذن ان التلاميذ قد صاروا ناقمين على هذه المضايقات وكانوا يرغبون في الانتقام من اولئك الذين ازعجوهم، لكانوا قد ظلوا صامتين وعبروا بهم دون ان يقدموا لهم الرسالة الالهية، ولا ان يدعوهم الى معرفة الحق. لذلك فقد كان ضرورياً ان يشد ذهن المعلمين القديسين باحساس عال من واجب الصبر، لكي يجعلهم يحتملوا كل ما يمكن ان يحل بهم، حتى لو شتمهم الناس، وتآمروا ضدهم بلا مخافة. وهكذا كان سلوك المسيح نفسه فوق كل الآخرين، وذلك كمثال لنا، لأنه بينما كان لا يزال معلقاً على الصليب الثمين، وبينما كان الشعب اليهودي يهزأون به، فانه قدم لله الآب صلوات من أجلهم قائلاً، "اغفر لهم لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون" (لو 23 : 34). وايضاً استفانوس المبارك بينما كان يرجم بالحجارة، جثا على ركبتيه قائلاً: "يارب لا تقم لهم هذه الخطية" (اع 7 : 60). وبولس المبارك ايضاً يقول "نشتم فنبارك، يفترى علينا فنعظ" (1كو 4 : 12).

لذلك فان تعليم الرب كان ضرورياً للرسل القديسين، ونافعاً جداً لنا نحن ايضاً لكي يلزمنا ان نعيش بطريقة صائبة ومثيرة للاعجاب، لأنها مملوءة من كل حكمة. ولكن افكارنا المسبقة الخاطئة وتمرد شهواتنا الشديد، يجعلها أمراً صعباً على أذهاننا ان نتممها. لذلك فهو اذ يعرف ان الانسان النفساني لا

يقبل هذه الأمور ويعتبر ان كلام الروح جهالة وغير ممكن تحقيقه، فهو يفصل هؤلاء عن أولئك الذين يستطيعون ان يسمعوا، ويقول: أقول لكم ايها السامعون والمستعدون ان تتمموا كلماتي. لأن مجد الثبات الروحاني يظهر في التجارب والأتعاب، لذلك تمثلوا بالمسيح في هذه الاشياء "الذي حينما شتم لم يكن يشتم عوضاً. واذا تألم لم يكن يهدد، بل كان يسلم لمن يقضي بعدله" (1 بط 2 : 23). ولكن ربما ستعترضون قائلين في داخلكم: "المسيح هو الله أما أنا فانسان ضعيف وليس لي الا عقل ضعيف وغير قادر ان يقاوم هجمات الشهوة والألم". انك تتكلم بصواب لأن عقل الانسان ينزلق بسهولة الى الخطأ. ومع ذلك أقول ان الرب لم يتركك محروماً من رحمته ومحبته. فأنت حاصل عليه في داخلك بواسطة الروح القدس، لأننا نحن مسكنه، وهو يسكن في نفوس أولئك الذين يحبونه. انه يعطيك قوة لكي تحتمل بنبل كل ما يحل بك، وان تقاوم برجولة هجمات التجارب. لذلك "لا يغلبنك الشر، بل اغلب الشر بالخير" (رو 12 : 21).

لو 6 : 29 و30 "من ضربك على خدك فأعرض له الاخر ايضاً. ومن أخذ رداءك فلا تمنعه ثوبك ايضاً. وكل من سألك فاعطه، ومن أخذ الذي لك فلا تطالبه".

ان المسيح هو غاية الناموس والأنبياء هذا أمر اعلنه بولس الحكيم جداً في رو 10 : 4، لأن الناموس خدم كمؤدب لكي يقود الناس الى سر المسيح. وكما يقول بولس المبارك ايضاً "ولكن الآن بعدما جاء الايمان لسنا بعد تحت مؤدب" (غل 3 : 25) لأننا لم نعد اطفالاً في اذهاننا، بل بالعكس قد نمونا "الى انسان كامل، الى قياس قامة ملء المسيح" (اف 4 : 12). لذلك فنحن لا نحتاج الى لبن، بل بالحري الى طعام قوي حسب ما ينعم المسيح، بأن يضع أمامنا طريق ذلك الذي يفوق قوة الناموس. لأنه هو نفسه قال للرسل القديسين "الحق أقول لكم ان لم يزد بركم على الكتبة والفريسيين فلن تدخلوا ملكوت السموات" (مت 5 : 20) فهذا اذن ما هو ضروري ان نناقشه: ماذا يعني "يزيد بركم على" فيما يخص البر بحسب رسالة الانجيل المخلصة.

الناموس المعطى لأولئك الذين في القديم بواسطة موسى حدد العين بالعين والسن بالسن، وبينما منع فعل الشر، فانه لم يوص الذين يؤذون ان يحتملوا الأذى بصبر كما يفعل ناموس الانجيل. لأنه يقول "لا تقتل، لا تسرق، لا تشهد بالزور" (خر 20 : 15)، ويضيف ايضاً الى هذا "عين بعين، ويد بيد، ورجل برجل، وجرح بجرح، ورد برد" (خر 21 : 24 و25). مثل هذا الوصية تستلزم من الانسان الا يجرح الآخرين. واذ تفترض انه قد جرح فان غضبه من الذي جرحه لا ينبغي ان يمتد اكثر من رد مماثل. ولكن المعنى العام لطريقة الحياة الناموسية لم تكن مرضية لله، فقد اعطيت هذه الطريقة للقدماء كمؤدب لكي تعودهم قليلاً قليلاً على بر مناسب، وتقودهم بلطف الى

امتلاك الصلاح الكامل. لأنه مكتوب "ان تفعل البر هو بداية الطريق الصالح" (أم 16 : 5)، ولكن اخيراً كل كمال هو في المسيح وفي تعاليمه. لأن عنده "من ضربك على خدك فاعرض له الآخر". في هذا يشير لنا عن الطريق المؤدي الى أعلى درجة من الصبر. والى جانب ذلك فهو يريد الا نعطي اهتماماً للغنى حتى انه ان كان لابساً ثوب واحد فانه لا ينبغي ان يحسبه شيئاً غير محتمل ان يعطي معه رداؤه ايضاً لو احتاج الأمر الى ذلك. ولكن هذه فضيلة ممكنة فقط لعقل تحول تماماً عن الاشتهاء والطمع، لأنه يقول ومن أخذ الذي لك فلا تطالبه، بل أعط كل من سألك، وهذا برهان بالحق على المحبة والاستعداد لأن تكون فقيراً، والانسان الرحيم ينبغي بالضرورة أن يكون مستعداً أن يغفر، لكي يظهر أعمال صداقة حتى لأعدائه.

لو 6 : 31 "وكما تريدون أن يفعل الناس بكم افعلوا أنتم ايضاً بهم هكذا".

قد كان محتملاً أن يفكر الرسل القديسون أن هذه الأشياء يصعب وضعها موضع التنفيذ، لذلك فإن ذاك الذي يعرف كل الأشياء يتخذ القانون الطبيعي لحب النفس كحكم لما يريد أي واحد أن يحصل عليه من الآخر. فهو يقول اعمل مع الآخرين ما ترغب أن يعمله الآخرون معك. فإن رغبت أن يكونوا خشنين، وبلا شعور، وغضوبين، ومنتقمين، ومتخذين موقفاً معادياً فاظهر نفسك هكذا ايضاً. ولكن على العكس أن رغبت ان يكونا شفوقين وصفوحين فلا تظن أنه شيء لا يطاق ان تكون انت كذلك. وفي حالة أولئك الذين يكون موقفهم هكذا فلا حاجة هناك الى الناموس، لأن الله يكتب في قلوبهم معرفة مشيئته. اذ يقول الرب "لأني في تلك الأيام سأجعل نواميسي في أذهانهم وأكتبها على قلوبهم" (ار 31 : 32).

لو 6 : 36 "فكونوا رحماء كما أن أباكم ايضاً رحيم".

عظيم هو مجد الرحمة، ولذلك فحق هو ما كتب أن "الانسان هو شيء عظيم، والانسان الرحيم هو شيء مكرم" (ام 20 : 28 سبعينية) لأن الفضيلة تردنا الى صورة الله، وتطبع على نفوسنا صفات معينة كما لو كانت من الطبيعة السامية جداً.

لو 6 : 37 "ولا تدينوا فلا تدانوا. لا تقضوا على أحد فلا يقضى عليكم. اغفروا يغفر لكم".

انه ينزع من اذهاننا شهوة قوية جداً وهي أصل ووالدة الكبرياء. فبينما هو واجب على الناس ان يفحصوا انفسهم ويرتبوا سلوكهم حسب مشيئة الله، فانهم يتركون هذا الأمر جانباً ويشغلون انفسهم بأمور الآخرين. وهم اذ ينسون ضعفاتهم الشخصية، فانهم اذا رأوا ضعفاً في الآخرين يجعلونه مبرراً لتصيد الأخطاء ووسلة لتشويه السمعة. فهم يدينون الآخرين، غير عالمين انهم لكونهم مصابين بنفس الضعفات بالتساوي مثل أولئك الذين ينتقدونهم، فانهم يدينون انفسهم، لأنه هكذا ايضاً يكتب بولس الحكيم جداً: "لأنك

فيما تدين غيرك تحكم على نفسك، لأنك أنت الذي تدين تفعل تلك الأمور بعينها" (رو 2 : 1). ومع ذلك فانه من واجبنا بالحري ان يكون لنا رحمة على الضعفاء، مثل أولئك الذين انغلبوا من هجمات الشهوات واصطيدوا داخل شباك الخطية، وان نصلي لأجلهم ونعظهم، ونقيمهم الى التعقل، ونسعى نحن ألا نسقط في أخطاء مماثلة لأن "من يدين أخاه، يذم الناموس ويدين الناموس" (يع 4 : 11) كما يقول تلميذ المسيح لأن واضع الناموس والديان هو واحد. لأن ديان النفس الخاطئة ينبغي ان يكون أعلى من تلك النفس. ولكن حيث انك لست كذلك، فان الخاطئ سيعترض عليك كديان قائلاً "لماذا تدين أخاك!" ولكن ان كنت تتجاسر وتدينه دون ان يكون لك سلطان على ذلك، فانك انت بالحري الذي سوف تدان، لأن الناموس لا يسمح لك ان تدين الآخرين.

لذلك فان من ينقاد باحساس صالح، لا ينظر الى خطايا الآخرين، ولا يشغل نفسه بأخطاء قريبة، بل بالحري يفحص بدقة عن اخطائه الشخصية. هكذا كان المرنم المبارك ساقطاً بوجهه أمام الله ويقول بخصوص خطاياه "ان كنت تراقب الآثام يا سيد فمن يحتمل؟" (مز 129 : 3 سبعينية). ومرة أخرى اذ يقدم ضعف الطبيعة البشرية كعذر فانه يتوسل من أجل غفران معقول قائلاً "اذكر اننا تراب نحن" (مز 102 : 14 س).

لو 6 : 39 و40 "فضرب لهم مثلاً. هل يقدر أعمى ان يقود أعمى. أما يسقط الاثنان في حفرة؟ ليس التلميذ أفضل من معلمه. بل كل من صار كاملاً يكون مثل معلمه".

هذا مثل أضافه كملحق ضروري جداً لما سبق ان قيل. ان التلاميذ المباركين كانوا على وشك ان يصيروا متلمذي ومعلمي العالم، لذلك كان ضرورياً لهم ان يبرهنوا انهم يملكون كل شيء ضروري للتقوى، فينبغي ان يعرفوا طريق ومثال الحياة الانجيلية وان يكونوا عمالاً مستعدين لكل عمل صالح، وقادرين ان يمنحوا السامعين المتعلمين تعليماً صحيحاً ومخلصاً يمثل الحق بدقة. هذا ينبغي ان يفعلوه باعتبارهم قد حصلوا اولاً على بصرهم، وعلى عقل مستنير بالنور الالهي لئلا يصيروا قادة عميان للعميان. لأن الرجال الغارقين في ظلمة الجهل لا يستطيعون ان يقودوا اولئك الذين هم مصابون بنفس الطريقة الى معرفة الحق، لأنهم ان حاولوا ذلك فانهم سيسقطون كلاهما الى حفرة الفسق.

وبعد ذلك اذ يلقى جانباً شهوة الافتخار المتبجحة التي ينغلب منها معظم الناس، فلكي لا يسعوا بتنافس ان يتفوقوا على معلميهم في الكرامة أضاف "ليس التلميذ أفضل من معلمه" حتى وإن كان البعض يتقدمون كثيراً حتى انهم يصلون الى فضيلة تعادل فضيلة معلميهم. فانهم لن يحسبوا انفسهم أعلى من مستوى معلميهم، بل يكونون متمثلين بهم. وبولس سيكون ايضاً ضامناً لنا بقوله "كونوا متمثلين بي كما ايضاً انا بالمسيح" (1كو 11 : 1). ولذلك حيث ان المعلم لا يدين، فلماذا تدين انت؟ لأنه جاء لا ليدين العالم، بل ليقدم رحمة. وبحسب الشرح السابق فانه يقول ان كنت أنا لا أدين فلا ينبغي لك انت

التلميذ ان تدين. ولكن ان كنت مذنباً بجرائم أردأ من التي تدين بها الآخر فكيف تستطيع ان تحفظ نفسك من العار حينما توبخ عليها. وهذا ما يوضحه الرب بمثل آخر.

عظة (33)

شر إدانة الآخرين، الشجرة التي تُعرف من ثمارها

لو 6 : 41-45 "لماذا تنظر القذى في عين أخيك. وأما الخشبة التي في عينك فلا تفطن اليها. او كيف تقدر ان تقول لأخيك يا أخي دعني أخرج القذى الذي في عينك وأنت لا تنظر الخشبة التي في عينك. يا مرائي أخرج أولاً الخشبة من عينك وحينئذ تبصر جيداً أن تخرج القذى الذي في عين أخيك. لأنه ما من شجرة جيدة تصنع ثمراً ردياً ولا شجرة ردية تصنع ثمراً جيداً. لأن كل شجرة تعرف من ثمارها. فانهم لا يجتنون من الشوك تيناً ولا يقطفون من العليق عنباً. الانسان الصالح من كنز قلبه الصالح يخرج الصلاح والانسان الشرير من كنز قلبه الشرير يخرج الشر".

لقد أوضح لنا – الرب سابقاً أن ادانة الآخرين هي شر فظيع وهي خطر، وتسبب دينونة نهائية – لأنه قال "لا تدينوا لكي لا تدانوا. لا تقضوا على أحد فلا يقضى عليكم". وهو الآن يحثنا بكلمات حاسمة ان نتجنب مجرد الرغبة في ادانة الآخرين، ويدعونا بالحري ان نفحص قلوبنا الخاصة ونحاول ان نحررها من الشهوات التي تسكن فيها ومن ضعفاتها. وذلك بطلب هذا من الله، لأنه هو الذي يشفي المنكسري القلب ويحررنا من أمراض النفس. فهو يقول، ان كنت انت نفسك مريض بأمراض أكثر خطراً وأكثر شدة من أمراض الآخرين فلماذا تهمل أمراضك وتبحث عن أخطاء الآخرين، وبينما أنت عندك خشبة في عينك، فانك تبدأ اتهاماً ضد أولئك الذين عندهم قذى في عيونهم؟ أخبرني بأي جسارة تفعل أنت هذا. انقذ نفسك أولاً من جرائمك العظيمة، ومن شهواتك المتمردة، وعندئذ يمكنك ان تصلح من هو مذنب في مجرد أخطاء بسيطة.

هل تريد ان تنظر الأمر بصفاء ووضوح اذ أنه أمر كريه جداً للناس ان تنغلب من هذا الشعور؟ كان ربنا يسوع يسير مرة في يوم سبت وسط الحقول وقطف التلاميذ المباركون بعض السنابل، وكانوا يفركونها بأيديهم ويأكلون الحبوب. ولكن بعض الفريسيين اقتربوا وقالوا، هوذا تلاميذك يفعلون ما لا يحل فعله في السبوت! ومع ذلك فهم أنفسهم كانوا مذنبين بطرق متوعة في التعدي على الناموس كلية. لأن أشعياء النبي صرخ ضدهم قائلاً "كيف صارت القرية الأمينة زانية. كانت ملآنة حقاً، وكان العدل يبيت فيها وأما الآن فالقاتلون، صارت فضتك زغلاً، وتجارك يغشون الخمر بالماء، رؤساؤك متمردون وشركاء اللصوص، يحبون الرشوة، ويتعبون العطايا، لا يقضون لليتيم ودعوى الأرملة لا تصل اليهم" (اش 1 : 21-23 س). ومع ذلك فهؤلاء الرجال أنفسهم الذين وجهت اليهم هذه التوبيخات الشديدة جداً، اتهموا التلاميذ بكسر السبت!

ولكن المسيح يوجه اليهم توبيخاً عادلاً ويقول لهم "ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون

لأنكم تعشرون النعنع والشبت والكمون وتركتم أثقل الناموس الحق والرحمة والايمان. وأيضاً "أنتم الذين تصفون عن البعوضة وتبلعون الجمل" (أنظر مت 32 : 23 و24). لأنه بينما كان تعليمهم عن أمور تافهة، وكانوا يدينون الناس على أمور حقيرة، فقد كان لهم من الوقاحة أن ينظروا الى تلك الجرائم الثقيلة بلا اهتمام. ولهذا فان المخلص دعاهم "قبوراً مبيضة تظهر من خارج جميلة وهي من داخل مملوءة عظام أموات وكل نجاسة" (مت 23 : 27). وهكذا هو كل مرائي، وحينما يلصقون أي اتهام بالآخرين الذين استسلموا لأي ضعف في أمور صغيرة فانهم يستحقون ان يقال لهم "اخرج أولاً الخشبة من عينك وحينئذ تبصر جيداً ان تخرج القذى من عين أخيك".

لذلك فالوصية، لا غنى عنها لكل من يريد ان يعيش بالتقوى، ولكن فوق الكل، لأولئك الذين قد اؤتمنوا على تعليم الآخرين. لأنهم ان كانوا صالحين وعاقلين ويحبون الحياة المختارة، وليس مجرد انهم يعلمون عنها، ولكنهم ايضاً يمارسون الفنون الفاضلة ويضعون بسلوكهم نموذج الحياة المقدسة، ان كانوا كذلك فانهم لا يستطيعون بوجه مكشوف ان يوبخوا اولئك الذين لا يفعلون نفس الشيء لأنهم لم يتمثلوا بهم، ولا طبعا اخلاقهم الفاضلة على نفوسهم. ولكن ان كانوا (أي المعلمين) مهملين وينخدعون بسرعة باللذات لفعل الشر، فكيف يمكنهم ان يلوموا الآخرين حينما يكونون هكذا؟ لذلك كتب التلميذ المبارك بحكمة قائلاً "لا تكونوا معلمين كثيرين يا اخوتي عالمين اننا نأخذ دينونة اعظم" (يع 4 : 1). لأن المسيح، الذي هو موزع الأكاليل ويعاقب الذين يفعلون الشر، هو نفسه يقوله "من عمل وعلم فهذا يدعى عظيماً في ملكوت السموات، أما من لم يعمل ولكنه علم يدعى أصغر في ملكوت السموات" (انظر مت 5 : 19).

ولكني استطيع ان اتخيل واحداً يقول، كيف نستطيع ان نميز الانسان الذي عنده خشبة في عينه وهو يلوم اولئك الذين عندهم قذى وهم ضعفاء جزئياً فقط؟ ولكن ليس هناك صعوبة في هذا لأنه يقول لكل من يريد، انه يمكن ان يرى الأمر بسهولة اذ يقول "لأنه ما من شجرة جيدة تصنع ثمراً ردياً ولا شجرة ردية تصنع ثمراً جيداً. لأن كل شجرة تعرف من ثمارها. لذلك فالحياة الفعلية لكل انسان، هي التي تحدد ما هي اخلاقه. فان جمال الحياة المكرمة الحقيقية لا يوصف بمجرد الزينات الخارجية او الفضائل الزائفة، بل بالأعمال التي يفعلها الانسان. لأن هذه هي ثمار العقل الذي يختار حياة بلا لوم لأجل محبة التقوى، لذلك ينبغي ان نرى من هو الانسان المقبول حقاً ومن هو الذي ليس كذلك ليس بواسطة المظهر الخارجي بل بالأفعال. وايضاً يقول المسيح "احترزوا من الأنبياء الكذبة الذين يأتونكم بثبات الحملان ولكنهم من داخل ذئاب خاطفة" (مت 7 : 15) فانظروا ايضاً ان المسيح يوصينا ان نميز اولئك الذين يأتون الينا ليس بثيابهم، بل بما هو عليه حقيقة. إنه يقول "بأن كل شجرة تعرف من ثمارها" لأنه كما أنه هو جهل وغباء أن نتوقع ان نجد الأنواع الجيدة من الثمار بين الأشواك مثل العنب او التين، هكذا هو أمر سخيف بالنسبة

لنا أن نتخيل اننا يمكن ان نجد في المرائين والنجسين أي شيء يستحق الاعجاب او أي شيء نبيل. وأنا أعني أي شيء من الفضيلة.

هل تريد ان ترى حقيقة هذا الأمر ثانية؟ هل تريد أن ترى من هم الذئاب الذين يأتون بثياب حملان؟ اذا فافحص كتابات الرسل القديسين واسمع ما يقولونه عن بعض الناس: "لأنهم رسل كذبة، فعلة ماكرون يغيرون شكلهم الى شبه رسل المسيح. ولا عجب لأن الشيطان نفسه يغير نفسه الى شبه ملاك نور. فليس عظيماً ان كان خدامه ايضاً يغيرون شكلهم كخدام للبر" (2كو 11 : 13-15) هؤلاء يمكن ان نسميهم هم أشواك وعليق، ومثل هؤلاء لا يوجد فيهم أي جزء من الحلاوة، بل كل ما هو مر ومن طبيعة شريرة. لأن التين لا ينمو من الأشواك ولن نجد فيها أي شيء مسر، لأن العنب لا ينتج من العليق. اذن ينبغي ان نقرر حقيقة المعلم ليس بالمظاهر، بل بأعمال حياة كل واحد.

وهذا يتضح ايضاً باعلان آخر يعلنه ربنا قائلاً "الانسان الصالح من كنز قلبه الصالح يخرج الصلاح"، أما من هو مختلف عن ذلك وقد صار عقله فريسة للاحتيال والخبث فانه بالضرورة يخرج ما هو مخفي في أعماقه. لأن الأمور التي في العقل والقلب تغلب ويتقيأها الانسان في تيار الحديث المتدفق. لذلك فالانسان الفاضل يتكلم بما يليق بأخلاقه، أما من هو غير مستحق وشرير فهو يتقيأ نجاسته الخفية. لذلك، فان كل شيء لمنفعتنا، يعلمنا المسيح اياه، ويطلب من تلاميذه ان يكونوا حذرين من الخداع وساهرين وحرصين. لأجل هذا السبب هو يريهم الطريق المستقيم، ويكشف لهم الخداعات التي تقود الى الشر، لكي عن طريق الهروب من العثرات واذ يكونوا ثابتين وراسخين في العقل فيما وراء خطر الخطية فانهم يصلون بسرعة الى المنازل العلوية ببركة المسيح، الذي به وله مع الله الآب التسبيح والربوبية مع الروح القدس الى دهر الدهور آمين.

عظة (34)

طاعة الوصية

لوقا 6 : 46–49 "ولماذا تدعونني يارب يارب وانتم لا تفعلون ما أقوله. كل من يأتي الي ويسمع كلامي ويعمل اريكم من يشبه. يشبه انسان بنى بيتاً وحفر وعمق ووضع الأساس على الصخر، فلما حدث سيل صدم النهر ذلك البيت فلم يقدر ان يزعزعه لأنه كان مؤسساً على الصخر. وأما الذي يسمع ولا يعمل فيشبه انساناً بنى على الأرض من دون أساس، فصدمه النهر فسقط حالاً وكان خراب ذلك البيت عظيماً".

يوجد "رب واحد، ايمان واحد، معمودية واحدة" فهكذا يكتب بولس الحكيم "اف 4 : 5). لأن اسم الربوبية وحقيقتها كلاهما خاصين فقط بتلك الطبيعة التي تفوق الكل. وهي العالية جداً، وتحكم كل الاشياء. فهكذا يقول عنه بولس ايضاً في موضع آخر: "لأنه وان وجد آلهة كثيرون في السماء او على الأرض، لكن لنا اله واحد الآب الذي منه جميع الاشياء ونحن له. ورب واحد يسوع المسيح الذي به جميع الأشياء ونحن به" (1كو 8 : 5 و6). ولذلك حيث اننا نعترف بالله الكلمة وحده الذي يملك مع الله الآب، نعترف به بالطبيعة والحقيقة انه الرب. فتبعاً لذلك نحن نعطي هذا الاسم له. ولكنه هو يسأل (لماذا تدعونني يارب ولكنكم لا تفعلون ما اقوله؟) لأنه ان كان لا يملك سلطاناً حقيقياً، ولا مجد الربوبية، بل على العكس ممنوحة له من الخارج ومعطاة له كنعمة فعندئذ، لا تقدم له طاعتك. وعندئذ ترفض خدمته، ولا تقبل ان تكون خاضعاً له. ولكن ان كان هو حقاً، وبالمعنى الدقيق هو الرب، وكل طبيعة المخلوقات تنحني تحت صولجانه وهي مثل شيء موضوع تحت قدمي سيده فحينئذ قدم له ما هو حق له، اقبل النير وقدم له طاعتك كحق له، لكي لا تسمعه يوجه لوماً لك بالكلمات التي نطقها أحد الأنبياء القديسين للقدماء "الابن يكرم أباه والعبد يكرم سيده. فان كنت أباً فأين كرامتي، وان كنت سيداً فأين هيبتي قال رب الجنود؟" (ملا 1 : 6).

بل تعالوا ودعونا نرى، بواسطة ما يحدث بيننا، اللوم الذي نصير معرضين له بسبب عدم الطاعة. فنحن انفسنا متعودون ان نطلب من خدمنا طاعة ممزوجة بالخوف، وحينما يتمردون ويطرحون عنهم نير العبودية فنحن نخضعهم بالقيود والتعذيبات والجلد. لذلك، فان كنا نحن الذين على الرض ونحن بالطبيعة اخوة لأولئك الذين ينحنون تحت النير، لا نستطيع ان نحتملهم حينما يتمردون، فكيف سيحتمل الله تمردنا – وهو الذي تعبده الرئاسات، والعروش والربوبيات. والذي في حضرته يقف السيرافيم الممجدون جداً يقدمون له خدمتهم باستعداد؟ لأن داود الالهي يقول عنهم في المزامير "باركوا الرب يا جميع ملائكته، السامعين صوت كلامه. باركوا الرب، يا جميع جنوده، خدامه العاملين مرضاته" (مز 103 : 20 و21).

لذلك فانه خطر وأمر يستحق دينونة نهائية ان يكون الانسان غير راغب في الخضوع للمسيح القدير. أما أولئك الذين يجلون خدمته فسينالون بركات ممتازة جداً. لأنه قد قال بواسطة أحد الأنبياء القديسين لأولئك الذين يهربون من نيره ولا يخضعون ليكونوا تحت سلطانه "هوذا عبيدي يأكلون وأنتم تجوعون، هوذا الذين يطيعونني يترنمون من طيبة القلب وأنتم تصرخون من كآبة القلب ومن انكسار الروح تولولون" (اش 65 : 13 و14). فها أنت ترى ان تاج اولئك الذين يحملون النير، نير الخدمة هو جميل جداً، ويستحق ان يقتنى، وهو ثمين جداً، بينما الباقون يحكم عليهم بدينونة شديدة ومتنوعة.

وفي مكان آخر ايضاً يمكنك ان ترى الخادم الحقيقي يزين بكرامة فائقة، بينما غير المطيع والمهمل فانه يرفض بخزي، او بالحري يطرح الى الظلمة الخارجية. لأن الذين أخذوا الوزنات وضاعفوا ما اعطى لهم فان صاحب الوزنات كرمهم ومدحهم، لأنه قال لكل واحد منهم "ايها العبد الصالح والأمين كنت أميناً في القليل فأقيمك على الكثير أدخل الى فرح سيدك" (مت 25 : 23) أما الذي اخفى الوزنة في الرض كغير محب للخدمة وكسلان فانه حكم عليه بعقوبة شديدة لا مفر منها.

وفي موضع آخر قال ايضاً، "فمن هو العبد الأمين الحكيم الذي أقامه سيده على خدمة ليعطيهم الطعام في حينه. طوبى لذلك العبد الذي اذا جاء سيده يجده يفعل هكذا. الحق أقول لكم انه يقيمه على جميع أمواله" (مت 24 : 45 و46).

لذلك فأولئك الذين يحفظون ارادة مخلصنا، يصيرون ممجدين، ويستحقون ان يحاكيهم الآخرون، وان يزينوا بالمديح بسبب امانتهم. بل وأكثر من ذلك فانهم يحصلون على اسم يعطي لهم لأنه قد قال عنهم في موضع معين: "والذين يخدمونني سيدعى عليهم اسم جديد، الذي هو مبارك على الأرض" (اش 65 : 15 سبعينية).

وتوجد ايضاً نقطة أخرى أظن انها ينبغي ان تضاف لما سبق ان قلناه، وهي انه بالرغبة في الخضوع لكلمات مخلصنا وخدمته، فاننا سنربح في المقابل كرامة الحرية بقرار منه. لأنه قال لأولئك الذين يؤمنون به "ان ثبتم في كلامي فبالحقيقة تكونون تلاميذي وتعرفون الحق والحق يحرركم" (يو 8 : 31 و32) لذلك فنحن نربح مجد الحرية بواسطة الخضوع، أي بعبوديتنا له. فهذا يجعلنا ابناء وورثة الله، وشركاء مع المسيح في الميراث الذي يشهد عنه المسيح نفسه قائلاً "كل من يعمل الخطية هو عبد للخطية، والعبد لا يبقى في البيت الى الأبد، أما الابن فيبقى الى الأبد. فان حرركم الابن فبالحقيقة تكونون أحراراً" (يو 8 : 34-36).

لذلك فالرغبة في الخضوع للرب هي التي تأتي بنا الى الحرية، والى الكرامة التي هي امتياز الأبناء الخاص. أما عدم الطاعة فيضعنا وينزل بنا الى عبودية وضيعة ومخزية حسب القول الحق الأكيد "ان كل من يفعل الخطية هو عبد للخطية".

ولكن قد يقول واحد، نعم ان الطاعة للمسيح هي أمر ممتاز جداً وتستحق أعلى تقدير لكنها ليست على أي حال أمر سهل، لأن هناك الكثير الذي يقف في طريقنا ويمكن ان يطفئ غيرتنا. وأنا أقول ايضاً نعم – لأنه أول كل شيء فان الشيطان يقاوم كل ما هو جليل – والجسد في ميله الى اللذة يحارب ضد الروح، "وهذان يقاوم أحدهما الآخر" حسب تعبير بولس الحكيم (غلا 5 : 17). وناموس الخطية الذي في الأعضاء يقاوم بضراوة ومرارة. لأني أعرف أن بولس الذي كان متعلماً في الناموس يناقش هذه الأمور بروعة. لأنه قال، "فاني أسر بناموس الله في الانسان الباطن ولكني أرى ناموساً آخر في أعضائي يحارب ناموس ذهني ويسبيني الى ناموس الخطية الكائن في اعضائي" (رو 7 : 22 ز23). ويقول ايضاً "اذن أنا نفسي بذهني أخدم ناموس الله ولكن بالجسد ناموس الخطية" (رو 7 : 25). والى جانب ذلك يوجد ميل قوي في عقل الانسان يجعل الارادة تضل وراء اللذات ويولد سروراً بالشهوات العالمية، ويبعد الارادة عن الرغبة للتعب في سبيل الفضيلة. فهل بسبب هذا نرفض خدمتنا للمسيح؟ فهل هو يأمر بأي شيء مستحيل ولا يمكن عمله؟ وهل يطلب منا شيئاً يفوق حدود طبيعتنا؟ ومن الذي يتجاسر ان يقول هذا.

لأنه بالتأكيد يجعل كل ما يوصينا به، يتكيف مع عقولنا. لذلك حينما تخبرني عن صعوبة الطاعة، فاني أقول لك ايضاً هل الأمور العظيمة والممتازة تأتي من نفسها؟ وهل أولئك الذين يسعون ان يقتنوها ينجحون بدون جهد؟ أما بالعكس فان هذه الأمور يتم الوصول اليها بالجد والأتعاب؟ فمن هم الرجال الذين يربحون الاكليل عادة في جهاد المباريات؟ هل هم الذين كرسوا انفسهم كلية للمهارة في فن الكفاح وقد اجتازوا في أتعاب مريرة، لأنهم يحتملون كل شيء حسب تعبير القديس بولس (1كو 9 : 25)، أم على العكس هم الكسالى والمتنعمون الذين لا يعرفون بالمرة ما هو مناسب للرياضيين؟

ومن من اولئك الذين يفلحون الأرض تكون آلة الدراسة عندهم مملوءة بالحزم؟ هل هم اولئك الذين يهملون الحرث ولا يقومون بالتعب الشديد الذي للمعول أم على العكس هم المجتهدون والكادحون الذين يلازمون الأتعاب الضرورية للحصول على محصول وفير؟ الجواب معروف، حتى لو لم ينطق به أحد. أنهم أولئك الذين لهم ارادة العمل وليس أولئك الذين يحبون الراحة هم الذين تكون لهم حياة سعيدة ولا ينقصهم شيء لازم للحياة الهادئة. والمرنم ايضاً يشهد لهذا في أحد الفقرات التي يذكر فيها الذين يفلحون الأرض كمثال لشيء آخر فيقول "كانوا يسيرون بالدموع حاملين بذارهم ويعودون بالفرح حاملين حزمهم" (مز 125 : 6 سبعينية). لذلك فالفرح هو ثمرة التعب.

وبالاضافة الى ذلك، فان الرب نفسه يحثنا على محبة الجهد في كل سعي يستحق المدح، اذ يقول "ادخلوا من الباب الضيق لأنه واسع الباب ورحب الطريق الذي يؤدي الى الهلاك. ما أضيق الباب وأكرب الطريق الذي يؤدي الى الحياة" (مت 7 : 13 و14). لذلك لاحظوا ان الطريق الضيق يؤدي الى الحياة،

بينما النزول السهل في الطريق الواسع يؤدي بالناس الى اللهيب والعذابات التي لا تنتهي.

لذلك فان كنا ندعو المسيح مخلصنا جميعاً، يارب، فلنعمل الأشياء التي يقولها لنا. لأنه هو نفسه يعلمنا ما هي المنفعة من رغبتنا في أن نعمل ما أوصينا به وما هي الخسارة الناتجة من رفضنا ان نطيع، لأنه يقول "كل من يسمع كلامي ويعمل به يشبه انساناً يبني بيتاً ويحفر ويعمق ويضع الأساس على الصخر"، أما الذي لا يطيع فهو مثل انسان يبني بيتاً ولكنه لم يعتني بثباته. لأن الذي يطيع ويخضع يكون له وضع ثابت في كل شيء كريم وصالح، لأنه لا يكون سامعاً للناموس فقط، بل عاملاً به، لذلك فهو يشبه بيت مبني بثبات وله أساس لا يمكن ان يتزعزع حتى ان ضغطت عليه التجارب وحتى ان هاجمته الشهوات الساكنة فينا مثل سيل شتوي، او مثل طوفان فإنه سوف لا يخسر. أما الذي يميل بسمعه فقط الى ما يقوله المسيح ولكن لا يحتفظ بشيء في عقله ولا يعمل شيئاً مما أوصي به فانه يكون مثل بيت مستعد للسقوط. لأنه سينحرف في الحال الى أمور غير لائقة حينما تغريه اللذة وتقوده الى مهاوي الخطية.

لذلك فان طاعة المسيح كما نؤكد، تأتي بنا الى كل بركة. وان كنا نتممها بلا لوم فان المسيح سوف يتوجنا بنعمته، الذي به وله مع الله الاب التسبيح والسلطان مع الروح القدس الى دهر الدهور آمين.

الإصحاح السابع

عظة (35)

شفاء عبد قائد المئة

لو 7 : 1–10 "ولما أكمل أقواله كلها في مسامع الشعب، دخل كفر ناحوم وكان عبد لقائد المئة مريضاً مشرفاً على الموت، وكان عزيزاً عنده. فلما جاءوا الى يسوع طلبوا اليه باجتهاد قائلين انه مستحق ان يفعل له هذا، لأنه يحب أمتنا وهو بنى لنا المجمع. فذهب يسوع معهم. واذ كان غير بعيد عن البيت أرسل اليه قائد المئة اصدقاء يقول له يا سيد لا تتعجب لأني لست مستحقاً ان تدخل تحت سقفي. لذلك لم أحسب نفسي أهلاً أن آتي اليك لكن قل كلمة فيبرأ غلامي. لأني أنا أيضاً انسان مرتب تحت سلطان. لي جند تحت يدي أقول لهذا أذهب فيذهب ولآخر إئت فيأتي ولعبدي افعل هذا فيفعل. ولما سمع يسوع تعجب منه والتفت الى الجمع الذي يتبعه وقال أقول لكم لم أجد ولا في اسرائيل ايماناً بمقدار هذا. ورجع المرسلون الى البيت فوجدوا العبد المريض قد صح".

ان الانجيل الحكيم يملأ عقولنا بدروس مقدسة ويسعى ان يلقي ضوءاً كثيراً على ما يثبت ايماننا، فان هذا هو موضوع اخباره التي يبشرنا بها بخصوص المسيح. ولذلك فانه بطريقة مناسبة جداً نراه في إحدى المرات يقدم المسيح وهو يعلم الرسل القديسين أموراً أعلى من الخدمة التي يفرضها الناموس، ويوضح لهم طريقاً جديداً عن التصرف الذي يليق بالقديسين والذي لم يسلكه القدماء. وفي مرة أخرى يعرض لنا بطريقة جميلة جداً اظهار قوته الالهية لكي يعرف بكل طريقة ان كلمة الآب الوحيد هو الله نفسه رغم انه صار جسداً، أي صار انساناً – ويحمل كل الأشياء بكلمة قدرته" (انظر عب 1 : 3) – ويتبرهن لنا ذلك من فحص ما هو مكتوب عنه.

وحينما أشبع الرسل القديسين بالتعاليم الكاملة جداً، ووضع أمامهم مائدة من الوصايا الانجيلية ومزج لهم الخمر التي تفرح قلب الانسان، وأخبرهم بوضوح تام عن الوسائل التي ينتصرون بها ويصيرون مستحقين للمديح، فانه بعد ذلك ينحدر الى كفر ناحوم. وهناك ايضاً يعمل عملاً عظيماً وعجيباً، جديراً بعظمة جلاله. هناك تحرك مسرح مجيد باندهاش عظيم. وكان المتفرجون فيه هم الملائكة والناس. لأن بينما اسرائيل ينال توبيخاً وهو لا يفهم كما أنه غير مستعد للايمان نجد جمع الوثنيين مستعداً عموماً للفهم والايمان حتى أننا نرى المسيح يرفض بعدل عبده اسرائيل بينما هو يقبل ويكرم ويكلل بنعمته اولئك الذين منذ القديم عبدوا المخلوق دون الخالق، الذين كانوا في الكآبة والظلمة وليست لهم معرفة الله، وأحنوا رقبة ذهنهم المستعبد الى شر الشياطين.

اذن فما هو الذي حدث، أو ماذا كانت المعجزة؟ كان هناك رجل تقي متميزاً بسمو سلوكه، وكان قائداً لمائة من الجنود. وكان ساكناً في وسط شعب كفر ناحوم وكان له عبد مخلص قد سقط مريضاً. وكما لو كان قد وصل الى أبواب الموت وكل المظاهر تبين أنه كان الآن قرب النفس الأخير. وكان هذا العبد عزيزاً عنده، حتى أنه حزن حزناً شديداً. فأي علاج اذن يمكن ان يجده لما حدث، او أية مساعدة يستطيع ان يحصل عليها لذاك الذي يرقد مريضاً؟ يقول الانجيل، انه سمع عن أمور يسوع، وهكذا يرسل اليه ويطلب منه كمن يطلب من الله أموراً تفوق طبيعة الانسان وقدرته لأنه يطلب ان ذلك العبد الملقى مطروحاً في المرحلة الأخيرة من المرض، ينقذ من رباطات الموت. ومن أين اذن عرف يسوع، وهو لم يكن بعد في عداد الذين آمنوا به؟ لأنه حتى ذلك الوقت كان واحداً من الجماهير التي تسير في الضلال. ويقول الانجيل انه سمع الأمور الخاصة بيسوع. وحيث انه بالتأكيد لم يسمع تعليمه الشخصي بالمرة ولا عرف كتابات موسى، ولا بحث في الكتب الالهية، فانه يمكن ان يكون قد وصل الى الايمان به فقط من مجرد سماعه ما يشاع عنه. ولكنه اذ كان متيقناً تماماً أنه بمجرد فعل ارادته يستطيع ان يتمم ما سأله منه فانه يرسل مندوبين عنه من شيوخ اليهود.

وعند وصولهم الى يسوع قدموا له طلبهم قائلين "انه مستحق ان يفعل له هذا" يا لهذا الأمر العجيب! فان أولئك الذين يشتمون مجد المسيح يسألونه ان يصنع آية! أولئك الذين رفضوا ان يؤمنوا به يسألونه ان يعرض أمام الناس الذين لم يؤمنوا بعد، يعرض أمامهم أعمالاً تقود الى الايمان. أخبرني بأي صفة تقترب بطلبك، هل أنت تعرف وتؤمن أنه يستطيع ان يعمل اشياء هي خاصة بالله؟ هل أنت مقتنع تماماً أنه أمر يخص الجوهر الفائق، الذي هو فوق الكل (الله) انه يستطيع ان يحيي، وان يخلص الناس من فخاخ الموت؟ ان كان كذلك فكيف تقول حينما ترى يسوع يصنع المعجزات، "هذا الانسان يخرج الشياطين ببعلزبول رئيس الشياطين" (مت 12: 24) وحينما شفى ذلك الرجل الاعمى من بطن امة بأعجوبة وحصل علي النور قلتم له "أعط مجدا لله نحن نعلم ان هذا الانسان خاطى" (يو 9: 24) فهل أنت اذن تسأل هذا الخاطئ كما تسمية أن يعمل عملا الهيا؟ أليس هذا جنونا وغباوه تامة؟ الا يكون أولئك الذين لم يكونوا قد أمنوا حتي الآن أفضل من أولئك الذين قد تعلموا من الناموس والأنبياء؟

أتريد أن ترى الحقيقة وأن هذا هو واقع الحال فعلا لاحظ ما يأتي: بدأ المخلص الآن يسير فى طريقة الى العبد المريض لكى يشفية؛ ولكن قائد المئة أرسل الية يقول؛ "لاتتعب نفسك؛ بل قل كلمة فيبرأ غلامي" لاحظوا اذن أن شيوخ اليهود هؤلاء توسلوا الى يسوع ان يذهب الى بيت الذى طلب مساعدته؛ على اعتبار أنة لايوجد طريقة أخرى لاقامة الذي كان مريضاً الا بالذهاب الى جواره – بينما الآخر؛ أي قائد المئة آمن أنه يستطيع أن يفعل ذلك حتى من مسافة بعيدة؛ وأن يتمم الشفاء لمجرد ميل ارادته. أنة طلب الكلمة المخلصة والموافقة الحبية والنطق الكلي القدرة ولذلك فبعدل نال عبارة فائقة الجدارة لأن يسوع قال،

"الحق أقول لكم أني لم أجد ولا فى اسرائيل ايمانا عظيما كهذا" اذن فالبرهان والتوضيح يأتي فى الحال مما قد قلناه الآن. وشفي فى نفس تلك الساعة ذلك قبل قليل كان فريسة للموت لأن الذي أراد ابطال ما كان حادثا هو الله.

وكما قلت فى بداية هذا الحديث فان اسرائيل سقط من علاقتة مع الله، وبدلاً منة دعا الله الأمم وأدخلوا، لأن لهم قلب أكثر استعداداً للايمان به. وهو الأمر المطلوب عن حق. وعن هذا يشهد لنا المرنم الالهي ايضاً حيث يقول عنهم مرة: "تميل اذنك بسبب استعداد قلبهم" (مز 9 : 17 سبعينية). وفي موضع آخر يقول "كثرت امراضهم وبعد ذلك مضوا بسرعة" (مز 15 : 4 سبعينية) لأن كثيرة هي الخطايا المنسوبة لهم، والتي يعطيها بلطف اسم امراض، لأنهم كانوا تائهين في الضلال ومذنبين بجرائم رديئة ليس بطريقة واحدة بل بطرق كثيرة. ولكنهم مضوا بسرعة الى الايمان، أي لم يكونوا مبطئين في قبول أوامر المسيح، بل بكل استعداد قبلوا الايمان. ولذلك امسكوا في شبكة المسيح. هو يعلمهم، حيث يقول بواسطة أحد الأنبياء القديسين" لأجل هذا انتظروني يقول الرب الى يوم أقوم لأشهد، لأن حكمي هو لجماعات الأمم" (صف 3 : 8 سبعينية). لأنه حينما قام المسيح من الموت، منح لأولئك الذين كانوا في الضلال ذلك الحكم الذي هو لأجل سعادتهم وخلاصهم. فقد أمر الرسل القديسين قائلاً "اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم، وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس وعلموهم ان يحفظوا جميع ما أوصيتكم به" (مت 28 : 19).

لذلك فبالقرار المقدس والحكيم العادل لمخلصنا جميعاً المسيح، أكرم الأمم، ولكننا نرى اسرائيل مرفوضاً من محبته وعطفه. لأن ما هو الذي يقوله رئيس رعاة الجميع لهم بواسطة أحد الأنبياء القديسين؟ "قد أعلنت يقول الرب أني لا أرعاكم، من يمت فليمت، ومن يضعف فليضعف والبقية فليأكل بعضها لحم بعض" (زك 11 : 9). وايضاً "الله قد رفضهم لأنهم لم يسمعوا له فيكونون تائهين بين الأمم" (هو 9 : 17) وايضاً بصوت حزقيال النبي "هكذا يقول الرب: اني سأبددهم بين الأمم وأذريهم في الأراضي كلها" (حز 12 : 15). وخذوا النتيجة الواقعية للأمور لاقناعكم وللايمان بما هو مكتوب هنا. لأنهم متشردون وغرباء في كل أرض ومدينة، وهم لا يحفظون العبادة المرسومة من الناموس في نقاوتها ولا يخضعون ليقبلوا مجد وسمو الحياة الانجيلية، بينما نحن الذين قد قبلنا الايمان فاننا مواطنون مع القديسين وندعى أبناء اورشليم العليا في السماء، بنعمة الله التي تكللنا. ونحن نؤكد انه هو (المسيح) تكميل الناموس والأنبياء، ونعترف بمجده. ونعجب به في صنعه للمعجزات، الذي به وله مع الله الآب التسبيح والسلطان مع الروح القدس الى دهر الدهور آمين.

عظة (36)

إقامة ابن أرملة نايين

لو 7 : 11–17 "وفي اليوم التالي ذهب الى مدينة تدعى نايين، وذهب معه كثيرون من تلاميذه، وجمع كثير. فلما اقترب الى باب المدينة، اذا ميت محمول ابن وحيد لأمه، وهي أرملة ومعها جمع كثير من المدينة. فلما رآها الرب تحنن عليها وقال لها لا تبكي. ثم تقدم ولمس النعش فوقف الحاملون. فقال ايها الشاب لك أقول قم. فجلس الميت وابتدأ يتكلم فدفعه الى أمه. فأخذ الجميع خوف ومجدوا الله قائلين قد قام فينا نبي عظيم وافتقد الله شعبه. وخرج هذا الخبر عنه في كل اليهودية وفي جميع الكورة المحيطة".

لاحظوا كيف يضيف معجزة الى معجزة، ففي المعجزة السابقة، وهي شفاء عبد قائد المئة حضر هناك بناء على دعوة، أما في هذه المعجزة فانه يقترب بدون ان يدعى. اذ لم يدعوه، أحد ان يعيد الانسان الميت الى الحياة، بل هو يأتي ليفعل هذا من تلقاء نفسه. ويبدو لي أنه قصد ان يصنع هذه المعجزة بعد المعجزة السابقة. لأنه ليس أمراً بعيد الاحتمال ان نفترض انه في وقت أو آخر يمكن ان يقول أحد معارضاً مجد المخلص هكذا: "أية أعجوبة حدثت في حالة عبد قائد المئة؟ فرغم انه كان مريضاً فهو لم يكن في خطر الموت رغم ان الانجيلي كتب ذلك مشكلاً على أساس ما يرضي وليس على أساس ما هو حقيقي". لذلك فلكي يوقف اللسان الرديء لمثل هؤلاء المهاجمين يقول الانجيل ان المسيح قابل الشاب الميت الابن الوحيد للأرملة. انها كارثة مثيرة للشفقة، وتستطيع ان تثير الرثاء وتجعل دموع الانسان تفيض. فكانت المرأة ومعها كثيرون تتبع الميت مذهولة بمحنتها، وخائرة.

كان الانسان الميت في طريقه للدفن وكان اصدقاء كثيرون يشيعونه الى قبره. ولكن هناك يقابله الحياة والقيامة واعني المسيح نفسه، لأنه هو محطم الموت والفساد. هو الذي "به نحيا ونتحرك ونوجد" (أع 17 : 28). هو الذي أعاد طبيعة الانسان الى ما كانت عليه أصلاً. فهو الذي حرر جسدنا المشحون بالموت من رباطات الموت. لقد تحنن على المرأة، ولكي يوقف دموعها أمر قائلاً "لا تبكي". وفي الحال أبطل سبب بكائها، كيف وبأية وسيلة؟ انه لمس النعش وبواسطة نطق كلمته الالهية جعل الذي يرقد ميتاً في النعش يعود الى الحياة، لأنه قال "أيها الشاب لك أقول قم"، وفي الحال حدث ما أمر به. فان تحقيق ما حدث كان ينتظر كلماته. ويقول الانجيل "فجلس الميت وبدأ يتكلم فدفعه الى أمه".

أرجو ان تلاحظوا هنا أيضاً دقة التعبير لأن الانجيلي الالهي لا يقول فقط ان الانسان الميت جلس لئلا يهاجم احد المعجزة بمناقشات زائفة "أي اعجوبة هنا ان كان بواسطة حيلة بارعة او أخرى يجعل الجسد يجلس لأنه لم يتبرهن بعد انه حي او تحرر من رباطات الموت". لهذا السبب فالانجيلي يسجل بمهارة

برهانين واحداً بعد الآخر كافيين للاقناع ان الشاب قام بالحقيقة وعاد للحياة فيقول "فبدأ يتكلم" — والجسد الغير حي لا يستطيع الكلام. وايضاً "دفعه الى أمه" ولكن بالتأكيد فان المرأة لم تكن لتأخذ ابنها الى بيتها لو كان ميتاً.

لذلك فأولئك الأشخاص الذين اعيدوا الى الحياة بقوة المسيح نتخذهم كعربون للرجاء المعد لنا بقيامة الأموات. وهؤلاء كانوا هم: هذا الشاب ابن الأرملة، ولعازر الذي من بيت عنيا وابنة رئيس المجمع. وهذه الحقيقة سبق ان بشر بها جماعة الأنبياء القديسين، لأن أشعياء المبارك يقول "الموتى سيقومون، وأولئك الذين في القبور سيعودون الى الحياة، لأن الطل الذي منك يشفيهم" (اش 26 : 19 سبعينية). لأنه يقصد بالطل فاعلية المسيح المعطية للحياة، التي هي بواسطة الروح القدس. والمرنم يشهد متكلماً بخصوصهم بكلمات موجهة الى الله مخلصنا جميعاً قائلاً: "تحجب وجهك فترتاع .. والى ترابها تعود، ترسل روحك فتخلق، وتجدد وجه الأرض" (مز 104 : 29 و30). لأنه بمعصية آدم صارت وجوهنا محجوبة عن الله وصرنا نعود الى التراب. لأن قصاص الله على الطبيعة البشرية هو "لأنك تراب والى التراب تعود" (تك 3 : 19)، ولكن في نهاية هذا العالم فان وجه الأرض سيتجدد، لأن الله الآب بالابن في الروح سوف يعطي حياة لكل أولئك الراقدين في داخلها.

ان الموت هو الذي أتى بالناس الى الشيخوخة والاضمحلال. لذلك فالموت كما لو كان قد صيرنا شيوخاً وجعلنا نضمحل، لأن "ما عتق وشاخ فهو قريب من الاضمحلال" كما يقول الكتاب (عب 8 : 13). ولكن المسيح يجدد لأنه هو الحياة. فان ذاك الذي خلق في البداية يستطيع ايضاً ان يجدد الى عدم الفساد والحياة. لأنه يمكن ان نؤكد ان هذا هو عمل نفس الطاقة والقوة ان يفعل الأمرين الواحد والآخر (أي الخلق والتجديد)، لذلك فكما يقول اشعياء النبي "ابتلع الموت اذ هو مقتدر" (اش 25 : 8 سبعينية). وايضاً "الرب يمسح كل الدموع عن كل الوجوه. هو ينزع عار الشعب عن كل الأرض". ويقصد بعار الشعب الخطية التي تلحق الخزي بالنار وتفسدهم، والتي ستباد هي والهلاك، وسيتلاشى الحزن والموت، وتكف الدموع التي تذرف بسببه.

لذلك لا تكونوا غير مصدقين لإقامة الموتى، لأنه منذ زمن بعيد تمم المسيح هذا في وسطنا بجلال الهي. ولا تدعوا احداً يقول ان من أقام اثنين مثلاً او ثلاثة لا يكون كافياً ايضاً لحياتنا جميعاً. مثل هذه الكلمات التي تفوح منها رائحة الجهل المطلق هي كلمات سخيفة مضحكة، بل هو صواب بالحري ان نفهم ان المسيح هو الحياة ومعطي الحياة بالطبيعة. وكيف يمكن ان تكون الحياة بالطبيعة. وكيف يمكن الحياة غير كافية لجعل الجميع احياء. انه يكون نفس الشيء ان يقال بغباوة شديدة، ان النور ايضاً يكفي فقط لاضاءة اشياء صغيرة وليس لاضاءة الكون كله.

لذلك فهو أقام ذاك الذي كان ذاهباً الى قبره. وطريقة اقامته كانت واضحة لأن الانجيلي يقول

"لمس النعش وقال: أيها الشاب لك أقول قم". ومع ذلك فكيف لم تكن كلمة منه كافية لاقامة الشاب الذي كان راقداً في النعش. لأن أي شيء يكون صعباً او يعسر تحقيقه امام كلمته؟ فما هو أكثر من كلمة الله؟ فلماذا اذن لم يتمم المعجزة بكلمة فقط؟ يا أحبائي انه فعل هذا لكي تعرفوا ان جسد المسيح المقدس فيه فاعلية وقوة لخلاص الانسان. لأن جسد الكلمة القدير هو جسد الحياة، وقد اكتسى بقدرته. بل لاحظوا كيف ان الحديد حينما يدخل في النار ينتج تأثيرات النار ويحقق وظائفها. هكذا ايضاً لأن الجسد صار جسد الكلمة الذي يعطي الحياة للكل، لذلك صار له ايضاً قوة اعطاء الحياة. وهو يلاشي تأثير الموت والاضمحلال.

ليت ربنا يسوع المسيح يلمسنا ايضاً وهو اذ يخلصنا من الأعمال الشريرة ومن الشهوات الجسدية فانه يوحدنا مع جماعات القديسين لأنه هو معطي كل صلاح الذي به وله الله الآب التسبيح والسلطان مع الروح القدس الى دهر الدهور آمين.

عظة (37)

أنت هو الآتي أم ننتظر آخر؟

لو 7 : 17–21 "وخرج هذا الخبر عنه في كل اليهودية وفي جميع الكورة المحيطة. فأخبر يوحنا تلاميذه بهذا كله. فدعا يوحنا اثنين من تلاميذه وأرسلهم الى يسوع قائلاً، أنت هو الآتي أم ننتظر آخر؟ فلما جاء الرجلان قالا، يوحنا المعمدان قد أرسلنا اليك قائلاً أنت الآتي أم ننتظر آخر وفي تلك الساعة شفى كثيرين من أمراض وأدواء وأرواح شريرة ووهب البصر لعميان كثيرين. فأجاب يسوع وقال لهما اذهبا واخبرا يوحنا بما رأيتما وسمعتما. ان العمي يبصرون والعرج يمشون والبرص يطهرون والصم يسمعون والموتى يقومون والمساكين يبشرون. وطوبى لمن لا يعثر فيَّ".

في هذه الفرصة ايضاً، فإن الكلمة التي ستوجه اليكم والبحث في التعاليم المقدسة لا يمكن الا ان يكونا بكل تأكيد لمنفعتكم. تعالوا اذن لكي نشترك مع الملائكة القديسين في تسبيح مخلص الكل، لأنه يعبد كما في السماء، كذلك ايضاً على الأرض، وله "ستجثو كل ركبة" كما هو مكتوب (في 2 : 10). لذلك فليكن معروفاً للناس في كل مكان ان الرب هو الله، وحتى رغم انه ظهر في هيئة مماثلة لنا، الا أنه قد أعطانا الاشارات التي تدل على قوته الالهية وجلاله في مناسبات كثيرة وبطرق متعددة، وذلك بشفائه للأمراض وطرده للأرواح النجسة، وبمنحه البصر للعميان، وأخيراً حتى بطرده الموت نفسه من أجساد البشر – الموت الذي تسلط بقسوة وبدون رحمة من آدم الى موسى حسب تعبير بولس الالهي (رو 5 : 14).

قام ابن الأرملة في نايين بطريقة عجيبة وغير متوقعة، والمعجزة صارت معروفة لكل واحد في اليهودية كلها وانتشرت في كل مكان كآية الهية، وكان الاعجاب به (أي يسوع) على كل لسان. وبعض من أصدقائه الحميمين، أي تلاميذه أخبروا بها ايضاً المعمدان المبارك، فاختار المعمدان اثنين من تلاميذه وأرسلهما الى يسوع ليسألوه ان كان هو الآتي أم ينبغي ان ينتظروا غيره. ماذا فعلت أيها المعمدان الرائع! ألا تعرف ذلك الذي كرزت عنه اذ كنت أنت نفسك سابقاً لظهوره، كما تسبق نجمة الصبح وتعلن عن الشمس الآتية؟ لقد ذهبت أمامه مثل مصباح. وأنت أشرت للرسل القديسين عنه قائلاً بكل وضوح "هوذا حمل الله الذي يرفع خطية العالم" (يو 1 : 29). وفي موضع آخر ايضاً نسمعك تقول لجموع اليهود "يأتي بعدي رجل صار قدامي لأنه كان قبلي. وأنا لم أكن أعرفه، ولكن الذي أرسلني لأعمد ذاك قال لي الذي ترى الروح القدس نازلاً ومستقراً عليه فهذا هو الذي يعمد بالروح القدس. وأنا قد رأيت وشهدت أن هذا هو ابن الله" (يو 1 : 30 و33 و34). فكيف اذن تسأل إن كان هو الآتي؟ اذ أنك أنت قد قلت "أنا رأيت وشهدت انه ابن الله" ولكن المعمدان المبارك لم يفشل في ان يعرف كلمة الله الذي صار انساناً. لا تتصوروا هذا، فقد كان مقتنعاً تماماً وبكل وضوح أنه هو الآتي، ولكن ما فعله كان أمراً حكيماً ومخططاً

تخطيطاً جيداً ومناسب بدرجة كبيرة لمنفعة تلاميذه. فلأن تلاميذ يوحنا لم يكونوا قد عرفوا المسيح بعد، اذ ان مجده وجلاله الفائق كان مخفياً عنهم، قد صدموا عندما رأوه يصنع المعجزات ويتفوق على المعمدان في عظمة الأعمال التي يقوم بها. فانهم في إحدى المرات اقتربوا من يوحنا المعمدان وهم يحملون حسداً وغيظاً في قلوبهم. وكان قلبهم لا يزال يحتاج ان يتحرر من الأمراض اليهودية، وقالوا للمعمدان المبارك عن المسيح مخلص الكل: "يا معلم هوذا الذي كان معك في عبر الأردن الذي أنت قد شهدت له، هو يعمد والجميع يأتون اليه" (يو 3 : 26). لأنكم لم يكونوا يريدون لأحد آخر ان يعمد بالمرة ويعلو على كرامة يوحنا المعمدان. ومع ذلك فقد عرفوا من يوحنا عن علو مجد المسيح وعظمة بهائه التي لا تقارن لأنهم سمعوه يجيبهم هكذا "أنتم أنفسكم تشهدون لي أني قلت لست أنا المسيح، بل اني مرسل أمامه. من له العروس فهو العريس، وأما صديق العريس الذي يقف ويسمعه فيفرح فرحاً من أجل صوت العريس. اذن فرحي هذا قد كمل ينبغي ان ذلك يزيد وأني أنا أنقص" (يو 3 : 28-30).

ومع ذلك فنحن لا نقول ان المعمدان المبارك نقص في الكرامة في الوقت الذي كان فيه مجد المسيح يزداد باستمرار من قبل أولئك الذين آمنوا به .. ولكن بسبب ان المعمدان المبارك استمر محصوراً في حدود الطبيعة البشرية – لأنه لم يكن ممكناً له أن يتقدم أكثر من هذه الحدود – أما الكلمة المتجسد اذ هو بطبيعة الله ومولود من الله الآب بطريقة تفوق الفهم، فانه كان يزداد باستمرار الى مستوى المجرد اللائق به. وكان الناس يتعجبون منه. ولهذا السبب قيل "ينبغي ان ذاك يزيد واني انا انقص". لأن من يظل في نفس حالته يبدو كأنه ينقص بالمقارنة بذلك الذي يتقدم في المجد باستمرار. ولأنه كان من الصواب ان الذي كان بالطبيعة الله ينبغي ان يتفوق في القدرة والمجد على كل ما هو بشري، لذلك شرح لهم المعمدان قائلاً "الذي يأتي من فوق هو فوق الجميع، والذي من الأرض هو أرضي ومن الأرض يتكلم" (يو 3 : 31). فمن هو الذي يأتي من فوق وهو فوق الجميع لأنه هو الله؟ واضح ان المقصود هو كلمة الاب الوحيد الذي كان مماثلاً له ومساوياً له ولكنه بسبب محبته للعالم وضع نفسه ونزل الى حالتنا. لذلك اذ هو هكذا فينبغي ان يتفوق بالضرورة على ذلك الذي من الأرض والذي هو معدود كواحد من بين الأشياء التي من الأرض، وهو مثلنا في الطبيعة. هكذا كان المعمدان. فانه كان مستحقاً للمديح في فضيلته، وعظيماً جداً في تقواه، وقد وصل الى كمال كل بر، وكان مكرماً وجديراً بالاعجاب، لأن الرب شهد له قائلاً "لم يقم بين المولودين من النساء أعظم من يوحنا المعمدان" (مت 11 : 11) ولكنه لم يكن من فوق – وأنا أعني انه ليس من الجوهر الذي يفوق الكل، بل بالحري كان من أسفل. مولود من الأرض كواحد منا.

والآن لكي نعود من هذا الاستطراد نقول لأن قلبهم لم يكن حراً من الأمراض اليهودية، فانهم يخبرون المعمدان المبارك عن المعجزات الالهية التي صنعها المخلص. وهو اذ كان يعرف من هو ذلك الذي

فعل هذه المعجزات وانه ممجد بالحق في ذاته، وان مجد المخلص ينتشر في كل مكان. ولأنه يريد ان ينشئ ايماناً راسخاً به في قلوب اولئك الذين لا يزالون يعرجون ولم يكونوا مقتنعين بعد انه المسيح، لذلك فانه يتخذ مظهر الجهل ويرسل اليه تلاميذه ليسأله قائلاً "انت هو الآتي أم ننتظر آخر".

ولكن ربما يقول البعض ان هناك اناساً يفكرون اننا ينبغي ان نفهم شيئاً من هذا النوع كما يأتي: ان المعمدان كان مزمعاً ان يموت بواسطة هيرودس قبل ان يتم صلب المسيح، وكان سيسبق المسيح في موته كسابق ويصل قبله الى الهاوية، لذلك فهو يسأل ان كان سيأتي هناك ايضاً لكي يفدي الذين في الظلمة، في ظل الموت والمربوطين برباطاته. ولكن هذا الرأي ينبغي ان يرفض تماماً لأننا لا نجد في أي مكان في الكتاب الموحى به من الله ان المعمدان الالهي بشر مقدماً بمجيء المخلص للأرواح التي في الهاوية كما اننا يمكن ان نقول بحق، انه كما عرف المعمدان مرة واحدة تأثير تدبير تجسد الابن الوحيد، فانه يكون قد عرف ايضاً بالاضافة لأشياء أخرى، انه سوف يفدي اولئك الذين في الهاوية. وسوف يضيء عليهم اذ انه "يذوق بنعمة الله الموت لأجل كل واحد كما يقول بولس" (عب 2 : 9) حتى انه "يسود على الأحياء والأموات" (رو 14 : 9).

فماذا يريد ان يفهم بسؤاله: "انت هو الآتي أم ننتظر آخر؟" لقد قلت، انه يتخذ الجهل عن قصد، ليس لكي يتعلم هو – اذ انه كسابق كان قد عرف السر – وانما لكي يقتنع تلاميذه بمقدار عظمة المخلص ورفعته، وانه كما اعلن الكتاب الموحى به قبل ذلك، هو الله، وانه هو الرب الذي كان مزمعاً ان يأتي. أما كل الباقين فكانوا عبيداً ارسلوا قبل مجيء سيدهم كسابقين لذلك الذي هو فوق الكل، ومعدين طريق الرب كما هو مكتوب. لذلك فالأنبياء القديسون، يدعون المخلص ورب الكل بلقب "الآتي". لأن داود النبي يقول في أحد المزامير "مبارك الآتي باسم الرب" (مز 118 : 26) وماذا يعني تعبير "باسم الرب"؟ انه يعني بمجد الهي، وبربوبية، وبكل جلال فائق. وهذا ايضاً أوضحه مرة أخرى في الآية التي تليها اذ يقول "الرب هو الله وقد أنار لنا" (مز 118 : 27). لأن موسى قد جاء، وظهر في وقته وبواسطته أعطى الناموس للاسرائيليين، وبعده جاء يشوع بن نون الذي قاد الشعب، وبعد ذلك جاء الأنبياء المباركون على التوالي. لقد كانوا بالحقيقة أناساً قديسين ومكرمين جداً، وكانوا مشحونين ومزودين ببهاء روحي فائق. ولكن ولا واحد فيهم أنار على سكان الأرض باسم الرب، بالمجد الذي هو خاص باللاهوت والسيادة الالهية. أما كلمة الله الوحيد فقط أنار علينا لكونه في طبيعته وبالحقيقة الله والرب. وهكذا أسماه الآب بواسطة حبقوق النبي قائلاً "بعد قليل سيأتي الآتي ولا يبطئ" (حب 2 : 3 سبعينية). وأيضاً بواسطة نبي آخر يتكلم كلمة الله الوحيد قائلاً "ترنمي وافرحي يا بنت صهيون لأني ها أنذا آتي وأسكن في وسطك يقول الرب. "وتحتمي أمم كثيرة بالرب في ذلك اليوم وأنا أكون لهم الهاً وهم يكونون لي شعباً" (زك 2 : 10 و11 سبعينية). ويمكن ان نرى من الحقائق الفعلية ان هذا قد تم فعلاً لأن جماهير من الأمم قد

أمسكت في الشبكة، والمسيح صار الههم وهم صاروا له شعباً.

فالمعمدان الالهي اذ قد عرف من الكتاب الموحى به اسم "الآتي" فانه أرسل بعض اصدقائه ليسأل: ان كان هو الآتي ..؟ والمسيح اذ بالطبيعة وبالحق هو الله لم يخف عنه غرض يوحنا المعمدان، واذ عرف سبب مجيء تلاميذ يوحنا فانه بدأ في ذلك الوقت خاصة بعمل معجزات الهية أكثر بكثير مما كان قد فعلها قبل ذلك. فهكذا أخبرنا الانجيل الحكيم قائلاً "وفي تلك الساعة شفى كثيرين من أمراض وأدواء وأرواح شريرة ووهب البصر لعميان كثيرين. واذ قد صاروا مشاهدين وشهود لعظمته، فقد صار لهم اعجاب عظيم بقوته وامكانياته. وعندئذ قدموا السؤال متوسلين باسم يوحنا بأن يرد عليهم ان كان هو الآتي. وهنا أرجو ان تلاحظوا الطريقة الجميلة في معاملة المخلص. لأنه لا يقول ببساطة أنا هو، رغم انه لو قال هذا لكان صحيحاً، ولكنه بالحري يقودهم الى البرهان المعطى عن طريق الأعمال نفسها حتى اذا قبلوا الايمان به على أساس جيد، ويكونون قد تزودوا بالمعرفة مما قد حدث أمامهم، فانهم يمكن ان يرجعوا الى ذلك الذي أرسلهم. اذ قال لهم الرب اذهبا واخبرا يوحنا بما رأيتما وسمعتما. لأنكم قد سمعتم حقاً اني قد أقمت الموتى بكلمة مملوءة قوة وبلمسة اليد، كما أنكم رأيتم ايضاً وانتم واقفون ان تلك الاشياء التي تكلم عنها الانبياء القديسون منذ القديم تتحقق: "فالعمي يبصرون والعرج يمشون والبرص يطهرون والصم يسمعون، والموتى يقومون والمساكين يبشرون".

كل هذه الاشياء قد سبق الانبياء المباركين واعلنوها لكي تتم في حينها على يدي. فان كنت اتمم تلك الاشياء التي سبق التنبؤ بها منذ زمن طويل، وانتم انفسكم شهود لهذه الاشياء التي تحدث، فارجعوا واخبروا بتلك الاشياء التي رأيتموها بأعينكم تتحقق بقوتي وقدرتي والتي سبق الانبياء المباركين واخبروا بها في أوقات مختلفة. ثم بعد ذلك اضاف بالضرورة قائلاً "وطوبى لمن لا يعثر في" لأن اليهود قد عثروا، اما بسبب انهم لم يعرفوا عمق السر او بسبب انهم لم يسعوا ان يعرفوا. فرغم ان الكتاب الموحى به سبق ان أعلن في مواضع كثيرة ان كلمة الله سينزل نفسه الى الاخلاء وسوف يرى على الأرض مشيراً بوضوح الى الوقت الذي صار فيه مثلنا وهو يبرر بالايمان كل ما هو تحت السماء. ومع ذلك فانهم عثروا فيه "واصطدموا بصخرة العثرة، وسقطوا وسحقوا تماماً" (اش 8 : 14) فرغم انهم يرونه بوضوح متوشحاً بكرامة لا يعبر عنها ومجد يفوق الوصف بواسطة الأعمال العجيبة التي عملها فانهم القوا حجارة عليه وقالوا "لماذا وانت انسان تجعل نفسك الهاً"؟ وجواباً على هذه الأمور وبخ المسيح ضعف ذهنهم الشديد وقال "ان كنت لست أعمل أعمال ابي فلا تؤمنوا بي، ولكن ان كنت اعمل فان لم تؤمنوا بي فآمنوا بالأعمال" (يو 10 : 37 و38) لذلك فطوبى لمن لا يعثر في المسيح، أي طوبى لمن يؤمن به.

وما هي الفائدة التي تنالها من هذا وبأية طريقة تنفع بالوصول الى الايمان به؟ كل واحد يعرف بلا شك ولكن هذا لا يمنع ان نعدد بعض الأمور. فأولاً نحن بالحقيقة نحصل على نرو معرفة الله الحقيقية. ثم

بعد ذلك حينما نغتسل من أوساخ الخطية بواسطة المعمودية المقدسة، واذ نتطهر لكي نخدمه بطهارة، فاننا نصير ايضاً شركاء طبيعته الالهية ونربحه ليسكن في داخلنا بالحصول على شركة الروح القدس. وايضاً نصير أبناء الله ونكتسب لأنفسنا الأخوة مع ذلك الذي هو الابن بالطبيعة وبالحق. وبالاضافة الى هذه الاشياء فاننا نتمجد ونرتفع الى ميراث القديسين ونسكن في غبطة بالتمتع بتلك البركات التي تمنح لأولئك الذين يحبونه، والتي يعلن بولس الالهي انها تفوق الفهم والوصف "لأن ما لم تره عين، وما تسمع به أذن، وما لم يخطر على قلب بشر ما أعده الله للذين يحبونه" (1كو 2 : 9) ونحن نحسب ايضاً مستحقين لتلك الأمور بنعمة ومحبة ذاك الذي يعطي لكل واحد كل الأشياء بسخاء. وأعني به المسيح الذي به ومعه لله الآب التسبيح والسلطان مع الروح القدس الى دهر الدهور.

عظة (38)

الأصغر في ملكوت الله أعظم منه

لوقا 7 : 24–28 "فلما مضى رسلاً يوحنا ابتدأ يقول للجموع عن يوحنا. ماذا خرجتم الى البرية لتنظروا؟ أقصبة تحركها الريح؟ بل ماذا خرجتم لتنظروا أأنساناً لابساً ثياباً ناعمة؟ هوذا الذين في اللباس الفاخر والتنعم هم في قصور الملوك. بل ماذا خرجتم لتنظروا؟ أنبياً؟ نعم أقول لكم وأفضل من نبي لأن هذا كتب عنه: ها أنا أرسل أمام وجهك ملاكي الذي يهيء طريقك قدامك. لأني أقول لكم انه بين المولودين من النساء ليس نبي أعظم من يوحنا المعمدان. ولكن الأصغر في ملكوت الله أعظم منه".

أنتم الذين تعطشون لمعرفة التعاليم الالهية افتحوا مرة أخرى مخازن عقولكم واشبعوا انفسكم بالكلمات المقدسة او بالحري لا تستسلموا لأي احساس بالشبع هنا، لأن النهم في الأمور التي تبني هو صفة جديرة بالاقتناء. دعونا اذن نقترب من كلمات المخلص، ليس باهمال ولا بدون استعداد لائق، بل بذلك الانتباه وتلك اليقظة التي تناسب أولئك الذين يريدون ان يتعلموا. لأنه بهذا يمكن ان تكون موضوعات التأمل هذه التي يصعب فهمها، تفهم بطريقة صحيحة. لذلك دعونا نسأل من المسيح ان يعطينا ذلك النور الذي ينزل على العقل والقلب لكي اذ نستطيع بطريقة صائبة ان نفهم قوة ما يقال فاننا نعجب مرة أخرى بالمهارة الجميلة لعمله. لأنه سئل بواسطة تلاميذ يوحنا ان كا هو الآتي؟ وحينئذ حينما اجابهم بطريقة مناسبة وأمرهم ان يرجعوا الى الذي ارسلهم، بدأ يكلم الجموع عن يوحنا قائلاً "ماذا خرجتم الى البرية لتنظروا؟ أقصبة تحركها الريح؟" وما هو التعليم الذي نأخذه من هذا؟ أو ما هي الغاية التي تشير اليها كلمات المخلص؟ انه أمر جدير بأن نسأل عنه؟ لذلك دعونا نفتش عن معنى ما قيل، دعونا نبحث عنه ككنز. دعونا نفتش عن أسراره، ونثبت ذهننا على عمق السر، دعونا نكون مثل الصيارفة الحريصين، المدققين "نمتحن كل شيء" كما يقول الكتاب (1تس 5 : 21).

كان هناك البعض يتكبرون بسبب ممارستهم لما يطلبه الناموس مثل الكتبة والفريسيين وآخرين من حزبهم الذين كانوا يعتبرون بحسب مهنتهم حافظين مدققين للناموس. وكانوا على هذا القياس يطلبون ان تزين رؤوسهم بالكرامات. وهذا هو السبب في انهم لم يقبلوا الايمان بالمسيح ولا اعطوا تكريماً لطريقة الحياة التي هي بالحق ممدوحة وبلا لوم. تلك الحياة التي تنظمها وصايا الإنجيل. لذلك فكان غرض المسيح، مخلص الكل، ان يبين لهم ان الكرامات الخاصة بالخدمة الدينية والأخلاقية التي حسب الناموس هي ذات قيمة صغيرة وليست جديرة بالسعي للوصول اليها، او حتى ربما هي شيء بالمرة وغير نافعة للبنيان، بينما النعمة التي بواسطة الايمان به هي عربون البركات الجدير بالاعجاب. وهي قادرة ان تزين اولئك الذين

يملكونها بمجد لا يقارن.

كثيرين كما قلت كانوا حافظين للناموس ومنتفخين جداً لهذا السبب، بل ويصرحون انهم قد وصلوا الى كمال ما هو جدير بالمدح بممارستهم بدقة للبر الذي يتكون من ظلال ورموز، لذلك فلكي يبرهن ان اولئك الذين يؤمنون به هم أفضل وأعلى منهم وان أمجاد تابعي الناموس هي بالتأكيد قليلة جداً بالمقارنة بنموذج الحياة الانجيلية، فانه يتخذ ذاك الذي هو أفضلهم جميعاً ولكنه مع ذلك مولود من امرأة، وأنا اعني المعمدان المبارك. واذ قد أكد أنه نبي، أو بالحري أعلى من درجة الأنبياء وأنه بين أولئك المولودين من النساء ليس هناك من هو أعظم منه في البر أي البر الذي بالناموس وهو يعلن ان الذي هو أصغر من مقياسه، أي اقل منه في البر الذي بالناموس، هو أعظم منه – ليس أعظم في البر الذي بالناموس، بل أعظم في ملكوت الله، أي في الايمان والأمجاد التي تنتج عن الايمان لأن الايمان يتوج اولئك الذين ينالونه بأمجاد تفوق الناموس.

وهذا أنتم تعلمونه وسوف تؤكدون أنتم بأنفسكم، حينما تقابلون كلمات المبارك بولس لأنه اذ قد أعلن بنفسه أنه حر من اللوم في البر الذي بالناموس، فانه أضاف بعد ذلك "ولكن ما كان لي ربحاً فهذا حسبته من أجل المسيح خسارة، بل أحسب كل شيء نفاية لكي أربح المسيح. وليس لي بري الذي من الناموس، بل الذي بايمان يسوع المسيح" (في 3 : 7-9). وهو يعتبر الاسرائيليين مستحقين للوم عظيم، ولذلك يقول "اذ كانوا يجهلون بر الله" – أي الذي بالمسيح – "ويطلبون ان يثبتوا بر انفسهم"، أي الذي بالناموس، "فانهم لم يخضعوا لبر الله" (رو 10 : 3). لأن المسيح هو غاية الناموس للبر لكل من يؤمن" (انظر رو 10 : 4). وايضاً حينما يتكلم عن هذه الأمور يقول "نحن بالطبيعة يهود ولسنا من الأمم خطاة. اذ نعلم ان الانسان لا يتبرر بأعمال الناموس، بل بايمان يسوع المسيح، آمنا نحن ايضاً بيسوع المسيح لنتبرر فيه" (غل 2 : 15 و16). لذلك فالتبرير بالمسيح أي بالايمان به، يفوق أمجاد البر بالناموس. لهذا السبب فهو يبرز المعمدان امام الجميع كواحد قد وصل الى اعلى مكانة في البر بالناموس. وهو مستحق لمديح لا يقارن. ومع ذلك فانه يحسب كأقل من الذي هو أصغر منه، لأنه يقول "أن الأصغر أعظم منه في ملكوت الله". ولكن ملكوت الله كما أوضحنا يشير الى النعمة التي بالايمان، التي بواسطتها نحسب مستحقين لكل بركة، ونحسب أهلاً لامتلاك المواهب الغنيةالتي تأتي من فوق من الله. لأن النعمة تحررنا من كل لوم، وتجعلنا ان نكون أبناء الله. وشركاء الروح القدس، وورثة الميراث السماوي.

واذ قلنا هذا كمقدمة، كنوع من التمهيد لذلك فلكي نشرح ارتباط الأفكار تعالوا الآن ودعونا نفحص الكلمات نفسها. وكما سبق ان قلت، هو يرفع المعمدان الالهي الى درجة عظيمة ويتوج السابق بكرامات فائقة عن قصد. وذلك لكي ما يتعجبوا بالأكثر بالايمان، الذي يجعل المؤمنين ان تكون لهم عظمة تفوق الناس البارزين كالمعمدان. وهو يسأل اليهود بعد ذلك قائلاً "ماذا خرجتم الى البرية لتنظروا

أقصبة تحركها الريح؟" والآن هو يقارن القصبة التي هي شيء يهتز ذهاباً واياباً بواسطة شدة الريح – يقارنها بالانسان الذي يعيش في كرامات ولذات عالمية، وفي عظمة سيادة زمنية. لأنه بالنسبة لهؤلاء الأشخاص لا يوجد شيء راسخ او ثابت او لا يهتز، بل تتغير الأمور دائماً بطريقة غير متوقعة وبصورة لم يكونوا يفكرون فيها مقدماً، وكل مجد انسان كزهر عشب، العشب يبس وزهره سقط" (1 بط 1 : 24). ويقول هل تذهبون اذن الى البرية لتنظروا انساناً مثل القصبة. ان المعمدان ليس هكذا، بل هو من نوع مختلف. وهو ليس من أولئك الذين يحيون في ملذات، او الذين يرتدون ملابس فاخرة، ويسرون بالكرامة الصبيانية. ونحن لا نرى مثل هؤلاء الأشخاص يسكنون في البرية بل في قصور الملوك. أما لباس المعمدان المبارك فكان، من وبر الإبل ومنطقة من جلد على حقويه.

فماذا اذن ذهبتم لتنظروا؟ ربما تقولون نبي. نعم أنا أوافق، لأنه قديس ونبي. لا بل هو يفوق كرامة النبي. فهو ليس فقط قد أعلن مسبقاً أني سآتي، بل أشار اليَّ عن قرب قائلاً "هوذا حمل الله الذي يرفع خطية العالم" (يو 1 : 29). وبالاضافة الى ذلك فان صوت النبي شهد عنه انه "مرسل أمامي ليعد الطريق قدامي" (انظر ملا 3 : 1). وأنا أشهد له أنه لم يقم بين المولودين من هو أعظم منه، ولكن الأصغر – وأنا أعني الأصغر في الحياة حسب الناموس – هو في ملكوت الله أعظم منه. كيف وبأي طريقة؟ بأن يوحنا المبارك هو وكثيرين من الذين سبقوه هم مولودون من النساء ولكن الذين نالوا الايمان لا يعودون يدعون مواليد النساء، بل كما يقول الانجيل الحكيم هم مولودون من الله لأنه يقول "وأما كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطاناً ان يصيروا أبناء الله، أي المؤمنون باسمه، الذين ولدوا ليس من دم ولا من مشيئة جسد ولا من مشيئة رجل، بل من الله" (يو 1 : 12 و13). لأننا قد ولدنا ثانية بالتبني لنكون بنين "ليس من زرع يفنى بل بكلمة الله الحي الباقي الى الأبد" كما يقول الكتاب (1بط 1 : 23). فأولئك الذين ليسوا من زرع يفنى، بل بالعكس قد ولدوا من الله هم أعظم من أي واحد مولود من امرأة.

فتوجد ناحية أخرى ايضاً يتفوقون فيها على أولئك المولودين من النساء. لأن هؤلاء لهم آباء أرضيين، أما نحن فلنا ذاك الذي هو فوق في السماء، لأننا قد نلنا هذا أيضاً من المسيح، الذي يدعونا الى تبني البنين والأخوة معه. لأنه قد قال "لا تدعو لكم أباً على الأرض، لأن أباكم واحد الذي في السموات وأنتم جميعاً اخوة" (مت 23 : 8 و9) وبولس الحكيم جداً يعطينا تأكيداً لهذا اذ يكتب هكذا "ثم بما أنكم أبناء أرسل الله روح ابنه الى قلوبكم صارخاً يا أبا الآب" (غل 4 : 6). لأنه حينما قام المسيح وأباد الجحيم فحينئذ أعطى روح التبني لأولئك الذين آمنوا به، وأول الكل أعطى للتلاميذ القديسين. لأنه نفخ فيهم وقال "اقبلوا الروح القدس من غفرتم خطاياه تغفر له، ومن أمسكتم خطاياه أُمسكت" (يو 20 : 22). ولأنهم صاروا شركاء الطبيعة الالهية بسبب أنهم توشحوا بغنى بروح السيادة الضابط الكل، لذلك أعطاهم أيضاً قوة الهية لغفران خطايا البعض وامساك خطايا آخرين.

ويوضح الانجيلي الحكيم جداً يوحنا أنه لم يكن هناك روح تبني قبل قيامة المسيح من الأموات وصعوده الى السماء حيث يقول "لأن الروح لم يكن قد أعطى بعد لأن يسوع لم يكن قد مجد بعد" (يو 7 : 39) وكيف يمكن ان يكون الروح غير مساوي في الأزلية لله الآب والابن؟ فمتى لم يكن هو الذي قبل الكل؟ لأنه مساو في الجوهر للآب والابن. ولكنه يقول "لأن يسوع لم يكن قد مجد بعد"، أي لم يكن قد قام من الأموات وصعد الى السموات، لذلك فروح التبني لم يكن موجوداً في الناس بعد. ولكن حينما صعد كلمة الله الوحيد الى السماء أرسل المعزي من فوق بدلاً عنه. والذي هو فينا بواسطته (بواسطة المسيح). وهذا هو ما علمنا اياه قائلاً هكذا "انه خير لكم ان انطلق لأنه ان لم أنطلق لا يأتيكم المعزي، ولكن ان ذهبت سوف ارسله اليكم" (16 : 7). لذلك حتى لو كنا أقل من أولئك الذين قد تمموا البر الذي بالناموس، وأنا أعني أقل في بر الحياة، إلا أننا نحن الذين نلنا الايمان بالمسيح قد تزودنا بامتيازات أعظم. وينبغي ان نضع في أذهاننا انه رغم ان المعمدان المبارك كان عظيماً هكذا في الفضيلة، الا انه اعترف بوضوح انه محتاج للمعمودية المقدسة. لأنه قال في موضع ما متحدثاً الى المسيح مخلصنا جميعاً: "أنا احتاج ان اعتمد منك" (مت 3 : 14)، ولكنه لم يكن غير محتاج للمعمودية المقدسة والا ما كان قد طلب ان تمنح له لو لم يكن فيها أمر أعظم وأفضل من البر الذي بالناموس.

لذلك فالمسيح لا يجادل ضد كرامات القديسين وليس هدفه ان يقلل أو أن يصغر من قيمة اولئك الرجال القديسين الذين قد وصلوا سابقاً الى النصرة، بل كما قلت انه بالحري يبرهن ان طريقة الحياة الانجيلية هي أعلى من العبادة الناموسية، وان يتوج الايمان بكرامات فائقة. وذلك لكي ما نؤمن به جميعاً. لأننا هكذا ندخل بواسطته ومعه الى ملكوت السموات، الذي به ومعه لله الآب كل تسبيح مع الروح القدس الى دهر الدهور. آمين.

عظة (39)

قداسة المعمدان وقداسة المسيح

لو 7 : 31–35 "ثم قال الرب بمن أشبه أناس هذا الجيل يشبهون أولاداً جالسين في السوق ينادون بعضهم بعضاً ويقولون زمرنا لكم فلم ترقصوا، نحنا لكم فلم تبكوا، لأنه جاء يوحنا المعمدان لا يأكل خبزاً ولا يشرب خمراً فتقولون به شيطان. جاء ابن الانسان يأكل ويشرب فتقولون هوذا انسان أكول وشريب خمر محب للعشارين والخطاة. والحكمة تبررت من جميع بنيها".

الذين لهم عقل سليم يفحصون كل شيء، ويرفضون ما هو زائف، لكنهم يقبلون ويمدحون ما هو بلا لوم. وهذا ايضاً ما يطلبه منا بولس الحكيم، حيث كتب قائلاً "كونوا حكماء، امتحنوا كل شيء. تمسكوا بالحسن امتنعوا عن كل شبه شر" (1تس 5 : 21). لذلك. وكما قلت ينبغي لنا نحن ايضاً ان نفحص بتدقيق، وبعين العقل المميزة كل ما يفعل، ونبحث في طبيعة الافعال، لكي نوافق على ما هو بلا لوم، بينما نرفض ما هو زائف. ولكن اذا لم نميز بين الأشياء فاننا نتعرض لخطورة اصدار حكم رديء على اشياء مستحقة للمدح جداً، وان نحسب ما هو شرير انه لائف للإطراء والتصفيق، وعندئذ تنطبق علينا كلمات النبي "ويل للقائلين للشر خيراً وللخير شراً، الجاعلين الظلام نوراً والنور ظلاماً، الجاعلين المر حلواً والحلو مراً" (اش 5 : 20). هكذا كانت صفة الاسرائيليين وخاصة اولئك الذين كانوا رؤساء لهم، أي الكتبة والفريسيين الذين عنهم قال المسيح "بماذا أشبه أناس هذا الجيل؟ .. الخ".

ربما كان هناك نوع من اللعب بين أولاد اليهود او شيء من هذا النوع بمجموعة من الشباب كانت تقسم الى قسمين، وكانوا يلعبون ويخلطون الأمور بعضها ببعض، وكانوا ينتقلون سريعاً من حالة الى أخرى مما هو مفرح الى ما هو مؤلم، وكان بعضهم يلعب على آلات الموسيقى بينما البعض الآخر كانوا ينوحون. فالنائحون لم يكونوا يشاركون فرح أولئك الذين يلعبون الموسيقى ويهللون، ولا أيضاً أصحاب الآلات الموسيقية كانوا يشتركون في حزن أولئك الذين يبكون، وأخيراً لاموا بعضهم بعضاً لعجزهم عن التعاطف مع بعضهم البعض أي على غياب الشعور المشترك لأن فريقاً منهم يقول "زمرنا لكم فلم ترقصوا" فيرد عليهم الفريق الآخر قائلاً "نحنا لكم فلم تبكوا".

لذلك فالمسيح يعلن ان الجمهور اليهودي وقادتهم كانوا في حالة من الشعور شبيهة بهذه، لأنه يقول "جاء يوحنا المعمدان لا يأكل خبزاً ولا يشرب خمراً فيقولون، به شيطان. جاء ابن الانسان يأكل ويشرب فيقولون، هوذا انسان أكول وشريب خمر ومحب للعشارين والخطاة". أيها الفريسي الغبي بأي طريقة اذن يمكن ان تُربح الى الايمان، وانت هكذا تلوم كل الأشياء بلا تفريق، ولا تعتبر أي شيء مستحقاً للمديح؟ فالمعمدان المبارك كان سابقاً للمخلص، منادياً قائلاً، توبوا لأنه قد اقترب ملكوت الله" (مت 3 :

2) لأنه كان رجلاً يستحق ان ينال الثقة، وهو قادر على الاقناع، حتى انهم هم انفسهم شهدوا له ان حياته كانت نبيلة وجديرة بالاعجاب. فهو قد سكن في البراري وكان يرتدي ثياباً فقيرة خشنة وبالكاد كان يلبي ضرورات جسده بالجراد والعسل البري. وأنتم قد خرجتم لتروه كشخص قديس، وقد وصل الى كمال كل فضيلة. فهل تجرؤ ايها الفريسي بعد ذلك ان تتكلم رديئاً عن فعل هذا الشخص وهو شخص ينبغي بالحري ان يحسب مستحقاً لكل اعجاب؟ هل تقول ان به شيطان وهو الذي كان بالأصوام يميت قانون الخطية الذي في أعضائنا الجسدية المحارب ضد ناموس ذهننا؟ (انظر رو 7 : 23). ما هو أعظم من حياة التعفف؟ لأنه كونه قادراً ان ينتهر بحكمة تلك اللذات التي تقود الى الشر وان يعيش حياة زهد وتعفف فكيف لا يكون هذا عظيماً وباهراً؟

ان المعمدان المبارك كان مكرساً كلية في تقواه نحو المسيح، ولم يكن يوجد فيه أقل اعتبار للشهوات الجسدية، أو لأمور هذا العالم. لذلك فهو اذ تخلى تماماً عن ارتباكات هذا العالم الباطلة وغير النافعة فانه عمل في أمر واحد بكل اهتمام وهو ان يتمم بلا لوم الخدمة التي أؤتمن عليها. لأنه قد أُمر ان يكرز قائلاً "اعدوا طريق الرب" (اش 40 : 3). اخبرني، هل انت تظن ان هذا الانسان به شيطان – وهو انسان ليس للشيطان سلطان عليه، وهو ليس أسيراً لأي شهوة شريرة، وهو قد قفز فوق كل شراك حب الجسد الوضيع، وهو قد أمر جموع الشياطين ان تسكت، وقاوم هجماتهم برجولة؟ فانه في الحقيقة لم يكن ليصل لهذا المجد وتلك الفضيلة الا بواسطة المسيح، الذي هو ممجد ومرتفع جداً فوق الشيطان، الذي يجرب القديسين ويصر بأسنانه على نجاحهم. ألا تخجل اذن من ان تشتم واحداً قد وصل الى مثل هذا الصبر العظيم والاحتمال الكبير، وله حول رأسه أكاليل من الفضيلة الرجولية؟ هل تحرك لسانك ضده وتتجاسر بوقاحة ان تفتري عليه، بأن تقول انه انسان مجنون، وتافه وليس مالكاً لقواه العقلية؟

ثم دعونا نرى، ما هو على الناحية الأخرى، وما يبدو كأنه يتبع طريقاً مختلفاً عن سلوك المعمدان، فالمسيح لم يكن في البرية، بل بالحري جعل مسكنة في المدينة بصحبة رسله القديسين. هو لم يأكل جراداً وعسلاً برياً، وثيابه لم تكن من وبر الابل، ولم يكن له منطقة من جلد على حقويه. وطريقة حياته بالحري كانت كالطريقة المعتادة في المدن. ولم يكن فيها خشونة مثل تلك التي كان يمارسها المعمدان القديس. فهل أنت اذن تمدحه على الأقل وهل توافق على سهولة طريقته، واختلاطه بحرية مع الآخرين، وعدم اهتمامه بالمرة من جهة طعامه؟ لا أظن. فان ميلك الى النقد القاسي يمتد حتى الى المسيح. فأنت تقول ايها الفريسي "هوذا انسان أكول، وشريب خمر، محب للعشارين والخطاة. فهل بسبب انه تصادف انك رأيت يسوع يأكل مثل الناس، فهل يبدو لك انه شريب خمر وأكول؟ كيف يمكنك ان تثبت ذلك لأنه حينما قامت مرة مريم ومرثا باستقباله في بيت عنيا وكانت واحدة منهما منشغلة بخدمة كثيرة، فاننا نرى المسيح يمنع المبالغة والزيادة، ويدعو الى ما هو ضروري فقط. لأنه قال "مرثا مرثا أنت تهتمين وتضطربين لأجل

أمور كثيرة ولكن الحاجة الى اشياء قليلة، او الى واحد" (انظر لو 10 : 41). وهكذا كان هو دائماً وفي كل مكان.

ولكن هل انت تتهم المسيح بسبب انه كان يمشي مع العشارين والخطاة؟ وهل هذا هو سبب استيائك؟ ولكن أي ضرر يمكن ان نتخيله أصاب المسيح من ترحيبه ان يكون مع الخطاة؟ فهو لم يكن معرضاً بأن يتأثر بخطاياهم لأنه كان فوق كل خطية تماماً. حتى انه قال مرة "رئيس هذا العالم يأتي ولن يجد فيَّ شيء" (يو 14 : 30) وفي مرة أخرى قال "من منكم يبكتني على خطية؟" (يو 8 : 46) لذلك فهو لا يمكن ان يتلوث من أي ناحية بوجوده مع الخطاة.

ولكنك تقول ايها الفريسي، أن ناموس موسى أمر أننا "لا ينبغي أن نتكلم مع الأشرار" دعونا اذن ندرس موضوع الناموس، ودعونا نرى لأي سبب منع الاسرائيليين أن يتحدثوا مع الأشرار، ويختلطوا مع الخادعين. والآن فان الحقيقة بالتأكيد هي، ان ناموس موسى أمر بهذه الأشياء، ليس لكي تتفاخر بنفسك على الآخرين، وتجعل الوصية سبباً للانتفاخ، بل بالحري بسبب ان ذهنك ضعيف وأنت منجذب الى الحماقة، وبسبب ان قلبك يجري بارادته وراء اللذات الشريرة فان الناموس يحفظك من الرغبة في أن تكون مع أولئك الذين يحاتهم تستحق اللوم، لئلا تصير مثلهم في ذهنك وتقتنص بغبارة في فخهم "لأن المعاشرات الرديئة تفسد الأخلاق الجيدة" (1كو 15 : 23). لذلك فأنت قد استلمت الوصية كحارس لضعفك. فلو أنك كنت قد تأسست في الفضيلة، ولو كان عقلك ثابتاً في مخافة الله لما كان الناموس يمنعك من أن تتحدث حديثاً نافعاً مع أولئك الذين هم ضعفاء، وذلك لكيما يصيروا متمثلين بتقواك ويتعلموا أن يتشبهوا بأعمالك، حتى أنهم اذ يسيرون في خطوات غيرتك، عليهم ان يتقدموا الى ما هو أكثر فضلاً وسمواً. لذلك فلا تتخيل تخيلات متكبرة، اذ انه حتى في وصية موسى أنت منهم بالضعف.

أنت تلوم المسيح لسيره مع الخطاة والعشارين: هل أنت تفعل ذلك لئلا يتأثر بنجاستهم؟ لذلك أخبرني هل أنت تتخيل انه يشترك ايضاً في ضعفك؟ هل أنت جاهل تماماً بالأسرار الخاصة به؟ وهي أن الكلمة اذ هو الله صار معنا، أي تجسد لأجلنا، وان الآب أرسله "لا ليدين العالم، بل ليخلص به العالم" (يو 3 : 17) لأن الذي يدين، هو الذي يتحاشى صحبة مثل هؤلاء الذين لا زالوا في خطاياهم، أما الذي يريد ان يخلص فانه يكون معهم ويحثهم ويؤثر عليهم ليتغيروا من مسالكهم المشينة، وان يختاروا الطريق المؤدي الى الحياة الأبدية بدلاً من طريق الشر. انه لم "يأت ليدعو ابراراً بل خطاة الى التوبة" (لو 5 : 32). وكما قال هو نفسه لا يحتاج الأصحاء الى طبيب، بل المرضى. لذلك فلماذا تلومه على محبته للانسان هكذا وتنتقده على لطفه الالهي؟ لماذا توبخه على كونه شفوقاً بنا، وشافياً لمرضنا؟

ان كل انسان يمدح الأطباء، ليس حينما يتحاشون الاختلاط بالمرضى، بل حينما يكونون معهم دائماً وبوسائل فنهم الخاص يعودون بهم بالتدريج الى الصحة التامة. واذا كان يسوع هو طبيب النفوس

والأرواح فلماذا تلومه لتخليصه الخطاة؟ انه لا يمكن ان يتلوث، حتى لو أكل مع الخطاة. لأن الشمس الساطعة ترسل اشعتها وتدخل الى كل شيء تحت السماء، ويحدث اذن ان القاذورات تتعرض لتأثيرها، أما الشمس التي ترسل اشعاعها فهي لا تتلوث بالمرة رغم انها تسطع على مواد كريهة جداً. ان ربنا يسوع المسيح هو شمس البر. ولا يستطيع انسان شرير مهما كان ان يلوثه حتى لو كان قريباً بجواره ويأكل معه.

هذا ما نقوله فيما يخص المسيح مخلصنا جميعاً. ولكن مع ذلك ربما يعترض البعض ويقول اليست ايضاً كرازة الانجيل الجديدة والمخلصة توصينا بوضوح ان نبتعد عن الاتصال بالناس غير الطاهرين؟ لأن بولس الحكيم جداً كتب أيضاً للبعض "كتبت اليكم في الرسالة أن لا تخالطوا الزناة، ان كان أحد مدعواً أخاً زانياً أو سكيراً أو خاطفاً أو عابد وثن فلا تؤاكلوا مثل هذا" (1كو 5 : 9 و11). لذلك فقد كان مناسباً للمسيح أن يكون مثالاً لنا في هذا السلوك. لقد فقدت مقياسك الذي تقيس به أيها الأخ المحبوب! وأنت ترغب ان تنافس كرامة سيدك العالية، وأنت تمسك بما يفوق طبيعتك جداً. فلاحظ ضعف ذهنك. فان المسيح اله أما أنت فانسان تتسلط عليك اللذات الجسدية وذهنك ينخدع بسهولة للضلال، ويصير فريسة سهلة للخطايا. ومع ذلك فاذا شعرت بثقة في قدرتك الشجاعة أن تسير في سلوك بلا لوم، وأيضاً أن تعظ الآخرين، فمع ذلك ليس هناك ما يستطيع أن يمنعك من أن تشتهي أن تكون مع الأشرار ومحبي الخطية. فان نصائح الرجال الروحانيين كثيراً ما أفادت أولئك الذين في الخطية. وبالعكس فإن كنت أنت نفسك لا تخلص بسهولة حتى حينما تحفظ نفسك بعيداً من رفقة الشر، فانك يجب ان تكون حريصاً في هذه الناحية. تذكر كاتب كتاب الأمثال الذي يقول "المساير الحكماء يصير حكيماً، ورفيق الجهال يضر" (ام 13 : 20). وايضاً يقول داود المبارك "مع الرجل الكامل تكون كاملاً، ومع الطاهر تكون طاهراً، ومع الأعوج تكون ملتوياً" (مز 18 : 25 و26).

"فلكي تنجو مثل الظبي من الشباك" (انظر ام 6 : 5 السبعينية) وتهرب من الناس الأشرار، فابتعد عن أولئك الذين لا يستطيعون ان يمتنعوا عن النجاسة، وتوسل الى المسيح ان يطهر أي شيء فاسد فيك، ويعينك في كل ضعفاتك البشرية لأن الكلمة الذي جاء من الله هو اله، رغمك انه صار جسداً، أي صار انساناً. الذي به ومعه لله الآب التسبيح والسلطان مع الروح القدس الى دهر الدهور آمين.

عظة (40)

لقاء المرأة الخاطئة بالمسيح في بيت الفريسي

لو 7 : 36–50 "وسأله واحد من الفريسيين أن يأكل معه. فدخل بيت الفريسي واتكأ. واذا امرأة في المدينة كانت خاطئة، اذ علمت انه متكئ في بيت الفريسي، جاءت بقارورة طيب، ووقفت عند قدميه من ورائه باكية، وابتدأت تبل قدميه بدموعها. وكانت تمسحها بشعر رأسها وتقبل قدميه وتدهنهما بالطيب. فلما رأى الفريسي الذي دعاه ذلك، تكلم في نفسه قائلاً، لو كان هذا نبياً لعلم من هذه المرأة التي تلمسه وما هي. انها خاطئ. فأجاب يسوع وقال له، يا سمعان عندي شيء اقوله لك. فقال قل يا معلم فقال له: كان لمداين مديونان، على الواحد خمسمائة دينار وعلى الآخر خمسون. واذا لم يكن لهما ما يوفيان سامحهما كليهما. فأيهما يكون أكثر حباً له؟ فأجاب سمعان، أظن الذي سامحه بالأكثر. فقال له بالصواب حكمت. ثم التفت الى المرأة وقال لسمعان، أتنظر هذه المرأة. اني دخلت بيتك وماء لأجل رجلي لم تعط. وأما هي فقد غسلت رجلي بالدموع ومسحتهما بشعر رأسها. بقبلة لم تقبلني. وأما هي فمنذ دخلت لم تكف عن تقبيل قدمي. بزيت لم تدهن رأسي. وأما هي فقد دهنت بالطيب قدمي. من أجل ذلك أقول لك قد غفرت خطاياها الكثيرة لأنها أحبت كثيراً. والذي يغفر له قليل يحب قليلاً. ثم قال لها مغفورة لك خطاياك. فابتدأ المتكئون معه يقولون في أنفسهم من هو هذا الذي يغفر خطايا أيضاً؟ فقال للمرأة ايمانك قد خلصك، اذهبي بسلام".

"يا جميع الأمم صفقوا بأيديكم، اهتفوا لله بصوت الابتهاج والشكر" (مز 47 : 1 سبعينية). وما هو سبب هذا الابتهاج انه بسبب ان المخلص هنا أنشأ لنا طريقاً للخلاص لم يسر فيه الذين في القديم. لأن الناموس الذي وضعه موسى الحكيم كان لتوبيخ الخطية ولادانة التعديات، ولكنه لم يبرر مطلقاً أي أحد. لأن بولس الحكيم يكتب ويقول "من خالف ناموس موسى فعلى فم شاهدين او ثلاث شهود يموت بدون رأفة" (عب 10 : 28). أما ربنا يسوع المسيح فاذ قد أبطل لعنة الناموس وجعل الوصية التي تدين بلا قوة وغير فعالة "صار رئيس كهنتنا الرحيم" بحسب كلمات بولس المبارك (عب 2 : 17). لأنه يبرر الخطاة بالايمان، ويطلق المأسورين بالخطية احراراً. وهذا أعلنه لنا بواسطة أحد الأنبياء القديسين قائلاً "في ذلك الوقت يقول الرب، سيبحثون عن خطية اسرائيل فلن تكون هناك، وعن خطية يهوذا فلا يجدونها، لأني سأكون رحيماً بأولئك الذين بقوا في الأرض يقول الرب" (ار 1 : 20 سبعينية). ولكن ها ان تحقيق الوعد حدث لنا في وقت تجسده، كما يتأكد لنا من معاني الأناجيل المقدسة.

فقد دعي المسيح من أحد الفريسيين ولأن المسيح شفوق ومحب للبشر "ويريد ان جميع الناس

يخلصون والى معرفة الحق يقبلون" (1 تي 2 : 4)، وافق ومنحه ما طلب منه. واذ دخل اتكأ على المائدة، وفي الحال دخلت امرأة مدنسة بالخطايا مثل واحد لا يفيق من الخمر والسكر، واذ شعرت بذنوبها وتعدياتها قدمت توسلات للمسيح القادر ان يطهرها ويحررها من كل خطية وينقذها من خطاياها السابقة "لأنه لا يذكر الخطايا والتعديات" (عب 8 : 12) وقد فعلت هذا وهي تغسل قدميه بدموعها وتدهنهما بالطيب وتمسحهما بشعر رأسها. مثل هذه المرأة التي كانت فاسقة وزانية – وهي خطية يصعب ازالتها – لم تفقد طريق الخلاص، لأنها هربت لاجئة الى الذي يعرف كيف يخلص ويستطيع ان يرفع من أعماق النجاسة.

فهي اذن لم تفشل في غرضها. ولكن الانجيلي المبارك يخبرنا ان الفريسي الأحمق قد إستاء وقال في نفسه: "لو كان هذا نبياً لعلم من هذه الامرأة التي تلمسه وما هي، إنها خاطئة"، لذلك فالفريسي كان منتفخاً وبلا فهم بالمرة. لأنه كان من واجبه بالأحرى ان ينظم حياته الخاصة ويزينها بكل الأعمال الفاضلة، وليس أن يحكم على الضعفاء ويدين الآخرين. ولكننا نؤكد عنه انه اذ قد تربى على عوائد الناموس، فقد أعطى لأوامره سلطاناً واسعاً وأراد ان يخضع المشرع (المسيح) لوصايا موسى. لأن الناموس أوصى ان المقدس يكون بعيداً عن النجس. والله وجه اللوم لأولئك الذين كانوا رؤساء مجامع اليهود لعدم رغبتهم في تتميم ذلك. لأنه تكلم هكذا بواسطة أحد الأنبياء القديسين قائلاً "لم يميزوا بين المقدس والنجس" (حز 22 : 26). ولكن المسيح جاء من اجلنا، ليس لكي يخضع حالتنا للعنات التي بواسطة الناموس، بل ليفدي أولئك الذين تحت الخطية برحمة أعلى من الناموس. لأن الناموس قد تأسس "بسبب التعديات" كما يعلن الكتاب (غل 3 : 19)، "لكي يستد كل فم ويصير كل العالم تحت قصاص من الله لأنه بأعمال الناموس كل ذي جسد لا يتبرر أمامه" (رو 3 : 19 و20). لأنه لا يوجد هناك متقدم في الفضيلة الروحانية، حتى يكون قادراً ان يتمم كل ما أوصى به، ويكون بلا لوم. ولكن النعمة التي بالمسيح تبرر لأنها اذ تبطل حكم الناموس فهي تحررنا بواسطة الايمان.

لذلك فإن ذلك الفريسي المتكبر الأحمق لم يحسب يسوع قد وصل حتى الى درجة نبي، ولكن المسيح جعل دموع المرأة فرصة لكي تعلمه بوضوح عن السر. لأنه علم الفريسي وكل الذين كانوا مجتمعين هناك ان الكلمة اذ هو الله، جاء الى العالم في صورتنا "ليس ليدين العالم، بل ليخلص به العالم" (يو 3 : 17). لقد جاء لكي يغفر للمديونين كثيراً وقليلاً، ولكي يظهر رحمة على الصغير والكبير، لكي لا يكون هناك أي واحد مهما كان لا يشترك في صلاحه. وكعربون ومثال واضح لنعمته، خلص تلك المرأة غير العفيفة، غير الطاهرة من خطاياها الكثيرة "مغفورة لك خطاياك" ان مثل هذا الاعلان لائق بالله حقاً. وهي كلمة تبين السلطان المطلق لأنه حيث ان الناموس أدان أولئك الذين كانوا في الخطية فمن هو الذي يستطيع ان يعلن اشياء فوق الناموس الا ذلك الذي وضع الناموس، لذلك فانه في الحال أطلق المرأة حرة ثم انه لفت انتباه ذلك الفريسي، وأولئك الذين كانوا يأكلوا معه الى أمور عالية جداً، لأنهم تعلموا ان الكلمة

اذ هو الله، لم يكن كواحد من الأنبياء، بل بالحري يفوق مستوى البشرية، وذلك رغم انه صار انساناً، وربما يقول واحد لذلك الذي دعاه: أنت ايها الفريسي متدرب في الكتب المقدسة، وانت تعرف طبعاً الأوامر التي اعطاها موسى الحكيم وانت قد فحصت كلمات الأنبياء القديسين، فمن هو اذن ذاك الذي يسير في طريق عكس الوصايا المقدسة ويحرر من الخطية؟ من هو هذا الذي أعلن ان الذين كسروا الوصايا قد صاروا أحراراً؟ لذلك اعلم بواسطة الحقائق نفسها انه أعلى من الأنبياء والناموس. تذكر ان واحداً من الأنبياء القديسين بشر بهذه الأشياء منذ القديم عنه وقال "سوف يأتون بالرعب الى الرب الهنا ويخافون منك. من هو اله مثلك غافر الاثم وصافح عن الذنب لبقية ميراثه. لا يحفظ الى الأبد غضبه فانه يسر بالرأفة" (ميخا 7 : 17 و18).

لذلك فأولئك الذين كانوا يأكلون مع الفريسي اندهشوا وتعجبوا لرؤيتهم المسيح مخلص الكل يملك مثل هذا السمو الالهي، ويستعمل تعبيرات تعلو على حق الانسان لأنهم قالوا "من هو هذا الذي يغفر خطايا ايضاً؟" هل تريدني ان اخبرك من هو هذا؟

انه هو الذي في حضن الله الآب، والمولود منه بالطبيعة، والذي به كان كل شيء، هو الذي يملك سلطاناً مطلقاً وتسجد له كل خليقة في السماء وعلى الأرض. وهو قد أخضع نفسه لحالتنا، وصار رئيس كهنتنا، لكيما يقدمنا الى الله طاهرين وانقياء اذ قد أبطل رائحة الخطية النتنة، وجعل نفسه فينا رائحة طيبة. لأنه كما يكتب بولس الحكيم جداً "نحن رائحة المسيح الزكية لله" (2كو 2 : 15). هذا هو الذي تكلم بصوت النبي حزقيال قائلاً "وأنا أكون لكم الهاً واخلصكم من كل نجاساتكم" (حز 36 : 28 و39). لذلك انظروا ان ما تحقق يتفق مع ما سبق ان وعد به بواسطة الانبياء القديسين. اعترفوا به انه الله وهو اللطيف جداً والمحب للبشر. امسكوا بطريق الخلاص، اهربوا من الناموس الذي يقتل، واقبلوا الايمان الذي هو فوق الناموس. لأنه مكتوب "الحرف يقتل" أي الناموس، "ولكن الروح يحيي" أي التطهير الروحي الذي في المسيح. الشيطان قد ربط سكان الأرض بقيود الخطية، والمسيح قد فك هذه الحبال، انه جعلنا أحراراً، وأبطل طغيان الخطية وطرد المشتكي الذي يشتكي على ضعفاتنا لكي يتم الكتاب "ان كل اثم يسد فاه" (مز 107 : 42)، لأن الله هو الذي يبرر "فمن هو الذي يدين؟" (رو 8 : 33).

وهذا صلى من اجله المرنم الالهي لكي يتحقق حينما خاطب المسيح مخلص الكل هكذا "لتبد الخطاة من الأرض والأشرار لا يكونون فيما بعد" (مز 104 : 35). فانه حقاً لا ينبغي ان يقول عن واحد لابس الروح انه يلعن من هم خطاة وضعفاء، فانه غير لائق بالقديسين ان يلعنوا أي أحد — بل بالحري هو يطلب هذا من الله. لأنه قبل مجيء المخلص كنا كلنا في الخطية، ولم يكن هناك من يعرف أنه هو الله بالحق وبالطبيعة. "لم يكن أحد يعمل صلاحاً ليس ولا واحد، بل الجميع زاغوا وفسدوا معاً" (رو 3 : 12). ولكن بسبب ان الابن الوحيد أخضع نفسه للاخلاء وتجسد وصار انساناً فقد تلاشى الخطاة، لم

يعد هناك خطاة لأن سكان الأرض قد تبرروا بالايمان، وقد غسلوا أدناس خطيتهم بالمعمودية المقدسة، وقد صاروا شركاء الروح القدس، وخرجوا من تحت يد العود. وبعد ان كانوا تحت سيطرة الشياطين صاروا يسكنون تحت نير المسيح.

لذلك فان عطايا المسيح ترفع الناس الى رجاء طال انتظاره والى فرح عظيم جداً. فالمرأة التي كانت مذنبة بنجاسات كثيرة وتستحق اللوم بسبب أعمال مشينة جداً، قد تبررت لكي يكون لنا نحن أيضاً ثقة ان المسيح سيرحمنا نحن ايضاً بالتأكيد، حينما يرانا مسرعين اليه وساعين ان نهرب من شراك الشر. دعونا نقف أمامه، دعونا نسكب دموع التوبة، هي بنا ندهنه بالطيب، لأن دموع الذي يتوب هي رائحة طيبة لله. اذكروا الذي قال "اصحوا ايها السكارى، وابكوا وولولوا يا جميع شاربي الخمر" (يوئيل 1 : 5) لأن الشيطان يسكر القلب ويثير العقل باللذات الشريرة ويحدر الناس الى نجاسات الشهوة. ولكن ما دام هناك وقت فلنستيقظ، وكما يقول بالحري لنعمل ما هو صالح، لأننا لسنا من ليل ولا من ظلمة، بل أبناء نور وأبناء نهار. (رو 13 : 13) (1تس 5 : 5). "لذلك فلنخلع أعمال الظلمة ونلبس أسلحة النور" (رو 13 : 12). لا تنزعج حينما تفكر في عظم خطاياك السابقة، بل بالحري أعلم ان نعمة الله التي تبرر الخاطئ وتفك الشرير هي أعظم.

إذن فالايمان بالمسيح هو عربون لنا لهذه البركات العظيمة لأنه هو الطريق الذي يقود للحياة ليصل بنا الى المنازل التي فوق، وهو الذي يرفعنا الى ميراث القديسين، والذي يجعلنا أعضاء ملكوت المسيح، الذي به ومعه لله الآب كل تسبيح وسلطان مع الروح القدس الى دهر الدهور.

الإصحاح الثامن

عظة (41)

مثل الزارع

لو 8 : 4-8 "فلما اجتمع جمع كثير ايضاً من الذين جاءوا اليه من كل مدينة قال بمثل خرج الزارع ليزرع زرعه. وفيما هو يزرع سقط بعض على الطريق فانداس وأكلته طيور السماء. وسقط آخر على الصخر فلما نبت جف لأنه لم تكن له رطوبة. وسقط آخر في وسط الشوك فنبت معه الشوك فنبت معه الشوك وخنقه. وسقط آخر في الأرض الصالحة فلما نبت صنع ثمراً مئة ضعف. قال هذا ونادى من له أذنان للسمع فليسمع".

قد تكلم الأنبياء المباركون الينا بطرق متنوعة عن المسيح مخلصنا جميعاً. لأن البعض بشروا به كالنور الذي كان مزمعاً أن يأتي، وآخرون بشروا بملوكيته وعظمته. لأن واحد منهم يقول: "طوبى لمن له زرع في صهيون وأقرباء في أورشليم، لأن ها ملكها البار سوف يملك وأمراؤها سوف يسودون بالحكم" (اش 31 : 9 سبعينية). "وذلك الانسان سيكون انساناً كلماته خفية" (اش 32 : 2 س). لأن كلمة المخلص كما لو كانت خفية. هكذا ايضاً المرنم المبارك قد أظهره أمامنا قائلاً: "سأفتح فمي بأمثال" (مز 78 : 2). لذلك انظروا ان ما تكلم به في القديم قد حدث. لأن جمعاً كثيراً من الناس من كل اليهودية قد اجتمع حوله، فتكلم اليهم بأمثال. ولكن لأنهم لم يكونوا مستحقين ان يعرفوا اسرار ملكوت السموات، فان الكلمة كانت بالنسبة لهم مغلفة بالظلام. فهم قد قتلوا الانبياء القديسين وهم مذنبون بدم كثير من الأبرار، ولذلك قيل لهم بوضوح. "أي الأنبياء لم يقتله آباؤكم" (أع 7 : 52). وايضاً "يا اورشليم يا اورشليم يا قاتلة الانبياء وراجمة المرسلين اليها. كم مرة أردت أن اجمع اولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها ولم تريدوا. هوذا بيتكم يترك لكم خراباً" (لو 13 : 34 و35). ولكن أعمالهم الشريرة لم تمتد فقط الى الأنبياء القديسين، بل تصاعدت حتى الى ذلك الذي هو رب الأنبياء، أي المسيح. ولكن اذ هم متغطرسون، وكما لو كانوا يرفعون في وجهه رقابهم المتكبرة، فانهم لم يعطوا أي اهتمام لواجب قبول الايمان به، بل قاوموا بخبث تعليمه الجهاري، ووبخوا أولئك الذين أرادوا ان يكونوا معه دائماً والذين كانوا يعطشون لتعليمه قائلين بعدم تقوى "ان به شيطان وهو يهذي، فلماذا تسمعون له" (يو 10 : 20)، لذلك لم يعط لهم ان يعرفوا أسرار ملكوت السموات، بل بالحري أعطى لنا نحن الذين أكثر استعداداً لقبول الايمان، بل بالحري قد اعطى لنا – كحكمة كاملة – القدرة على فهم "الأمثال والأقوال واللغز أقوال الحكماء وغوامضهم" (ام 1 : 6). لأن الأمثال يمكن ان تقول عنها أنها صور لا لأمور منظورة، بل بالحري لأمور روحية وتدرك بالعقل. لأن ذلك الذي لا يمكن ان يرى بعيون الجسد تشير اليه الأمثال بعيون

العقل. وهي تشكل الأمور العقلية بصورة جميلة بواسطة الصور الحسية، وبواسطة ما يمكن ان يلمس، لذلك دعونا نرى ما هي المنفعة التي تنسجها لنا كلمة المخلص.

يقول ان الزارع خرج ليزرع زرعه الى آخره. فعن من يتكلم هكذا؟ من الواضح انه يتكلم عن نفسه. لأنه هو بالحقيقة زارع كل ما هو صالح، ونحن حقله، ومنه وبواسطته يأتي كل حصاد الثمار الروحية. وهذا علمنا اياه حينما قال "بدوني لا تقدرون ان تفعلوا شيئاً" (يو 15 : 5).

لذلك فبالتصورات العقلية ارجو ان تنظروا زارعاً يمشي وحينما يلقي بذاراً في الحقول، البعض منها يسقط على الطرقات، والبعض على الصخور، والبعض على أماكن بها أشواك، والبعض الآخر على أرض جيدة أي على أرض خصبة. فذلك الذي على الطرقات اختطفته طيور السماء، والذي على الصخور بمجرد ان نبت جف بسرعة، وذلك الذي وسط الأشواك اختنق، وأما الذي سقط على الأرض الصالحة فانه نما واعطى ثمراً مئة ضعف كما يقول.

والآن ما هو الهدف من الحديث، وما هو التعليم العميق للمثل؟ اننا سوف نتعلم منه هو، الذي شرحه. وحتى التلاميذ المباركين قبلنا وجدوا هذه الأشياء صعبة الفهم. واقتربوا من معلن الأسرار متوسلين اليه "ما هو المثل؟" فماذا كان جواب المسيح؟ "الزرع هو كلام الله، والذين على الطريق هم الذين يسمعون ثم يأتي ابليس وينزع الكلمة من قلوبهم لكي لا يؤمنوا فيخلصوا" (لو 8 : 11 و12). ونرى ان السبب في ان الزرع الذي على الطريق يختطف هو جفاف الأرض. فأي طريق هو دائماً جاف وغير محروث وتدوسه الأقدام، لذلك فلا تدخل فيه أي بذار، بل تظل على السطح فتلتقطها الطيور وتأكلها. لذلك فكل أولئك الذين عقلهم جاف وعنيد، وكما لو كان مضغوطاً على نفسه، لا يقبلون الزرع الالهي، لأن الكلام الالهي المقدس لا يجد مدخلاً اليهم، ولا هم يقبلون الكلمات التي تنتج فيهم مخافة الله، والتي بواسطتها كانوا يستطيعون ان يأتوا بثمار أمجاد الفضيلة. لقد جعلوا انفسهم طريقاً مداساً للأرواح النجسة، نعم وللشيطان نفسه. فهؤلاء لا يستطيعون أن يأتوا بثمر مقدس. لذلك فأولئك الذين قلبهم عقيم وغير مثمر فليستيقظوا، ويفتحوا عقلهم ويقبلوا الرزع المقدس ويكونوا مثل الأرض المحروثة جيداً والمثمرة, ويأتوا بثمار لله ترفعهم الى حياة غير فاسدة وتحرس عقلهم وتغلق الباب أمام اللص، وتطرد من قلوبهم أسراب الطيور وذلك لكي يبقى الزرع ويمكث داخلهم ويكونوا مخصبين جداً وأغنياء بوفرة في إنتاج الثمر.

وبعد ذلك دعونا نتحدث عن أولئك الآخرين الذين قال عنهم المسيح: "والذين على الصخر هم الذين متى سمعوا يقبلون الكلمة بفرح، وهؤلاء ليس لهم أصل فيؤمنوا الى حين وفي وقت التجربة يرتدون" (لو 8 : 13). لأن هؤلاء بالحقيقة هم أناس ايمانهم لم يكن قد تثبت، ويعتمد على مجرد كلمات، ولا يركزون عقلهم في ادراك السر، مثل هؤلاء تقواهم جافة وبلا أصل.

لأنهم حينما يدخلون الكنائس فانهم يشعرون بسرور في أن يروا كثيرين مجتمعين ويقبلون التعليم

بفرح من ذلك الذي يعلمهم ويمدحونه كثيراً. ولكنهم يفعلون هذا بدون تمييز، بل بإرادة غير طاهرة، وحينما يخرجون من الكنائس فإنهم في الحال ينسون التعاليم المقدسة ويسيرون في سيرتهم التي تعودوا عليها، ولا يكونون قد اختزنوا داخلهم أي شيء لمنفعتهم المستقبلة، لأنه لو كانت أمور المسيحيين تمضي في سلام ولا تزعجهم تجارب فحينئذ بالكاد يثبت فيهم الايمان وعندئذ يكونون في حالة مشوشة متداعية. واذا وقع عليهم الاضطهاد وهاجم أعداء الحق كنائس المخلص، فان قلبهم لا يحب القتال، وعقلهم يلقي الترس، اذ انهم خالون من كل غيرة، ومقفرين من المحبة لله ومستعدين للفرار. ولكن يا أيها الخائفون والضعفاء، أقول لكم، لماذا تهربون مما سوف يكون هو مجدكم؟ وتهربون من النضالات التي قد تدربتهم عليها؟ فانه بهذا النضال يربح الراغبون جائزة النصر لأنفسهم. فصارعوا، واجدلوا اكليل الشجاعة، واعطشوا الى مكافآت المثابرة، والى كرامات الصبر.

وأظن أيضاً انه من الصواب ان أقدم الحديث الآتي:

أولئك الذين يلمعون فوق العروش العالية، ويحكمون الأمور الأرضية، متى ينظرون الجندي الثابت الذي يرغب في النصر الأكيد؟ هل يرونه في أوقات السلام وحينما يصمت ضجيج الأسلحة؟ أم هل يرونه بالحري حينما يذهب بشجاعة ضد أولئك الذين يرتبون صفوفهم للهجوم؟ كما أتصور انه يصدق هذا عن الحالة الأخيرة أكثر من الأولى لذلك كما قال ارميا النبي "أعدوا المجن والترس" (أر 46 : 3). وخاصة ان يد الله مخلصنا اليمنى لا تغلب في المعركة، وكما قال بولس الحكيم "انه لا يدع الناس يجربون فوق ما يستطيعون، بل سيجعل مع التجربة ايضاً المنفذ، ليستطيعوا ان يحتملوا" (انظر 1كو 10 : 13).

ولكن حتى ان كان نصيبنا ان نتألم حينما نناضل للدفاع عن التقوى في المسيح، وحينئذ نكون من كل جهة مستحقون للجسد، ونكون ممجدين وتكون لنا أمال عظيمة باهرة. وأكثر من ذلك فان موتاً ممدوحاً هو أفضل بما لا يقاس من حياة شائنة. لأجل هذا ايضاً قال المخلص للرسل القديسين "لا تخافوا من الذين يقتلون ولكنهم لا يستطيعون ان يقتلوا النفس. بل بالحري خافوا من الذي يستطيع ان يهلك النفس والجسد في جهنم" (انظر لو 12 : 4 و5). لذلك فهل هو يأمرنا ألا نبالي بهذه الأخطار الشديدة، بينما هو نفسه ظل بعيداً عن مثل هذه التجارب؟ ولكن عجباً انه قد وضع حياته من اجلنا، واشترى العالم بدمه. لذلك فنحن لسنا ملكاً لأنفسنا، بل له هو الذي اشترانا وافتدانا ونحن مدينون له بحياتنا. لأنه كما قال بولس الالهي "لأنه لهذا مات المسيح وقام وعاش لكي يكون رباً على الأحياء والأموات" (رو 14 : 9). لذلك ينبغي ان يكون لنا عقل لا يقبل التزعزع حتى حينما تأتي التجربة فاننا نظهر انفسنا مقبولين ونكون منتصرين بقوة الصبر، ونكون مستعدين ان نجوز الصراع بفرح وننتهز فرصة الآلام لأجل التقوى في المسيح.

وبعد هذا الشرح الكثير، فلنأت الى موضوع الأشواك التي تخنق الزرع الالهي. فماذا يقول المخلص

ايضاً؟ "والذي سقط وسط الشوك هم الذين يسمعون ثم يذهبون فيختنقون من هموم الحياة وغناها ولذاتها، ولا ينضجون ثمراً" (لو 8 : 14). لأن المخلص يلقي البذار، التي اذ تضرب بجذورها في النفوس التي تقبلها وتبتدئ ان تبرز الى فوق وتصير منظورة فانها تختنق بالهموم العالمية وتجف وتغطي عليها الانشغالات الفارغة كما قال النبي "زرع ليس له غلة لا يصنع دقيقاً" (هو 8 : 7). لذلك فاننا في هذه الأمور ينبغي ان نكون مثل الزراع المهرة: الذين ينقون الأرض من الأشواك بمثابرة ويرفعون من الأرض كل ما هو مؤذي، ثم يلقون البذار في حقول نقية، ولذلك يستطيع الواحد ان يقول بثقة أنهم بلا شك "يعودون بالفرح حاملين حزمهم" (مز 126 : 6). ولكن إن كان انسان يلقي بذاره في أرض مملوءة بالأشواك وكثيرة الحشائش ومغطاة بجذامة [16] بنفايات الحصاد فإنه يتعرض الى خسارة مزدوجة، فإنه يخسر بذاره الأولى، كما أنه يعاني تعباً كثيراً. لذلك فلكي تزهر البذرة الالهية جيداً فينا فلننزع أولاً من قلوبنا الاهتمامات العالمية والقلق غير النافع الذي يجعلنا نسعى ان نكون أغنياء، "لأننا لم ندخل العالم بشيء، ولا نقدر ان نخرج منه بشيء" (1 تيمو 6 : 7). لأنه أية منفعة من امتلاك الأشياء الزائدة؟ "كنوز الشر لا تنفع، أما البر فينجي من الموت" (أم 10 : 2). فانه حالما يتم امتلاك اشياء وفيرة وبزيادة فانه يجري فينا وكما لو كان تطوقنا أحط الشرور "ولائم بتبذير واسراف، وتلذذات البطن وأطعمة جيدة الإعداد بالتوابل، وموسيقى، وسكر، ومهاوي الدعارة، واللذات الشهوانية، والكبرياء المكروه من الله. وقد قال تلميذ المخلص "كل ما في العالم هو شهوة الجسد وشهوة العيون وتعظم العالم ...، والعالم يمضي وشهوته، أما الذي يصنع مشيئة الله فيثبت الى الأبد" (1 يو 2 : 16 و17). هذا هو الزرع الجيد، والجدير بالاعجاب: الأرض غنية ومثمرة جيداً وتأتي بثمار مئة. لأن الناس يقولون أن أحسن أنواع التربة تعطي أحياناً عند زراعتها مئة ضعف. حتى ان هذه هي علامة لكل بقعة خصبة منتجة. وعن هذا قال الله بحق بواسطة أحد الأنبياء القديسين "ويطوبكم كل الأمم لأنكم تكونون أرض مسرة" (ملا 3 : 12). فحينما تقع الكلمة الالهية على عقل نقي وماهر في تطهير نفسه من الاشياء المؤذية، فانها حينئذ تثبت جذورها في الأعماق وترتفع مثل سنابل القمح. واذ تكون أوراقها قوية ومزهرة حسناً فانها تأتي بثمرها كاملاً.

ولكني أظن أنه نافع أن اذكر هذا لكم ايضاً انتم الذين ترغبون ان تتعلموا ما هو صالح. لأن متى حينما قص هذا الفصل علينا، قال ان الأرض الجيدة اعطت ثماراً في ثلاث درجات. اذ يقول "فيصنع بعض مئة، وآخر ستين، وآخر ثلاثين. لذلك لاحظوا انه كما ذكر المسيح ثلاث درجات من الخسارة هكذا بالمثل درجات النجاح هي مساوية في العدد. لأن تلك البذار التي تسقط على الطريق تخطفها الطيور، وتلك التي علىالصخور بمجرد ان تبرز في خلال فترة صغيرة فانها تجف، وتلك التي بين الأشواك

---

(16) هي ما يبقى من الزرع بعد الحصاد.

تختنق. أما الأرض الجيدة فتعطي ثمراً في ثلاث درجات، كما قلت مئة، وستين، وثلاثين. لأنه كما يكتب بولس الحكيم جداً "كل واحد له موهبته الخاصة من الله الواحد هكذا والآخر هكذا" (1كو 7 : 7) لأننا لا نجد بالمرة ان نجاحات القديسين هي بمقياس متساوي. أما نحن فيلزمنا ان نتمثل بالأمور التي هي افضل وأعلى من تلك الأمور التي من نوع وضيع. فإنه هكذا سيسكب المسيح علينا السعادة بسخاء الذي به ومعه لله الآب التسبيح والسلطان مع الروح القدس الى دهر الدهور آمين.

عظة (42)

أمي واخوتي

لو 8 : 9–21 "وجاء اليه أمه واخوته. ولم يقدروا ان يصلوا اليه لسبب الجمع. وأخبروه قائلين أمك واخوتك واقفون خارجاً يريدون ان يروك. فأجاب وقال لهم، أمي واخوتي هم الذين يسمعون كلمة الله ويعملون بها".

دعونا مرة أخرى نقتبس كلمات التسبيح من كتاب المزامير: ما هو الذي نستطيع ان نقدمه له معادلاً لحبه لنا؟ هل سوف نختار لارشادنا أوامر الناموس ونكرمه بذبائح دموية؟ هل هو يشعر بالسرور في ذبح الثيران والغنم؟ بالتأكيد لا، لأنها ممقوتة عنده، لأنه يعلن بوضوح بواسطة أحد الأنبياء القديسين لأولئك الذين كانوا يقدمون له الخدمة الناموسية "بغضت كرهت اعيادكم ولست التذ باعتكافاتكم. لأنكم حتى اذا قدمتم لي محرقاتكم وتقدماتكم لا أقبلها. وذبائح السلامة من مسمناتكم لا التفت اليها" (عا 5 : 21 و22) لذلك ما هي الذبيحة الروحية التي ينبغي ان نقدمها له؟ ان المرنم الحكيم يعلمنا هنا ايضاً قائلاً "قلت الرب، انت ربي ولا تحتاج الى صلاحي" (مز 15 : 2 سبعينية). لذلك فحينما نقترب منه فسوف يقبلنا: ان كانت هذه هي التقدمة التي نقدمها اليه فسوف تكون غالية ومناسبة، هذه هي الذبيحة الروحية كما هو مكتوب "هل مسرة الرب بالمحرقات والذبائح كما باستماع صوت الرب؟ هوذا الاستماع افضل من الذبائح والاصغاء افضل من شحم الكباش" (1صم 15 : 22). لأن الطاعة والاستماع لله هما السبب في كل بركة. هذا ما يعلمنا اياه هذا الفصل. لأن البعض دخلوا وأخبروا المسيح بخصوص أمه القديسة واخوته. ويقول الانجيل انه أجاب بهذه الكلمات "أمي واخوتي هم الذين يسمعون كلمة الله ويعملون بها".

والآن فلا يتخيل احد ان المسيح يزدري بالكرامة الواجبة نحو امه. او انه يتجاهل باحتقار المحبة اللازمة او المحبة اللائقة لاخوته. فانه هو الذي نطق بالناموس بواسطة موسى وقال بوضوح "أكرم أباك وأمك لكي يكون لك خير على الأرض" (تث 5 : 16). وكيف يستطيع ان يرفض المحبة الواجبة. لاخوته وهو الذي اوصانا ان نحب ليس مجرد اخوتنا، بل اولئك الذين يقفون منا موقف الأعداء؟ لأنه يقول "احبوا اعداءكم" (مت 5 : 43). لذلك فما الذي يرغب المسيح ان يعلمه؟ انه يقصد ان يرفع محبته جداً من نحو اولئك الذين هم على استعداد ان يحنوا اعناقهم لوصاياه وسأشرح كيف ذلك. ان اعظم الكرامات وأكمل العواطف هي تلك التي ندين بها جميعاً لأمهاتنا واخوتنا. لذلك فان كان يقول ان الذين يسمعون كلمته ويعملون بها هم أمه وإخوته أفلا يكون واضحاً واحد أنه يمنح لأولئك الذي يتبعونه حباً شاملاً وجديراً بدعوتهم؟ لأنه بهذا سوف يجعلهم يعتنقون باستعداد الرغبة في تسليم انفسهم لكلماته، والرغبة في

اخضاع عقلهم لنيره، بواسطة طاعة كاملة. ولكن الله يؤكد بأحد أنبيائه القديسين انه يفرح فرحاً عظيماً جداً بأولئك الذين تخضع عقولهم له بالطاعة الكاملة. اذ يقول "والى هذا انظر الى المسكين والمنسحق الروح والمرتعد من كلامي" (اش 66 : 2). لأنه كما ان آباءنا حسب الجسد يسرون بأولئك الأبناء الذين يختارون ان يعملوا الاشياء التي هي جيده ومناسبة بالنسبة لهم (للآباء) والذين يرغبون ان يتفقوا معهم في الفكر، هكذا ايضاً اله الكل فانه يحب المطيعين ويتعطف برحمته على ذلك الذي يسمع اليه بانصات. والعكس ايضاً صحيح، انه يرفض الذي هو غير مطيع وغير خاضع. لأنه وبخ اليهود الذين سقطوا في الشر قائلاً "الابن يكرم أباه والعبد يكرم سيده، فان كنت أنا أباً فأين كرامتي وان كنت سيداً فأين هيبتي قال رب الجنود" (ملا 1 : 6). لأنه اما انه يجب ان نخاف رب الكل كسيد، أو على الأقل نكرمه كأب – وهذا الأمر الأخير هو أعظم بكثير وأفضل من الأمر الأول لأن المحبة تطرد الخوف.

لأنه لا توجد طاعة بدون مكافأة، ومن الجهة الأخرى لا يوجد عصيان بدون عقاب، وهذا يتضح مما قاله الله بواسطة نبيه المقدس لأولئك الذين يتجاهلون "هوذا الذين يخدمونني يأكلون وأنتم تجوعون. هوذا الذين يخدمونني يشربون وأنتم تعطشون. هوذا الذين يطيعونني يترنمون من طيبة القلب وأنتم تصرخون وتولولون من كآبة القلب" (اش 65 : 13 و14). فدعونا ان نرى حتى من كتابات موسى الحزن الذي أتى لنا به العصيان. لقد طردنا من فردوس الأفراح وسقطنا ايضاً تحت حكم الموت. وبينما كان الهدف من خلقتنا هو عدم الفساد – فانه هكذا خلق الله العالم – فاننا قد صرنا ملعونين ومستعبدين لنير الخطية. وكيف نجونا من ذلك الذي حل بنا، او من هو ذاك الذي اعاننا عندما غرقنا في هذا البؤس العظيم؟ انه كلمة الله الوحيد باخضاع نفسه لحالتنا وبوجوده في الهيئة كانسان وبطاعته للآب حتى الموت. هكذا قد محا ذنب العصيان الذي بواسطة آدم، هكذا ابطلت قوة اللعنة، وابيدت سيادة الموت. وهذا ما يعلمه بولس ايضاً قائلاً "لأنه كما بمعصية الانسان الواحد جعل الكثيرون خطاة، هكذا ايضاً بإطاعة الواحد سيجعل الكثيرين أبراراً" (رو 5 : 19). لأن طبيعة الانسان كلها صارت خاطئة في شخص الذي خلق أولاً، ولكنها الآن قد تبررت كلية من جديد في المسيح لأنه صار لنا بداية ثانية لجنسنا بعد تلك البداية الأولى، ولذلك فكل الأشياء قد صارت جديدة فيه. وبولس يؤكد هذا قائلاً "لذلك إن كان أحد في المسيح فهو خليقة جديدة، الأشياء العتيقة قد مضت، هوذا الكل قد صار جديداً" (2كو 5 : 17).

إذن فلكي يربحنا المسيح جميعاً الى الطاعة فهو يعدنا بكرامات فائقة، ويمنحنا أعظم حب قائلاً "امي واخوتي أولئك الذين يسمعون كلمة الله ويعملون بها". لأن من بين الناس يكون هكذا فظاً وغير لطيف حتى انه يرفض ان يكرم، ويعطي أكمل محبة لأمه واخوته. لأن ناموس الطبيعة، أقوى جداً حتى بدون ارادتنا، يضطرنا الى هذا. لذلك فحينما نحني رقابنا لوصايا المخلص، فنحن نصير تابعيه وهكذا نكون في علاقة أم واخوة بالنسبة له. فكيف اذن يعتبرنا أمام كرسي دينونة الله؟ اليس بلطف ومحبة. أي شك

يمكن ان يوجد في هذا. وأي شيء يمكن ان يقارن بهذه الكرامة وهذا الصلاح. وما هو الذي يكون جديراً ان يقارن بمثل هذه الموهبة الرائعة والمشتهاة؟ لأنه يأخذنا اليه، حتى حيث يكون هو نكون نحن أيضاً معه. لأنه منحنا هذا الوعد قائلاً، "أنا أمضي لأعد لكم مكاناً، وآتي ايضاً وآخذكم الى حتى حيث أكون أنا تكونون أنتم ايضاً معي" (يو 14 : 3).

لذلك فالطاعة والخضوع هما أمر جدير بالاقتناع، وهما عربون كرامة عظيمة. ونقول ان هذا يتحقق ليس بمجرد سماعنا لكلمات الله، بل بسعينا ان نمارس ما يوصي به. وهذا أنت تتعلمه مما يعلنه أحد الرسل القديسين بقوله "ولكن كونوا عاملين بالكلمة لا سامعين فقط .. لأنه أن كان أحد سامعاً للكلمة وليس عاملاً، فذاك يشبه رجلاً ناظراً وجه خلقته في مرآة. فانه نظر ذاته ومضى، وللوقت نسى ما هو. ولكن من اطلع على الناموس الكامل – ناموس الحرية وثبت وصار ليس سامعاً ناسياً بل عاملاً بالكلمة فهذا يكون مغبوطاً في عمله" (يع 1 : 22). والآن رغم ان المناقشة التي قدمت كافية لاقناع الناس الذين يفكرون باستقامة، مع ذلك سأضيف من أجل فائدتهم ما قيل بصواب بكلمات بولس المبارك "لأن أرضاً قد شربت المطر الآتي عليها مراراً كثيرة وأنتجت عشباً صالحاً للذين فلحت من أجلهم، تنال بركة من الله. ولكن ان اخرجت شوكاً وحسكاً، فهي مرفوضة وقريبة من اللعنة التي نهايتها للحريق" (عب 6 : 7 و8). لأن المخلص يسكب مثل مطر كلمات التعزية الروحية على قلوب الذين يسمعون، أعني تعليم الخلاص المقدس فالانسان الذي يملك الفهم سوف ينتج ثمار حصاد روحي وفير، ولكن ان كان مهملاً وغير مكترث فهو طبعاً ليس له أن ينتظر تمجيد الفضيلة وبدلاً من العنب سوف ينتج أشواكاً. وماذا تكون نهايته؟ هذه نعلمه من كلمات اشعياء الذي يقول "ان كرم رب الجنود هو رجال يهوذا، زرع جديد ومحبوب. وانتظرت ان يصنع عنباً، ولكنه أنتج شراً وليس براً، بل صراخ" (انظر اش 5 : 7). ونحن نعلم من كلمات اشعياء ان اسرائيل عوقب بسبب اهماله للاثمار الذي كان مناسباً لنفسه ومرضياً لله وهو لم يطع وصاياه ولا رضى ان يعملها. فيقول اشعياء "فالآن اعرفكم ماذا أصنع بكرمي. أنزع سياجه فيصير للرعي. أهدم جدرانه فيصير للدوس واجعله خراباً لا يقضب ولا ينقب فيطلع شوك وحسك. وأوصي الغيم ان لا يمطر. (اش 5 : 5 و6). لذلك فهو واضح لكل انسان ان الله لا يعتبر النفس الشريرة التي تنتج اشواكاً لأنها تترك بدون حماية، وبدون جدران ومعرضة لسلب كل من يريد وتكون مكاناً للصوص والحيوانات. ولا تنال أي تعزية روحية. وهذا ما اعتبره معنى انه لا يمطر عليها مطراً. حينما حدثت هذه الاشياء من اسرائيل فان المرنم كما لو كان يولول عليه وقال لاله الكل "الكرمة التي نقلتها من مصر طردت امما وغرستها" وأيضاً يكمل قائلاً "غطى الجبال ظلها واغصانها أرز الله، مدت قضبانها الى البحر والى النهر فروعها (مز 80 : 8 و10) ويتضرع لأجل ما عانوا منه قائلاً "فلماذا هدمت جدرانها فيقطفها كل عابري الطريق؟ يفسدها الخنزير من الوعر ويرعاها وحش البرية" (مز 80 : 12 و13). لأن النفس التي هي غير محروسة وتحسب

غير مستحقة للحماية من فوق تصير أرض مرعى للوحوش الشريرة. لأن الشيطان وملائكته ينهبونها.

لذلك فلكي لا نسقط في مثل هذه البلايا الصعبة دعونا نحني أعناق قلوبنا للمسيح مخلص الكل. دعونا نقبل كلمة الله ونعمل بها، لأننا إن اخترنا ان نفعل هكذا، فهو سوف يكللنا بكرامات سامية، لأنه موزع الاكليل، الذي به ومعه لله الآب التسبيح والسلطان مع الروح القدس الى دهر الدهور آمين.

عظة (43)

انتهار الريح

لو 8 : 22 – 25 "وفي أحد الأيام دخل سفينة هو وتلاميذه. فقال لهم لنعبر البحيرة. فأقلعوا. وفيما هم سائرون نام. فنزل نوء ريح في البحيرة. وكانوا يمتلئون ماء وصاروا في خطر، فتقدموا وأيقظوه قائلين يا معلم يا معلم اننا نهلك. فقام وانتهر الريح وتموج الماء فانتهيا وصار هدوء ثم قال لهم أين ايمانكم، فخافوا وتعجبوا قائلين فيما بينهم من هو هذا، فانه يأمر الريح ايضاً والماء فتطيعه".

تعالوا بنا مرة أخرى لكي ببوق المرنم نصرخ عالياً "نبارك الرب في كل وقت. في كل حين تسبحته في فمي" (مز 34 : 1). لأنه دائماً يصنع أموراً عجيبة. فرصاً كثيرة متقاربة تلي الواحدة الأخرى لأجل تسبيحه وكل كلام يقصر عن ان يبلغ الى قوته، والى جلاله المرتفع جداً فوق الكل. فبالحقيقة ان "مجد الرب يغطي على الكلام" (ام 25 : 2 سبعينية).

ولكن لا ينبغي ان ننسى المجد الواجب له واللائق به. بل بالحري ينبغي ان نسرع بفرح ونقدم مثل تلك الثمار كما يتناسب مع قوتها، لأنه بالتأكيد ليس هناك شيء يستطيع انسان ان يؤكد انه افضل من التسبيح، حتى لو كان الذي نستطيع ان نقدمه قليلاً. لذلك تعالوا فدعونا نسبح المسيح مخلص الكل، دعونا ننظر علو قدرته، وجلال سيادته الالهية.

لأنه كان يبحر مع الرسل القديسين عبر البحر أو بالحري بحيرة طبرية، فصارت عاصفة قوية غير متوقعة على السفينة، وارتفعت الأمواج عالياً بتأثير الرياح. وامتلأ التلاميذ من خوف الموت. لأنهم خافوا خوفاً ليس بقليل رغم معرفتهم بالسباحة وقيادة السفن. ولم تكن تنقصهم الدراية باضطرابات الأمواج ولكنه بسبب عظمة الخطر فإن خوفهم الآن صار غير محتمل، ولم يعد لهم رجاء آخر للأمام سوى ذاك الذي هو رب القوات – المسيح. فأيقظوه قائلين يا معلم يا معلم خلصنا فاننا نهلك. لأن الانجيلي يقول انه كان نائماً. وأظهر ان هذا قد حدث كما يبدو لي بهدف حكيم. لأنه ربما كما أتصور، يقول واحد لماذا ينام؟

وهذا نجيب عليه ان الحدث كان مرتباً ليكون جيداً ومفيداً، فربما كانوا لا يطلبون منه المساعدة في الحال حينما بدأت العاصفة تهز السفينة، بل كما لو كان حينما وصل الخطر الى قمته ومخاوف الموت صارت تزعج التلاميذ لكي تظهر قدرة سيادته الالهية أكثر في تهدئة البحر الهائج وانتهار ثورات الريح وتغيير العاصفة الى هدوء. ولكي تصير الحادثة هكذا وسيلة لتقدم التلاميذ الذين كانوا يبحرون معه، لذلك قصد ان ينام. ولكنهم كما قلت أيقظوه قائلين خلصنا فإننا نهلك، أنظروا هنا ارجوكم ايمان قليل متحد

بايمان، لأنهم يؤمنون انه يستطيع ان يخلص وينقذ من كل شر أولئك الذين يدعونه. لأنه لو لم يكن لهم ايمان راسخ به فانهم بالتأكيد لما سألوا منه هذا. ومع ذلك إذ لهم ايمان قليل فانهم يقولون خلصنا فاننا نهلك لأنه لم يكن أمراً ممكناً أو أمر يمكن ان يحدث لهم ان يهلكوا حينما يكونون مع ذلك الذي هو قادر على كل شيء.

ثم كانت السفينة تهتز بشدة من عنف العاصفة وتكسر الأمواج وكان ايمان التلاميذ ايضاً يهتز مع السفينة كما لو كان بارتجاجات مماثلة.

ولكن المسيح الذي يمتد سلطانه على كل شيء قام حالاً، ومرة واحدة هدأ العاصفة ولجم ثورات الريح، وهدأ خوف التلاميذ وبذلك بالحري برهن بأعماله انه هو الله، الذي ترتعد وترتجف أمامه كل المخلوقات والذي تخضع طبيعة العناصر نفسها لايماءاته، لأنه انتهر الريح. ويقول معلمنا مرقس ان الطريقة التي تم بها الانتهار كانت بسلطان الهي. لأنه يخبرنا ان ربنا قال للبحر "اسكت ابكم" (مر 4 : 39). فماذا يمكن ان يكون أعظم من ذلك في الجلال؟ أو ما الذي يمكن ان يساوي سموه؟ فالكلام جدير بالله وكذلك قوة الأمر الذي أصدره، حتى اننا يمكن ان ننطق التسبيح المكتوب في المزامير "أنت متسلط على كبرياء البحر، عند ارتفاع لججه انت تسكتها" (مز 89 : 9) وهو نفسه ايضاً يقول في موضع ما بواسطة أحد الأنبياء القديسين "لماذا لا تخشون يقول الرب؟ أولاً ترتعدون من وجهي؟ أنا الذي وضعت الرمل تخوماً للبحر، فريضة أبدية لا يتعداها" (ار 5 : 22). لأن البحر خاضع لإرادة ذلك الذي خلق كل الخليقة، وهو، كما لو كان موضوعاً تحت قدمي الخالق، ويغير تحركاته في كل الأوقات حسب مسرته الصالحة، مقدماً الخضوع لإرادته الربانية.

لذلك حينما هدأ المسيح العاصفة فهو أيضاً حول ايمان التلاميذ القديسين الى الثقة — هذا الايمان الذي كان قد اهتز مع السفينة، لم يعد المسيح يسوع يسمح له ان يكون فيه شك. وأعطى في داخلهم كما لو كان هدوءاً مسكتاً أمواج ايمانهم الضعيف. لأنه قال "أين ايمانكم". ويؤكد انجيلي آخر عنه انه قال "ما بالكم خائفين يا قليلي الايمان" (مت 8 : 26). لأنه حينما يحل الخوف من الموت بدون توقع، فانه يزعج احيانا حتى العقل المؤسس جيداً ويعرضه الى لوم قلة الايمان. ويحدث مثل هذا التأثير ايضاً من أي اضطراب آخر يفوق احتمال أولئك الذين يجربون به. لأجل هذا السبب اقترب البعض مرة من المسيح وقالوا "زد ايماننا" (لو 17 : 5). لأن الانسان الذي لا يزال معرضاً للوم لأجل قلة الايمان هو ناقص جداً عن ذاك الذي هو كامل في الايمان. لأنه كما ان الذهب يمتحن في النار هكذا ايضاً يمتحن الايمان بالتجارب، ولكن عقل الانسان ضعيف وهو يحتاج الى القوة والمعرفة من فوق لكي يكون في حالة حسنة ولكي يستطيع ان يتخذ موقفاً راسخاً، ويكون قوياً، ويحتمل برجولة كل ما يحل به.

وهذا ما علمنا اياه المخلص قائلاً "بدوني لا تقدرون ان تفعلوا شيئاً" (يو 15 : 5).

ويعترف بولس الحكيم بنفس الأمر حيث يكتب "استطيع كل شيء في المسيح الذي يقويني" (في 4 : 14).

لذلك فالمخلص أجرى معجزات محولاً بسلطانه الكامل العاصفة الى هدوء، ومهدئاً الريح اثائرة الى سلام مستقر .. ولكن التلاميذ اذ اندهشوا من الآية الالهية تهامسوا الواحد مع الآخر قائلين "من هو هذا فانه يأمر حتى الريح والماء فتطيعه؟" فهل التلاميذ المباركين اذن يقولون الواحد للآخر، "من هو هذا" بسبب انهم لا يعرفونه، ولكن ألا يكون هذا أمراً غير معقول بالمرة؟ لأنهم عرفوا ان يسوع هو الله، وهو ابن الله لأن نثنائيل ايضاً اعترف بوضوح "يا معلم انت ابن الله، انت ملك اسرائيل" (يو 1 : 49). وبطرس ايضاً، ذلك المزكى من بين كل الرسل، حينما كانوا في قيصرية فيلبس وسألهم المسيح جميعاً قائلاً "من يقول الناس اني انا ابن الانسان؟" (مت 16 : 13). فالبعض أجابوا: "قوم يقولون ايليا وآخرون ارميا أو واحد من الأنبياء". حينئذ قدم بطرس اعترافاً بالايمان صحيحاً وبلا لوم قائلاً "أنت هو المسيح ابن الله الحي" (مت 16 : 16). والمسيح مدح لأنه تكلم هكذا، وكرمه بأكاليل، وحسب التلميذ مستحقاً لكرامات فائقة، لأنه قال له "طوبى لك يا سمعان بن يونا، لأن لحماً ودماً لم يعلن لك لكن أبي الذي في السموات" (مت 16 : 17) فكيف يستطيع بطرس وهو قد تعلم من الله ألا يعرف ذلك الذي قال عنه بوضوح انه ابن الله الحي؟ فلم يكن التلاميذ إذن بسبب جهلهم بمجده قد قالوا "من هو هذا؟ بل بالحري من اندهاشهم من عظمة قوته، ومن سمو عظمة سيادته التي لا تقارن. لأن اليهود التعساء، إما بسبب جهلهم التام بسر المسيح، واما بسبب عدم إطاعة أي اعتبار لشرهم العظيم، وبخوه وألقوا عليه حجارة حينما قال ان الله أباه. لأنهم تجاسروا حتى ان يقولوا "لماذا وأنت إنسان تجعل نفسك الهاً؟" (يو 10 : 33). لأنهم لم يدركوا في ذهنهم عمق السر ان الله كان في شكل منظور مثلنا، ورب الكل أخذ شكل العبد، والذي هو مرتفع جداً كان في حالة التواضع، والذي يفوق كل ادراك عقلي ويعلو على كل المخلوقات كان مثلنا نحن البشر. واذ عرف التلاميذ هذا اندهشوا من مجد لاهوته، واذ ادركوا اللاهوت حاضراً في المسيح، ومع ذلك رأوا انه كان مثلنا، ومنظوراً في الجسد، فانهم يقولون "من هو هذا"؟ بدلاً من ان يقولوا ما أعظمه! وما هي طبيعته!، وبأي قوة عظيمة وسلطان، وجلال، يأمر حتى المياه والريح فتطيعه؟ ويوجد ايضاً كثير يستدعي الاعجاب لأولئك الذين يسمعونه، لأن الخليقة تطيع كل ما يأمر به المسيح. وأي عذر يمكن ان ينفعنا، اذا لم نخضع نحن ايضاً لنفعل نفس الأمر؟ أو من يستطيع ان ينقذ من النار أو الدينونة ذلك الذي يعصى ويتقسى واضعاً كما لو كان عنق عقله المتعالي ضد أوامر المسيح، والذي قلبه من غير الممكن ان يلين؟ لذلك فمن واجبنا — ونحن نفهم ان كل تلك الاشياء أوجدها الله تتوافق تماماً مع مشيئته او ارادته — ان نصير نحن مثل بقية الخليقة ونتحاشى العصيان كأمر يقود الى الهلاك. اذن فلنخضع بالحري لذلك الذي يدعونا للخلاص، وللرغبة في الحياة باستقامة ولياقة أي أن نحيا انجيليا، فانه بهذا سوف يملؤنا المسيح

بالمواهب التي تأتي من فوق ومن ذاته، والذي به ومعه لله الآب التسبيح والسلطان مع الروح القدس الى دهر الدهور آمين.

عظة (44)

اخراج لجئون من إنسان مجنون

لو 8 : 26–36 "وساروا الى كورة الجدريين التي هي مقابل الجليل ولما خرج الى الأرض استقبله رجل من المدينة كان فيه شياطين منذ زمان طويل. وكان لا يلبس ثوباً ولا يقيم في بيت بل في القبور. فلما رأى يسوع صرخ وخر له وقال بصوت عظيم مالي ولك يا يسوع ابن الله العلي. أطلب منك ان لا تعذبني. لأنه أمر الروح النجس أن يخرج من الانسان. لأنه منذ زمان كثير كان يخطفه. وقد ربط بسلاسل وقيود محروساً. فكان يقطع الربط ويساق من الشيطان الى البراري. فسأله يسوع قائلاً ما اسمك؟ فقال لجئون لأن شياطين كثيرين دخلت فيه. وطلب اليه ان لا يأمرهم بالذهاب الى الهاوية. وكان هناك قطيع خنازير كثيرة ترعى في الجبل. فطلبوا اليه أن يأذن لهم بالدخول فيها. فأذن لهم. فخرجت الشياطين من الانسان ودخلت الخنازير. فاندفع القطيع الى البحيرة واختنق. فلما رأى الرعاة ما كان هربوا وذهبوا واخبروا في المدينة وفي الضياع. فخرجوا ليروا ما جرى. وجاءوا الى يسوع فوجدوا الانسان الذي كانت الشياطين قد خرجت منه لابساً وعاقلاً وجالساً عند قدمي يسوع. فخافوا. فأخبرهم ايضاً الذين رأوا كيف خلص المجنون".

حبقوق النبي سبق فرأى مجد المخلص واذ انغلب من أعماله العجيبة، قدم له تسابيح قائلاً "يارب قد سمعت خبرك فجزعت، قد رأيت أعمالك فاندهشت" (حب 3 : 2 سبعينية). لأنه أي عمل من الأعمال التي أجراها مخلصنا جميعاً المسيح، يستطيع أي واحد ان يقول انها ليست جديرة بكل اعجاب؟ فأي منها ليس عظيماً وعالياً جداً ويستحق المديح وبرهان على سلطانه الالهي؟ وهذا يمكن ان نراه بوضوح شديد فيما قد قرئ علينا الآن من الانجيل. فلنلاحظ اذن كيف ان طغيان العدو قد هزه المسيح، والأرض تحررت من شر الشياطين، فلننظر رؤوس الحية وقد جرحها الرب، وسرب الزحافات السامة مطرودة ومغلوبة في فزع، وأولئك الذين في الزمن القديم كانوا مملوئين من المكر والتهور، الذين أخضعوا لسلطانهم كل الذين تحت السماء وتسلطوا على هياكلهم الغالية الثمن وعلى مذابحهم المزينة والذين كانوا يكرمون بالذبائح ويتوجون بمدائح شاملة، قد سقطوا الآن من مجدهم السابق، واذ لم يعد لهم سلطان ولا على انسان واحد، فانهم يتوسلون لأجل قطيع خنازير! انه برهان واضح جداً على البؤس غير المتوقع الذي حل فيهم وبرهان على انهم قد كسروا تماماً.

ولكني الاحظ انني قد قفزت قفزة في حديثي مما بدأنا به، وأسرعنا الى آخر الدرس مباشرة. لذلك تعالوا لكي نعود الى البداية. لأن المخلص جاء بصحبة تلاميذه الى كورة الجدريين وفي الحال قابلهم انسان تسكنه أرواح نجسة كثيرة، وكان خالياً من العقل والفهم، ولا يختلف في أي شيء عن اولئك الذين ماتوا

ودفنوا في الأرض. أو بالحري ربما كان في حالة أكثر بؤساً. لأن الموتى يلفون بعناية بالأكفان ويوضعون في الأرض مثل من يوضع في حضن أمه أما ذلك الانسان ففي بؤس عظيم وعري كان يجول بين الموتى. وكان في تعاسة كاملة يعيش حياة مهينة حقيرة وهكذا كان برهاناً على قساوة الشياطين ودليلاً واضحاً على نجاستهم. والى جانب ذلك فكان هذا تهمة ضدهم على كراهيتهم للجنس البشري، لأنهم لا يريدون لأي انسان على الأرض ان يكون متزناً، بل يرغبون ان يكون الجميع كسكارى ومجانين، وان لا يعرفوا شيئاً لفائدتهم، بل يتركوا في جهل حتى بذلك الذي هو صانع الكل. لأن أي انسان يمتلكونه ويخضعونه لسلطانهم، فانهم في الحال يجعلونه مثالاً لبؤس عظيم، محروماً من كل بركة ومقفراً من كل تعقل ومعدماً كلية حتى من العقل كلية حتى من العقل نفسه.

ويسأل البعض قائلين لماذا تملك الشياطين على الناس؟ ولشرح هذا الأمر أجيب ان سبب هذه الأمور عميق جداً ففي مكان ما يخاطب أحد القديسين الله قائلاً "أحكامك لجة عظيمة" (مز 36 : 6) ولكن طالما اننا نضع هذا في أذهاننا فاننا سوف لا نحيد بعيداً عن العلامة الصحيحة. اذن فإله الكل يسمح للبعض ان يسقطوا تحت قوة الشيطان، ليس بقصد ان يعانوا، بل لكي ما نتعلم بمثالهم بأي طريقة تعاملنا الشياطين. وهكذا نتحاشى أي رغبة في أن نكون خاضعين لهم لأنه بآلام واحد يبني كثيرون.

ولكن انسان الجدريين، أو بالحري سرب الشياطين المختفي داخله خر أمام قدمي المسيح قائلاً "مالي ولك يا يسوع ابن الله العلي؟ أتوسل اليك أن لا تعذبني" هنا أرجو ان تلاحظوا مزيجاً من الخوف مع الوقاحة العظيمة والكبرياء المفرطة. والكلمات التي يجبر على ان ينطق بها هي ممتزجة بتعالي وانتفاخ. لأن هذا هو برهان على كبرياء العدو، أنه يتجاسر ويقول "مالي ولك يا يسوع ابن الله العلي؟" فأنت تعلم بالتأكيد انه ابن الله العلي، لذلك فأنت تعترف أنه ايضاً الله رب السماء والأرض وكل الأشياء التي فيها. فكيف اذن تغتصب ما ليس لك أو بالحري ما هو له، وتنسب لنفسك مجداً ليس هو من حقك؟ – لأنك تطلب ان تكون معبوداً – قائلاً "مالي ولك؟". وهو الذي تحاول أنت ان تطرده من تلك الكرامة التي تليق به وحده. ان كل الناس على الأرض هم ملك له وأنت بشر فظيع تفسدهم، وتبعدهم بعيداً عن معرفته هو بالحقيقة الرب وخالق الكل، وتغرقهم في وحل الخطية جاعلاً اياهم عابدين لك – وبعد ذلك تقول مالي ولك؟ أي ملك ارضي يحتمل ان الذين تحت حكمه يداسون بواسطة البرابرة؟ او أي راع هو بلا شعور وعدم مبالاة حتى حينما تهجم الوحوش الضارية على قطعانه لا يهتم بالكارثة ويحاول ان يساعد خرافه؟ اعترف اذن حتى رغم ارادتك من انت ولمن انت تتكلم وانطق بكلمات تناسبك مثل "ارجوك الا تعذبني" "لأنه أمر – أي يسوع – الروح النجس ان يخرج من الانسان".

وأرجو ان تلاحظوا ايضاً الجلال الذي لا يقارن في ذلك الذي يفوق الكل، أي المسيح. فبقدرة لا تقاوم وسلطان ليس له مثيل يسحق الشيطان بمجرد ان يريد ان يكون الأمر كذلك. وهو لا يسمح له ان

يحاول ان يعطي نظرة معارضة لأوامره. إن إرادة المسيح كانت ناراً ولهباً بالنسبة له، حتى انه يصدق قول المرنم المبارك "ان الجبال تذوب مثل الشمع أمام وجه الرب" (مز 97 : 5). وايضاً في مكان آخر يقول "يمس الجبال فتدخن) (مز 104 : 32) لأنه يقارن قوات الشر العالية والمنتفخة بالجبال. وهذه القوات رغم اتصالها بالنار تذوب مثل الشمع أمام قدرة وسيادة مخلصنا. والى جانب ذلك يدخنون، والدخان يشير الى نار على وشك ان تنفجر الى لهيب، وهذا هو النصيب الذي تعانيه الأرواح النجسة.

ولكن المسيح سأله وأمره ان يقول ما هو اسمه؟ فقال لجئون لأن شياطين كثيرة دخلت فيه. فهل سأله لأنه لم يكن يعرف، ومثل واحد منا، رغب ان يعلم اسمه كشيء يجهله؟ ولكن كيف لا يكون هذا هراء كاملاً ان نقول او نتخيل أي شيء من هذا النوع؟ لأنه اذ هو الله "هو يعرف كل الاشياء، ويفحص القلوب والكلى" (انظر مز 7 : 9). لذلك فهو قد سأل لأجل خطة الخلاص لكي نعلم ان عدداً كبيراً من الشياطين تملكت على نفس ذلك الانسان، وولدت فيه جنوناً رهيباً ونجساً. لأنه كان هو مجال عملهم، وهم حقاً كما يقول الكتاب "حكماء في عمل الشر ولعمل الصالح ما يفهمون" (ار 4 : 22).

لذلك كما يقول المرنم "فلنعيد بالزهور" (مز 117 : 27 سبعينية). وايضاً "يا جميع الأمم صفقوا بالأيادي" (مز 47 : 1) فلنضع في ذهننا ما هي صفة أعدائنا؟ ومن هم اولئك الرؤساء على كل الذين تحت السماء قبل مجيء مخلصنا، انهم كانوا مملوئين مرارة ونجسين، وقتلة ومملوئين من كل شر. ولكن المسيح يحررنا من كراهية هذه الكائنات المؤذية. لذلك فلنصيح بتهليل وفرح وبابتهاج عظيم "لنقطع قيودهم ولنطرح عنا نيرهم" (مز 2 : 3). لأننا قد اطلقنا احراراً بقدرة المسيح وانقذنا من تلك الكائنات المرة الأثيمة الذين في الزمن القديم كان لهم سلطان علينا.

اذن فسرب الأرواح النجسة طلبوا سرباً من الخنازير جدير بهم ومماثل لهم! والمسيح اعطاهم الاذن رغم انه عرف جيداً ماذا سيفعلون. واستطيع ان اتخيل واحداً يسأل: لماذا منحهم ما طلبوه؟ فنجيبه، انه اعطاهم القوة لكي مثل كل أعماله الأخرى يكون ذلك واسطة لمنفعتنا ويلهمنا برجاء الأمان. ولكن ربما ستقول كيف وبأي طريقة؟ انصت اذن. انهم يسألون ان ينالوا قوة على الخنازير وهذا يوضح انه لم تكن لهم هذه القوة. لا يوجد شك انه لو كانت لهم هذه القوة لما طلبوها ان كان في سلطانهم ان يأخذوها بدون مانع. ولكن اولئك الذين ليس لهم قوة على الاشياء التافهة والتي بلا قيمة، كيف يستطيعون ان يؤذوا أي واحد من الذين ختمهم المسيح، والذين يضعون رجاءهم فيه؟ لذلك فليتعزى قلبك ويستريح لأنك ربما فزعت عندما سمعت ان جمعاً من الأرواح الشريرة سكن في انسان واحد وجعله يتجول بين قبور الأموات في خزي وعري ومحروماً من العقل والفهم واذ انك انسان معرض للتجارب فانك تخشى تعاسة مرة هكذا وغير محتملة لو هاجمك الشيطان، لذلك انهض قلبك الى الثقة، ولا تفترض ان أي شيء من هذا يمكن ان يحدث بينما لاسيح يحوطنا بالحماية والحب. بالتأكيد انهم لا يملكون قوة حتى على الخنازير. عظيمة جداً

هي العناية التي ينعم بها – المعتني القدير بأمورنا – على جنس البشر، لأنه قال للرسل القديسين "أليس عصفوران يباعان بفلس وواحد منهما لا يسقط على الأرض بدون ابيكم واما انتم فحتى شعور رؤوسكم جميعاً محصاة. فلا تخافوا انتم افضل من عصافير كثيرة" (مت 10 : 29 و30). لأنه ان كان يمنح حمايته للاشياء التافهة والتي بلا قيمة فكيف لا يحسبنا مستحقين لكل اعتبار نحن الذين من أجلنا تأنس ذلك الذي هو بالطبيعة الله، واحتمل الإزدراء من اليهود؟ لذلك اطردوا كل خوف، لأن الله يساعد، ويحيط بسلاح مسرته الصالحة اولئك الذين يرغبون ان يعيشوا له، والذين يسعون ان يمارسوا تلك الاشياء المرضية في نظره.

وهذا ايضاً نتعلمه مما حل بقطيع الخنازير، ان الشياطين الاشرار هم قساة ومسببون للأذى ومؤلمون وغادرون بأولئك الذين يقعون تحت سلطانهم. وهذا ما يثبته الواقع بوضوح، انهم دفعوا الخنازير من على الجرف وأغرقوهم في المياه. لذلك فالمسيح اعطاهم ما طلبوا، لكي ما نعلم مما حدث ان اتجاههم قاسي ووحشي وغير قابل لأن يلينوا، ويقصدون فقط ان يفعلوا الشر بأولئك الذي يستطيعون ان يأخذوا قوة عليهم.

لذلك فان كان واحد بيننا شهواني وخنزيري ومحب للقذارة ونجس، وملوث بارادته بالخطية الكريهة، مثل هذا الانسان يسقط باذن من الله تحت سلطانهم ويغرق في هاوية الهلاك. ولكن لا يمكن ان يحدث لأولئك الذين يحبون المسيح ان يصيروا خاضعين لهم. ولا يمكن ان يحدث لنا طالما اننا نسير في اثر خطواته ونتحاشى الاهمال في ممارسة ما هو مستقيم ونرغب في تلك الأشياء التي هي كريمة والتي تختص بالسيرة الفاضلة الجديرة بالثناء، التي علمنا اياها المسيح بتعاليم الانجيل، الذي به ومعه، لله الآب التسبيح والسلطان مع الروح القدس الى دهر الدهور آمين.

عظة (45)

ابنة يايرس – وشفاء نازفة الدم

لو 8 : 40–48 "ولما رجع يسوع قبله الجمع لأنهم كانوا جميعهم ينتظرونه. واذا رجل اسمه يايرس قد جاء. وكان رئيس المجمع. فوقع عند قدمي يسوع وطلب اليه ان يدخل بيته. لأنه كان له بنت وحيدة لها نحو اثنتي عشرة سنة وكانت في حال الموت. ففيما هو منطلق زحمته الجموع.

وامرأة بنزف دم منذ اثنتي عشرة سنة وقد انفقت كل معيشتها للأطباء ولم تقدر ان تشفى من أحد، جاءت من ورائه ولمست هدب ثوبه. ففي الحال وقف نزف دمها. فقال يسوع من الذي لمسني؟ واذ كان الجميع ينكرون قال بطرس والذين معه يا معلم الجموع يضيقون عليك ويزحموك وتقول من الذي لمسني. فقال يسوع قد لمسني واحد لأني علمت ان قوة خرجت مني. فلما رأت المرأة انها لم تختف جاءت مرتعدة وخرت له واخبرته قدام جميع الشعب لأي سبب لمسته وكيف برئت في الحال. فقال لها ثقي يا ابنة ايمانك قد خلصك. اذهبي بسلام".

اولئك الذين هم ماهرون في شرح سر تدبير الابن الوحيد في الجسد، واولئك الذين استنارت عقولهم بالنور الالهي، يوصيهم الروح قائلاً "حدثوا بين الأمم بمجده، وبين جميع الشعوب بعجائبه" (مز 96 : 3) فهل يأمر الروح اذن ان يعلنوا مجد مخلصنا جميعاً المسيح بين جماهير الأمم، والى سكان العالم كله، لأنه ليس بأي سبب آخر غير ذلك يمكن ان يكون موضع الاعجاب او لكي ما يؤمن به ايضاً جميع الناس. اني اؤكد حقيقة انه لكي ما يكون هو موضع الاعجاب وايضاً لكي ما نؤمن ان كلمة الله الآب هو الله نفسه، حتى رغم انه كما يقول يوحنا، قد صار جسداً" (يو 1 : 14) لأنه ايضاً في موضع آخر يعلن لليهود "ان كنت لست أعمال أعمال ابي فلا تؤمنوا بي، ولكن ان كنت أعمل فان لم تؤمنوا بي فآموا بالأعمال" (يو 10 : 37 و38).

هيا بنا مرة أخرى نراه وهو يفيد الجموع بالمعجزات التي صنعها لأجل خيرهم. لأنه كان هناك رئيس ومعلم لمجمع اليهود اسمه يايرس كما يعلن لنا الانجيل هنا. هذا وقع عند قدمي المسيح مخلصنا جميعاً ليسأل لأجل إبطال الموت وملاشاة الفساد. لأن ابنته كانت على أبواب القبر. فتعالوا ودعونا نسأل يايرس ليخبرنا في أي شوء هو ينظر الى ذاك الذي يقدم اليه توسله؟ لأنك ان اقتربت منه معتبراً اياه مجرد انسان، او مثل واحد منا أي كواحد لا يملك أية قوة أعلى من ذواتنا، فانك تخطئ، وتكون قد ضللت عن الطريق الصحيح بطلبك من انسان ما يستلزم قوة الله. أن الطبيعة العالية وحدها تستطيع ان تعطي حياة للموتى. هي وحدها لها عدم الموت. لأن كل شيء يأتي الى الوجود يأخذ حياته وحركته منها. لذلك اطلب من الناس الأشياء التي تخص الناس واطلب من الله الأشياء التي تخص الله.

وبالاضافة الى ذلك انت تعبده كالإله القدير، وانت تفعل ذلك عارفاً بالتأكيد وشاهداً انه يستطيع ان يعطيك اجابة طلباتك. لذلك فأي كلام يكفي للدفاع عنك ايها الذي ترجم المسيح مخلص الكل وتضطهده انت والباقين؟ وبغباوة شديدة وعدم تقوى تقولون "لسنا نرجمك لأجل عمل حسن، بل لأجل تجديف. لأنك وأنت إنسان تجعل نفسك الهاً" (يو 10 : 33).

ولا يجب ان نتعجب من هذه المعجزة فقط، بل من الآتية ايضاً. لأن لعازر قام بالحقيقة من الموت بدعوة المسيح له، الذي جعله يخرج من القبر حينما قد كان له أربعة أيام فيه. والفساد كان قد بدأ في جسده. وأولئك الذين كانوا مشاهدين للمعجزة اندهشوا من جلال الفعل. أما رؤساء مجمع اليهود فقط جعلوا من نفس المعجزة طعاماً للحسد. وهذا العمل العظيم الرابع اختزنوه في ذاكرتهم كبذرة تنمو منها معصية القتل. لأنهم حينما اجتمعوا تشاوروا مع بعضهم ليس لأجل عمل مشروع، بل بالحري لأجل عمل قد أتى عليهم بالهلاك النهائي، لأنهم قالوا "ماذا تصنع؟ فان هذا الانسان يعمل آيات كثيرة. ان تركناه هكذا يؤمن الجميع به فيأتي الرومانيون ويأخذون موضعنا وأمتنا" (يو 11 : 47 و48). فماذا تقول اذن لهذا؟ أنت رأيت الموت يتلاشى في حالة لعازر، الموت الذي كان دائماً ولكل واحد سابقاً، كان قاسياً وغير خاضع. أنت رأيت الهلاك يفقد سلطانه، الذي لم يهرب منه أي واحد على الأرض. فكيف اذن تتخيل انك تستطيع ان تجعله خاضعاً للموت، ذلك الذي هو فوق الموت، وهو الذي يطرح الهلاك، وهو معطي الحياة؟ كيف يستطيع ذلك الذي أنقذ آخرين من مخالب الموت ان يعاني هو نفسه منه ان لم يرد هو ذلك لكي يتمم خطة الخلاص. لذلك فالقول المختص بهم هو حقيقي "أنهم بنون جاهلون وهم غير فاهمين" (ار 4 : 22).

ولكن مصير الصبية لم يكن بدون نفع لأبيها لأنه كما يحدث أحياناً ان شدة الأعنة ترجع الجواد المسرع الذي خرج عن الطريق وتعيده الى الطريق الصحيح، هكذا ايضاً فان الاضطراب كثيراً ما يضطر نفس الانسان ان تخضع لتلك الاشياء التي هي لخيرها ونجد داود المبارك يخاطب الله عن هذا ايضاً فيما يخص اولئك الناس الذين لا يريدون بعد ان يسلكوا باستقامة بل وكانوا منقادين بانفعالات عقولهم المضطربة الى هوة الهلاك فيقول: "بلجام وزمام انت تضبط فك اولئك البعيدين عنك (مز 31 : 9 سبعينية). لأن قوة الظروف تأتي بالناس كما قلت، حتى ضد ارادتهم الى ضرورة احناء عنقهم لله كما يمكن ان نرى واضحاً بطريق غير مباشر في امثال الانجيل. لأن المسيح قال في موضع ما انه حينما كانت الوليمة مستعدة أرسل عبداً ليدعو المدعوين الى العشاء ويجمع اولئك الذين دعوا، ولكنهم بواسطة أعذار زائفة متنوعة لم يأتوا. حينئذ يقول الانجيل ان الرب تكلم الى العبد قائلاً "اخرج الى الطريق والسياجات والزمهم بالدخول حتى يمتلئ بيتي" (لو 14 : 23) فما هو اذن معنى دعوة الناس من السياجات – وذلك كما لو كان بالقوة – ان لم يكن هو المعنى المشار اليه هنا؟ (أي بواسطة الضيقات) فان الكوارث التي تفوق

الاحتمال تؤدي بالناس احياناً الى بؤس شديد. وعندما يلقون عناية ومساعدة من اولئك الذين يتقون المسيح، فانهم بذلك يرشدونهم الى الايمان به ومحبته. واذ يفطمون من ضلالهم السابق الذي تسلموه من آبائهم، فانهم يقبلون كلمة الانجيل المخلصة. ونحن نؤكد ان مثل اولئك هم الذين يدعون من السياجات. فانهم بالحقيقة اكثر عظمة وجدارة بالمديح حينما يكون الانسحاب من الضلال السابق والاسراع الى الحق هو ثمرة الارادة الحرة. ومثل هؤلاء التائبين اذ يجمعون تأكيدات ايمانهم من الكتب المقدسة ويتمتعون بالتعليم من الرجال المهرة في ادخال الناس الى الاسرار، سوف يتقدمون الى الأمام الى ايمان صحيح وبلا لوم. اما اولئك الآخرون الذين يشتعلون – اذا استعملنا هذا التعبير – بالأخبار والاضطرابات التي تقابلهم، لكي يعترفوا بالحق، هم ليسوا متساوين مع السابقين، ولكن حينما يدخلون ينبغي ان يكونوا حريصين ان يدوموا ثابتين، ويهربون من تقلب الطيش، لأنه من واجبهم ان يحتفظوا بايمان غير متزعزع لئلا يوجدوا عمالاً مرفوضين وضعفاء ومرتدين بعد الختم [17]، ويكونوا جبناء وخائفين بعد ان حملوا السلاح. فدعهم يرجعوا مسرعين الى اعمالهم السابقة لئلا يقال عنهم ما تحدث به أحد الرسل القديسين "لأنه كان خيراً لهم لو لم يعرفوا طريق البر من انهم بعد ما عرفوه يرتدون عن الوصية المقدسة المسلمة لهم. قد اصابهم ما في المثل الصادق كلب قد عاد الى قيئه وخنزيرة مغتسلة الى مراغة الحمأة" (2بط 2 : 21 و22).

ولكي لا يطول بنا هذا الحديث دعونا نعود الى موضوعنا الأصلي. فيايرس يقترب حينئذ، ولكننا ننكر ان مجيئه كان ثمرة ارادة حرة، بل بالحري فان الخوف من الموت هو الذي جعله يتصرف ضد ارادته. فان الموت بدأ يهاجم ابنته فعلاً وكانت ابنة وحيدة له. فقد جعل شهوة كلماته الرديئة وأفكاره كلا شيء. فهو الذي كثيراً ما حاول ان يتهجم على المسيح لاقامته الميت من القبر والآن يسأل منه ان يبطل الموت. ولكي يظهر اذن ان أخلاقه خشنة ورديئة ولكي يتوبخ عن ذلك بالأعمال نفسها، فان المسيح يصحبه ويلبي طلبه.

ولكن كان هناك نوع من التصرف الحكيم فيما حدث. فلو ان المسيح لم يلب طلبه للنعمة فانه هو وكل من يعاني تحت نفس الجهل مثله او بالحري يعاني من نقص الفهم الحسن، كان يقول، ان المسيح لم يكن قادراً ان يقيم الفتاة، ولا ان يطرد الموت منها حتى لو كان قد ذهب الى المنزل، وانه كان اذن بدون قوة ولا يستطيع ان يتمم المعجزة الالهية، وانه جعل عدم رضاه عن يايرس حجة للابتعاد بعيداً. ولذلك لكي يوقف افكار اليهود النجسة والجامحة ويلجم ألسنة اشخاص عديدين هم على استعداد لاصطياد الأخطاء، فانه يوافق في الحال وبعد ان يقيم الفتاة التي كانت في خطر، وقد اتبع الوعود بالتتميم لكي لا يكون لهم عذر في عدم الايمان من جهتهم، ولكي تكون هذه المعجزة مثل غيرها لدينونتهم. لأن المسيح

---

[17] أي يتراجعوا بعد ان ختموا بختم الروح في المعمودية.

ايضاً قال عنهم "لو لم أكن قد عملت بينهم أعمالاً لم يعملها أحد غيري لم تكن لهم خطية، وأما الآن فقد رأوا وأبغضوني أنا وأبي" (يو 15 : 24). حينئذ ذهب المخلص ليقيم الصبية، ولكي يغرس في سكان الأرض الرجاء الأكيد بالقيامة من الموت.

شفاء نازفة الدم:

ولكن بينما كان في منتصف الطريق فان معجزة اخرى شبيهة بالسابقة حدثت بطريقة عجيبة. فقد كانت هناك امرأة مصابة بنزف دم وهو مرض شديد ورديء، لم يخضع لمهارة الأطباء وفشلت فيه كل العلاجات البشرية. لأنها لم تقدر ان تشفى من أحد، رغم انها انفقت كل معيشتها على أولئك الذين وعدوا ان ينقذوها من مرضها. لذلك حينما فقدت المرأة البائسة كل رجاء في البشر، وتعيش الآن في بؤس تام فانها فكرت في خطة حكيمة. لأنها لجأت الى الطبيب الذي من فوق، من السماء باعتباره هو الذي يستطيع بسهولة وبدون جهد ان يحقق تلك الأشياء التي تفوق قوتنا، وأي شيء يقرره مهما كان فهو يتممه، ولا يوجد ما يستطيع مقاومته.

ان ايمانها بهذا ربما جاء بمناسبة رؤيتها ليايرس وهو يأخذ يسوع معه الى بيته ليتبرهن انه أقوى من الموت، بانقاذ ابنته من رباطات الموت التي لا فكاك منها. لأنها ربما فكرت داخل نفسها، انه ان كان هو أقوى من الموت، وهو محطم الفساد، فكم بالأكثر يستطيع ايضاً ان يشفيها من المرض الذي أصابها ويغلق بقوته الفائقة ينابيع نزف دمها! لذلك اقتربت منه ولمست هدب ثوبه، ولكن سراً وليس علانية لأنها كانت تأمل ألا يلاحظها أحد. وكما لو كانت، تريد ان تسرق الشفاء من واحد دون ان يعلم بذلك. ولكن اخبروني لماذا كانت المرأة حريصة ألا يلاحظها أحد؟ لماذا لم تقترب من المسيح بجرأة أكثر من ذلك الأبرص وتسأل الشفاء من مرضها غير القابل للشفاء؟ لأن الأبرص قال "يا سيد ان اردت تقدر ان تطهرني" (لو 5 : 12). ولماذا لم تفعل مثل الأعميان اللذان حينما عبر بهما المسيح صرخا قائلين "ارحمنا يا سيد يا ابن داود؟" (مت 20 : 30) فما الذي جعل تلك المريضة ترغب ان تظل مختفية؟ ذلك بسبب ان ناموس موسى الحكيم ينسب النجاسة لأي امرأة تعاني من نزف الدم، ويدعوها نجسة، والتي تكون نجسة لا ينبغي ان تلمس أي شيء مقدس، ولا تقترب من أي انسان مقدس. لهذا السبب كانت المرأة حريصة ان تظل مختفية، لئلا بتعديها الناموس تتعرض للعقاب الذي يفرضه، وحينما لمست المرأة (هدف ثوبه)، فانها شفيت في الحال وبدون تأخير.

ولكن المعجزة لم تظل خافية، لأن المخلص رغم انه يعرف كل الاشياء سأل كما لو كان لا يعرف قائلاً "من لمسني؟" وحينما قال له الرسل القديسون "الجموع يضيقون عليك ويزحمونك" فانه يضع أمامهم ما قد حدث قائلاً "قد لمسني واحد لأني علمت ان قوة قد خرجت مني" فهل اذن لأجل محبة المجد لم يسمح الرب لهذه – المعجزة الالهية التي حدثت للمرأة – ان تظل مختفية؟ حاشا ان نقول هذا، بل بالحري

لأنه دائماً يضع في اعتباره منفعة أولئك الذين يدعون الى النعمة بواسطة الايمان. إن إخفاء المعجزة كان سيكون ضاراً لكثيرين، ولكن باعلانها افادتهم بدرجة غير قليلة، وخصوصاً رئيس المجمع نفسه. لأنها أعطت ضماناً للرجاء الذي كان يتطلع اليه، وجعلته يثق بيقين ان المسيح سينقذ ابنته من رباطات الموت.

ولكن هذه المعجزة هي موضوع مناسب لاعجابنا، لأن تلك المرأة انقذت، اذ قد تحررت من حالة من المعاناة مرة جداً وغير قابلة للشفاء، وبذلك فنحن نحصل على يقين أكيد ان عمانوئيل هو الله نفسه. كيف وبأي طريقة؟ من الحادثة المعجزة نفسها، ومن الكلمات التي تكلم بها بكرامة الهية. لأنه قال "لأني علمت ان قوة قد خرجت مني" ولكن هذا يعلو على مستوانا البشري وربما حتى مستوى الملائكة ان ترسل اية قوة من طبيعتها الخاصة، كشيء من ذواتها. ان مثل هذا الفعل هو صفة مناسبة فقط للطبيعة التي هي فوق الكل. والأعلى من الكل. لأن كل كائن مخلوق مهما كا، يمنح قوة سواء للشفاء او ما يماثل ذلك، لا يملك هذه القوة من ذاته، بل كشيء معطى له من الله. لأن المخلوق كل الأشياء هي معطاة له، وتتم فيه، ولكن من ذاته لا يستطيع ان يفعل شيئاً. لذلك، كاله قال "علمت ان قوة قد خرجت مني".

والآن قدمت المرأة اعترافاً بما حدث وقد تركت مع المرض الذي شفيت منه، الخوف ايضاً، وهو الذي جعلها ترغب في ان تظل مختفية. أما الآن فقد أعلنت المعجزة الالهية، ولذلك حسبت أهلاً لكلماته المطمئنة، ونالت تأكيداً أنها لن تعاني من مرضها بعد ذلك لأن مخلصنا المسيح قال لها "يا ابنة ايمانك قد شفاك. اذهبي بسلام".

وهذا ايضاً كان لمنفعة يايرس رغم انه كان في الحقيقة درساً قاسياً. لأنه تعلم انه لا العبادة الناموسية، ولا سفك الدم، ولا ذبح الماعز والثيران، ولا ختان الجسد، ولا راحة السبوت ولا أي شيء آخر من هذه الأمور المؤقتة والرمزية يستطيع ان يخلص سكان الأرض، الايمان بالمسيح فقط يستطيع ان يعمل هذا، الذي بواسطته تبرر حتى ابراهيم المبارك، ودعي خليل الله، وحسب أهلاً لكرامات خاصة. وقد أعطيت بركة الله ايضاً لأولئك الذين بحسب الموعد سيكونون أبناءه، أي لنا نحن. "لأن ليس جميع الذين من اسرائيل هم اسرائيليون، ولا لأنهم من نسل ابراهيم هم جميعاً اولاد .. بل أولاد الموعد يحسبون نسلاً" (رو 9 : 6-8). اذن هذه النعمة تختص بنا، لأننا قد نلنا التبني كأبناء لابراهيم، "متبررين ليس بأعمال الناموس بل بالايمان بالمسيح" (انظر غلاطية 2 : 16)، الذي به، ومعه، لله الاب التسبيح والسلطان مع الروح القدس، الى دهر الدهور آمين.

عظة (46)

إقامة ابنة يايرس

لو 8 : 49–56 "وبينما هو يتكلم جاء واحد من دار رئيس المجمع قائلاً له قد ماتت ابنتك لا تتعب المعلم. فسمع يسوع وأجابه قائلاً لا تخف، آمن فقط وهي ستحيا. فلما جاء الى البيت لم يدع أحداً يدخل الا بطرس ويعقوب ويوحنا وأبا الصبية وامها. وكان الجميع يبكون عليها ويلطمون. فقال لا تبكوا، لم تمت لكنها نائمة. فضحكوا عليه عارفين انها ماتت. فأخرج الجميع خارجاً وأمسك بيدها ونادى قائلاً يا صبية قومي. فرجعت روحها، وقامت في الحال. فأمر ان تعطى لتأكل فبهت والدها. فاوصاهما ان لا يقولا لأحد عما كان".

هلم يا جميع محب مجد المخلص، هلم وانسجوا أكاليل لرؤوسكم، تعالوا ايضاً، لكي ما نبتهج به، وبينما نحن نمجده بتسابيح لا تنتهي، دعونا نقول بكلمات النبي اشعياء "يارب انت الهي اعظمك. أحمد اسمك لأنك صنعت اعمالاً عجيبة. مقاصدك منذ القديم أمانة وصدق" (اش 25 : 1) ما هي اذن مشورة الله الاب وقصده الذي كان منذ القديم. وكان صدقاً؟ واضح ان الأمر يخصنا نحن لأن المسيح سبق فعرف سره حتى قبل تأسيس العالم. ولكن في الأزمنة الأخيرة للعالم نهض لأجل سكان الأرض، واذ قد حمل خطية العالم فإنه يبطلها ويبطل الموت أيضاً الذي نتج عنها، والذي جلبناه على أنفسنا بواسطة الخطية. لأنه هكذا قال هو نفسه بوضوح "انا هو القيامة والحياة"، "من يؤمن بي فله حياة أبدية ولا يأتي الى دينونة بل قد انتقل من الموت الى الحياة" (يو 11 : 25، 5 : 24). وهذا هو ما نراه يتحقق بالوقائع الفعلية لأن رئيس مجمع اليهود اقترب منه واحتضن قدمي المخلص، وطلب منه ان ينقذ ابنته من رباطات الموت. لأنها كادت ان تصل الى حالة الموت وكانت في خطر عظيم. ووافق المخلص وانطلق معه، بل انه كان يسرع الى بيت ذلك الذي طلب منه هذا الاحسان. وكان يعرف ان ما يحدث سوف ينفع كثيرين من اولئك الذين يتبعونه، وسوف يكون ايضاً سبباً لمجده. وفي الطريق شفيت المرأة التي كانت فريسة لمرض غير قابل للشفاء (نازفة الدم). لأنها كانت تعاني من نزف دم لم يستطيع احد ان يوقفه حتى ان مهارة الأطباء كانت بلا فائدة، ولكنها بمجرد ان لمست هدب ثوبه بايمان، فانها شفيت في الحال. وهكذا حدثت معجزة مجيدة وظاهرة، نتيجة مجرد سير المسيح في الطريق.

وبعد ذلك جاء واحد من بيت رئيس المجمع قائلاً له "ابنتك قد ماتت لا تتعب المعلم" فماذا اذن كان جواب المسيح اذ هو يملك سلطاناً كاملاً وهو رب الحياة والموت، وبقرار ارادته الكلية القدرة يتمم كل ما يريد؟

لقد رأى الرجل مضغوطاً باثقال الحزن، ويكاد يغمى عليه، وهو مذهول، ويكاد ييأس. من

امكانية انقاذ ابنته من الموت. لأن الكوارث تستطيع ان تسبب اضطراباً حتى للعقل الذي يبدو متماسكاً، وان تبعده عن افكاره المستقرة. لذلك فلكي يساعده، اعطاه كلمة رحمة مخلصة، يمكن ان تسنده في حالته الحائرة، وتخلق فيه ايماناً غير متذبذب، اذ قال له "لا تخف، آمن فقط، وهي ستحيا".

ولما جاء الى البيت، بدأ يهدئ نواحهم، ويسكت المزمرين، ويكفكف دموع الباكين قائلاً "الصبية لم تمت لكنها نائمة". ويقول الانجيل، انهم "ضحكوا عليه". وارجو ان تلاحظوا هنا المهارة العظيمة في التعامل فرغم انه عرف جيداً ان الصبية كانت ميتة لكنه قال "انها لم تمت، لكنها نائمة". ولماذا قال هذا؟ فانهم بضحكهم عليه اعطوا اعترافاً واضحاً ان الصبية قد ماتت. لأنه من المحتمل ان يكون هناك بعض من تلك الفئة التي كانت دائماً تقاوم مجده، اولئك الذين يرفضون المعجزة الالهية ويقولون ان الصبية لم تكن قد ماتت بعد، وانه بانقاذها من المرض لم يكن هناك شيء فوق العادي فعله المسيح. لذلك فلكي ينتزع اعتراف كثيرين ان الصبية قد ماتت قال "انها نائمة". ولا يستطيع انسان ان يقرر ان المسيح تكلم بغير الحق. فانه بالنسبة اليه – اذ هو نفسه الحياة بالطبيعة – ليس هناك شيء ميت. هذا هو السبب الذي يجعلنا نحن الذين لنا رجاء ثابت في قيامة الموتى، وهذا هو السبب الذي يجعلنا نحن الذين لنا رجاء ثابت في قيامة الموتى، ان نسميهم "الراقدين" لأنهم سيقومون في المسيح، وكما يقول بولس المبارك "هم يحيون معه" (رو 6 : 8) ويعني انهم سيحيون.

ولكن لاحظوا هذا ايضاً. فكما لو أنه يريد ان يعلمنا ان نتجنب المجد الباطل – رغم اننا لن نستطيع بالتأكيد ان نجري مثل هذه الأعمال العجيبة – حينما جاء الى بيت الذي كانت ترقد فيه الصبية ميتة، فإنه أخذ معه ثلاثة من الرسل القديسين، وأبا الصبية وأمها.

والطريقة التي أجرى بها المعجزة طريقة جديرة بالله. فكما يقول الانجيل، امسك بيد الفتاة وقال، يا صبية قومي، فقامت في الحال. يالقوة هذه الكلمة، وقدرة الأوامر التي لا يستطيع شيء ان يقاومها! ويالهذه اللمسة المعطية للحياة، من يده، تلك اللمسة التي تبيد الموت، والفساد! هذه هي ثمار الايمان، الذي لأجله أعطى الناموس ايضاً للقدماء بواسطة موسى.

ولكن ربما يقول أحد هنا: ولكن أي انسان يستطيع ان يرى ان الفرائض التي أمر بها الناموس ليست مثل الايمان بالمسيح، بل هي مختلفة عنه، لأن الناموس يأمرنا ان نقدم ذبائح دموية، الايمان يرفض كل شيء من هذا النوع، وقد أتى للبشرية بعبادة تقدم بالروح وبالحق. لأن المسيح نفسه يتكلم في موضع ما بواسطة قيثارة المرنم موجهاً الحديث لله الآب في السماء "ذبيحة وقرباناً لم ترد، بمحرقات وذبائح للخطية لم تسر، ولكن هيأت لي جسداً. ثم قلت ها أنذا أجيء، في درج مكتوب عني، لأفعل مشيئتك ياالله" (مز 39 : 6 و7 سبعينية) لذلك فالتقدمات الدموية لا تنفع، ولكن الرائحة الطيبة للعبادة الروحية هي مقبولة تماماً عند الله. وهذه العبادة لا يستطيع أحد ان يقدمها له إن لم يكن له أولاً ذلك الايمان الذي هو

بالمسيح. ويشهد بولس المبارك لهذا الايمان، حيث يكتب "بدون ايمان لا يمكن ارضاؤه" (عب 11 : 6).

لذلك فمن الضروري لنا ان نشرح بأي معنى نحن نقول ان الناموس قد اعطي بسبب الايمان. فابراهيم المبارك تبرر بالطاعة والايمان لأنه مكتوب ان "ابراهيم آمن بالله ودعي خليل الله وحسب له الايمان براً" (يع 2 : 23) ووعده الله انه سيكون أباً لأمم كثيرة، وان كل الأمم ستتبارك فيه، أي بالتمثل بايمانه. لذلك، يمكن ان نرى ان النعمة التي بواسطة الايمان سابقة على الفرائض التي أمر بها الناموس. اذا ان ابراهيم وصل الى هذه النعمة بينما كان لا يزال غير مختون. وفيما بعد، بعد فترة من الزمن دخل الناموس على يد موسى. فهل هو يطرح بعيداً التبرير الذي بواسطة الايمان – اعني الذي وعد به الله لأولئك الذين يتبعون خطوات ايمان ابينا ابراهيم، الذي كان له وهو لا يزال غير مختتن؟ ولكن كيف يكون هذا صحيحاً؟ لذلك يكتب بولس المبارك "وانما أقول هذا ان الناموس الذي صار بعد أربعمئة وثلاثين سنة لا ينسخ عهداً قد سبق فتمكن من الله نحو المسيح، حتى يجعل الموعد الذي أُعطي للآباء باطلاً" (غلا 3 : 17) وايضاً يقول "هل الناموس ضد مواعيد الله؟ حاشا" (غلا 3 : 21) وبولس الالهي نفسه يعلمنا الأسباب التي لأجلها دخل الناموس بواسطة خدمة ملائكة، والطريقة التي بها يدعم الايمان بالمسيح، اذ ان الناموس قد أُعطي قبل زمن تجسد الابن الوحيد، وهو يقول مرة أن "الناموس دخل لكي تكثر الخطية" (رو 5 : 20) وفي مرة أخرى "ان الكتاب اغلق على الكل تحت الخطية" (غلا 3 : 22)، ويقول ايضاً "لذلك، فالناموس قد زيد بسبب التعديات" (غلا 3 : 19).

هل تريدون ان تعرفوا كيف اغلق الكتاب على الكل تحت الخطية؟ اني سأشرح هذا الأمر بأقصى ما هو في استطاعتي. فالأمم، الذين كانوا حينئذ بدون إله، ولا رجاء لهم، كانوا في هذا العالم كأناس مسجونين في شراك الدناءة، ومعلقين في حبال الخطية بلا رجاء في النجاة. ومن الجهة الأخرى كان الاسرائيليون حاصلين على الناموس كمؤدب حقاً، ولكن لم يستطع أي انسان ان يتبرر بواسطته. فلم تكن أي منفعة من تقديمهم ذبائح دموية عن خطاياهم. وهذا ما يشهد له بولس ايضاً قائلاً "لأنه لا يمكن ان دم ثيران وتيوس يرفع خطايا" (عب 10 : 4). إن الناموس هو برهان على ضعف جميع البشر، ولذلك فإن بولس المبارك يسميه "خدمة الدينونة" (2كو 3 : 7). وقد كثرت الخطية بواسطة الناموس. وذلك ليس كأنه يجعل الانسان يخطئ، بل بالحري لأنه يعلن دينونة كل من هو تحت التعدي. لذلك فقد أُعطي الناموس بسبب التعديات، حتى انه ليس هناك انسان يستطيع ان يصل الى حياة بلا لوم، فان مجيء التبرير الذي بواسطة المسيح يصير امراً ضرورياً تماماً فلم يكن هناك طريق آخر يستطيع سكان الأرض ان يهربوا بواسطته من طغيان الخطية اذن، فالناموس دخل أولاً لأجل الايمان، لكي يكشف خطية اولئك الذين كانوا معرضين للضعفات، ويثبت انهم خطاة، لذلك فالناموس، كما لو كان يرسل الناس الى التطهير الذي في المسيح بواسطة الايمان. ولهذا السبب كتب بولس المبارك ايضاً "اذن قد كان الناموس مؤدبنا الى المسيح ...

ولكن بعد ما جاء الايمان لسنا بعد تحت مؤدب" (غلا 2 : 24 و25) لأننا جميعاً أبناء الله بالايمان بالمسيح يسوع.

اذن فالايمان من كل جهة، هو سبب الحياة، وهو الذي يميت الخطية التي هي أم الموت ومربيته. لذلك كم هو رائع ما قاله المسيح لرئيس مجمع اليهود عندما ماتت ابنته "لا تخف آمن فقط وهي ستحيا" لأنه، كما قتل، فالمسيح يحيي اولئك الذي يقتربون اليه بايمان انه هو الحياة، "لأننا به نحيا ونتحرك ونوجد" (أع 17 : 28). وهو سيقيم الموتى في لحظة في طرفة عين عند البوق الأخير" كما هو مكتوب (1كو 15 : 52). واذ لنا هذا الرجاء فيه فإننا سوف نصل الى المدينة التي هي فوق، وسنملك كملوك معه، الذي به ومعه، لله الآب التسبيح والسلطان مع الروح القدس الى دهر الدهور آمين.